ج. د. سالنجر

الحارس في حقل الشوفان



ترجمة: غالب هلسا

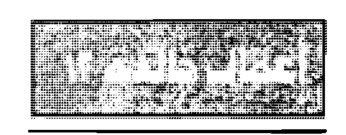
ج. د. سالنجر

الحارس في حقل الشوفان

ترجمة غالب هلسا



الحارس في حقل الشوفان



اسم المؤلف : ج . د . سالنجر
عنوان الكتاب : الحارس في حقل الشوفان
المترجم : غالب هلسا
الناشر : المدى
الطبعة الأولى : ٢٠٠٧
الحقوق محفوظة

Author : J. G. Salinger
Title : Catcher In the Rye
Translator:Ghaleb Helsa
Al- Mada P.C.
First Edition : 2007
Copyright © Al- Mada

دار المدى للثقافة والنشر

سورية - دمشق ص. ب.: ٨٢٧٢ او٧٣٦٦ -تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ -٢٣٢٢٢٧٦-فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria
P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289
www.almadahouse.com E-mail:al-madahouse@net.sy

لبنان -بيروت-الحمراء-شارع ليون -بناية منصور-الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧
E-mail:al-madahouse@idm.net.lb

العراق - بغداد- أبو نواس- محلة ١٠٢- زقاق ١٣-بناء ١٤١
مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
تلفون: ٧١٧٠٣٩٥-٧١٧٠٥١٣ فاكس: ٧١٧٥٩٤٣
www.almadapaper.com
almada112@yahoo.com almada119@hotmail.com



إيضاحات

كثيرا ما تقارن هذه الرواية برواية جيمس جويس (يوليسيز). لأن الروايتين من العلامات الهامة التي أشرت الطريق إلى التحولات التي طرأت على كتابة الرواية في الغرب. وتعتبر رواية "الحارس في حقل الشوفان" بداية وأنموذجا للكتابات التي عرفت فيما بعد بكتابات الغاضبين. ولقد عبر جيل الرفض في أمريكا عن تبنيه لهذه الرواية حين رفع شعار "كلنا هولدن كولفيلد" وهو اسم بطل هذه الرواية.

تعبر هذه الرواية عن الاشمئزاز والتقزز الأخلاقيين اللذين يعاني منهما صبي في السادسة عشر من عمره تجاه المجتمع الأمريكي. الجميع مثيرون للتقزز والسخط عدا الأطفال وخاصة الأطفال الذين ماتوا.

إن مفتاح هذه الرواية هو كلمة "الزيف" التي تتردد خلال الرواية كلها. باستثناء الأطفال، الكل مزيفون.

لقد كان حلم البطل هولدن كولفيلد أن يعيش في كوخ على طرف غابة، حيث لا يلقى أحدا من البشر. والأمر المثير للتأمل أن المؤلف قد حقق هذا الحلم فيما بعد. لقد انتزع نفسه من المجتمع الأمريكي ليعيش في كوخ على طرف غابة، لا يرى أحدا من البشر. وحتى زوجته لا تتصل به إلا من خلال التليفون.

الرواية مكتوبة باللهجة العامية لأهل نيويورك، وعلى لسان صبي أقرب ما يكون إلى الأطفال في أسلوب تعبيره. ولقد حاولت قدر الإمكان أن أحافظ على روح اللغة، وأرجو أن أكون قد وفقت.

غالب هلسا

الفصل الأول

إذا كنت قد أثرت اهتمامك بالفعل، فأغلب الظن أن أول ما ترغب في معرفته هو المكان الذي ولدت فيه، وكيف أمضيت طفولتي التعسة، وماذا كان يعمل والداي قبل أن ينجباني، وكل هذا اللغو الذي تعودناه في "ديفيد كوبر فيلد". ولكنني لا أشعر برغبة في فتح هذه الموضوعات، فهي، أولا، تضجرني، كما أن أبي وأمي سوف يصابان بنزيف حاد في نفس الوقت لو حكيت شيئا عن حياتهما الخاصة. إنهما شديدا الحساسية لأمثال هذه الأمور، وخاصة أبي. وهما طيبان، لا أنفي ذلك. ولكنهما حساسان بشكل مزعج. كما أنني لا أنوي رواية سيرتي الذاتية اللعينة، أو شيئا كهذا. سوف أروي فقط تلك الأحداث الجنونية التي مرت بي في فترة عيد الميلاد الماضي وذلك عندما وصلت بي الأمور إلى حد شديد السوء، ثم كيف كنت مضطرا بعد ذلك للعودة للبيت، ثم كيف تحسنت الأمور بعد ذلك. وأنا قد حكيت ذلك لأخي د. ب. الذي يسكن في هوليود التي لا تبعد كثيرا عن هذا المكان التعس الذي أنا فيه. وأخي يزورني في نهاية كل أسبوع تقريبا. عنده سيارة من نوع (جاكوار)، وبها سوف يأخذني إلى البيت، وقد يكون ذلك في الشهر القادم.

وهذه السيارة إنكليزية الصنع، وبإمكانها أن تنطلق بسرعة مئتي

ميل في الساعة. ويبلغ ثمنها حوالي أربعة آلاف دولار. وهو يملك الكثير من النقود حاليا، ولم يكن كذلك في الماضي، عندما كان د. ب. لا يزال يعيش في بيت الأسرة كان كاتبا حقيقيا، لقد كتب مجموعة قصصية عنوانها "السمكة الذهبية الخفية". أخي هو مؤلفها إن لم تكن قد سمعت به من قبل. وأحسن قصة في المجموعة هي قصة "السمكة الذهبية الخفية" وهي عن صبي صغير كان يرفض السماح لأي مخلوق أن يتفرج على سمكته الذهبية لأنه اشتراها بنقوده الخاصة. لقد أعجبتني بشكل قاتل. و د. ب. يتمومس في هوليود. لا أكره شيئا كما أكره أفلام السينما، لا أطيق أن أسمع كلمة عنها.

تبدأ حكايتي يوم غادرت (بنسي) الثانوية. وهي مدرسة في (اجرستاون) في ولاية بنسلفينيا. ربما سمعت عنها أو قرأت أحد إعلاناتها على الأقل. وهي تنشر إعلاناتها في حوالي ألف مجلة. والإعلان عبارة عن فتى شديد الحيوية يركب حصانا يقفز حاجزا. كان كل ما نفعله في تلك المدرسة هو لعب البولو طيلة الوقت. ولكنني لم أر حصانا واحدا في تلك المدرسة. وتحت صورة الفتى الذي يركب الحصان تجد دائما هذه العبارة: "منذ عام ١٨٨٨ ونحن نجعل من الطلبة شبانا رائعين ذوي تفكير واضح." كذب. ما يفعلونه في (بنسي) هو ما يحدث في كل المدارس. لم تقع عيني على طالب يمكن وصفه بأنه رائع أو واضح التفكير. ربما كان اثنان ممن عرفتهم ينطبق عليهما هذا الوصف. والأغلب أنهما كانا كذلك قبل أن يلتحقا ببنسي.

على أية حال، فقد حدث ذلك يوم السبت الذي أقيمت فيه مباراة كرة القدم مع فريق (ساكسون هول). ويفترض أن هذه المباراة شيء هام

للغاية، إذ كانت آخر مباريات العام، والمفروض أن ينتحر الإنسان أو يفعل شيئا شبيها بهذا إذا لم تنتصر مدرستنا. وأذكر أنه في الساعة الثالثة من بعد الظهر كنت أقف على تل (تومسون) بجوار ذلك المدفع المضحك الباقي من أيام الثورة. بالإمكان أن ترى من هذا المكان الفريقين يتعاركان في الملعب، ولم يكن باستطاعتي من هذا المكان أن أرى المتفرجين المنفعلين. كنت أسمعهم يصرخون محدثين ضجة رهيبة تأييدا لفريق (بنسي) إذ إن المدرسة كلها، عداي أنا، كانت تقريبا هناك. بينما كان أنصار فريق (ساكسون هول) قلائل قلائل جدا، لأن الذين كانوا يصاحبونه قلائل.

عدد الفتيات في مباريات كرة القدم قليل في العادة، فلم يكن يسمح إلا لطلاب السنة النهائية أن يصطحبوا الفتيات لمشاهدة المباراة. لقد كانت مدرسة مرعبة من كل النواحي. وأنا أحب أن يتواجد بعض الفتيات في الأماكن التي أرتادها، حتى ولو كن لا يفعلن شيئا سوى أن يهرشن أذرعتهن، أو أن يتمخطن، أو حتى يضحكن. وكانت (سلمى ثرمر)، ابنة مدير المدرسة، تشهد هذه المباريات في كثير من الأحيان. ولم تكن مثيرة جنسيا، ولكنها كانت فتاة طيبة، رغم كل شيء. ركبت مرة بجوارها في الباص في مدينة (اجر ستاون) وتحدثنا سويا. لقد أعجبتني كان لها أنف كبير وكانت تقضم أظافرها فتبدو رؤوس أصابعها دامية، وكانت ترتدي أثداء صناعية ناهدة وبارزة. ولكنها أثارت شفقتي. وكان أكثر ما أثار إعجابي أنها لم تحاول أن تشيد بعظمة أبيها. الأغلب أنها كانت تعلم أنه تافه ومزيف.

وأما سبب وقوفي على تل (تومسن) بدلا من مشاهدة المباراة من

الأماكن المعدة لذلك فلأنني قد عدت لتوي من نيويورك مع فريق الشيش، إذ كنت رئيسا لذلك الفريق اللعين، وذلك أمر شديد الأهمية لو تعلم. ولكن المباراة لم تتم لأنني نسيت معدات اللعب في قطار الأنفاق. ليس من الإنصاف أن أتحمل اللوم كله، فلقد كان عليَّ أن أظل واقفا أطالع الخريطة حتى أتمكن من تحديد المحطة التي نغادر فيها القطار، ولهذا السبب عدنا إلى (بنسي) في الثانية والنصف بدلا من أن نعود ساعة العشاء. وخلال عودتنا اعتزلني الفريق كله طيلة الطريق. وكان ذلك أمرا مضحكا.

والسبب الآخر لعدم وجودي في الملعب أنني ذهبت لتوديع سبنسر العجوز، مدرس مادة التاريخ. كان مصابا بالأنفلونزا ومعنى هذا أنني لن أتمكن من رؤيته مرة أخرى. وكان قد بعث لي رسالة يقول فيها إنه يود أن يراني قبل أن تبدأ إجازة عيد الميلاد. وكان يعلم أنني لن أعود إلى مدرسة (بنسي) مرة أخرى.

نسيت أن أقول إنهم قد طردوني من المدرسة، ولهذا لن أعود إليها بعد إجازة عيد الميلاد. لقد رسبت في أربع مواد من خمس ولأنني لا أولي الدراسة اهتماما. كانوا قد أرسلوا لي عدة إنذارات، خاصة بعد الامتحانات الفصلية عندما أتى والداي واجتمعا بثرمر . رغم ذلك أهملت الدراسة. وهكذا طردوني. كانوا يفعلون ذلك كثيرا مع الطلبة. لقد كان المستوى الدراسي مرتفعا، وأرجوك أن تصدقني عندما أقول ذلك.

كنا في شهر كانون الأول وكان الجو باردا كحلمة ثدي الساحرة، خاصة فوق قمة ذلك التل البليد. كنت ارتدي معطفي العادي ولم أكن ألبس قفازا. قبل ذلك بأسبوع سرق أحدهم معطفي المصنوع من شعر

الجمل من حجرتي، وفي أحد جيوبه كان قفازي المبطن بالفرو. كانت المدرسة مليئة باللصوص. الكثير من طلبتها من عائلات ثرية جدا ولكنها كانت مليئة باللصوص. وأنا جاد عندما أقول إنه كلما ارتفعت تكاليف الدراسة وكلما ارتفع مستواها الاجتماعي زاد عدد اللصوص فيها. وهكذا ظللت واقفا بجوار ذلك المدفع المضحك، أشاهد المباراة وقد تثلجت عجيزتي غير أنني لم أكن مستغرقاً تماماً في مشاهدة المباراة. ما أفعله هو أنني كنت أودع المكان إذ كنت في الماضي أغادر أماكن ومدارس كثيرة دون أن أعلم حتى أني أراها للمرة الأخيرة. لم أكن أحب ذلك. لا يهمني في قليل أو كثير إن كان ذلك الوداع حزينا أو سيئا. ما كان يهمني بالدرجة الأولى هو أنني حين أغادر مكانا فيجب أن أدرك تماما أني مغادره. إن غاب عني ذلك فإن الأمور تزداد سوءا.

كنت محظوظا. إذ تذكرت شيئاً فجأة ساعدني أن أدرك أنني أودع هذا المكان للأبد. حدث ذلك في تشرين الأول تقريبا. كنت أنا وروبرت تتشنر وبول كامبل نتبادل كرة القدم بيننا أمام الفصول الدراسية. كانا طالبين ظريفين، خاصة تتشنر، وكان الوقت قبل موعد العشاء بقليل. اشتد الظلام ولكننا واصلنا اللعب. ازداد الظلام حلكة ولم نعد نستطيع تمييز الكرة ولكننا لم نرغب في التوقف. ثم اضطررنا لذلك، إذ مد مدرس علم الأحياء السيد زامبيسي رأسه من إحدى النوافذ وطلب إلينا أن نتوجه إلى حجرة النوم ونستعد لتناول العشاء. وهكذا، ما دمت قادرا على تذكر أمثال هذه الأمور فأنا أستطيع أن أهيئ وداعا عندما أكون بحاجة إليه، أو أنا على الأقل قادر على ذلك معظم الأحيان. وعندما وصلت إلى هذه النقطة في تفكيري استدرت وانحدرت عدوا إلى الجانب

الآخر من التل، متجها إلى بيت سبنسر العجوز الذي لم يكن يسكن في المدرسة بل في شارع (أنتوني وين).

عدوت حتى وصلت الباب الرئيسي وانتظرت قليلا لأسترد أنفاسي. ولعلمك، أنا أتعب بسرعة، كنت أدخن كثيرا ـ كان ذلك في الماضي، أما الآن فقد أرغموني على الامتناع عن التدخين. وشيء آخر، إن طولي زاد في السنة الماضية فقط ست بوصات ونصف البوصة، وقد أدى هذا إلى إصابتي بالسل، وأجريت العديد من الفحوص، ولكنني، حاليا، في صحة جيدة.

وبمجرد أن استرددت أنفاسي عدوت في الشارع رقم ٢٠٤، كان البرد شديدا وكدت أسقط. لا أدري ما الذي جعلني أعدو هكذا. أغلب الظن أنني كنت أرغب في العدو وحسب. وبعد أن تجاوزت الشارع شعرت أنني بشكل ما، قد اختفيت. كان "بعد ظهر" غريبا، من ذلك النوع الذي يكون فيه البرد شديدا، والشمس محتجبة، وتشعر أنك غبت عن الدنيا كلما عبرت شارعا.

حين وصلت بيت سبنسر العجوز أخذت أدق جرس الباب بقوة، كنت متجمدا، وأذناي تؤلمانني، وكنت عاجزا عن تحريك أصابعي. قلت بصوت يكاد يكون مسموعا: "هيا، هيا، فليفتح أحد هذا الباب".

وفي النهاية فتحته السيدة سبنسر، إذ لم يكن عندهما خادمة. لهذا كانا يفتحان الباب بنفسيهما. لم يكن عندهما نقود كثيرة.

قالت السيدة:

"هولدن! كم أنا سعيدة برؤيتك! ادخل، يا عزيزي! هل تجمدت حتى الموت؟".

أعتقد أنها كانت سعيدة برؤيتي، وأنها كانت تحبني. أو على الأقل هكذا أعتقد.

وما أسرع ما دخلت ذلك البيت. قلت:

"كيف حالك يا سيدة سبنسر وكيف حال السيد سبنسر؟".

قالت:

"دعني أعلق معطفك يا عزيزي".

لم تسمعني وأنا أسألها عن صحة السيد سبنسر، فقد كانت صماء إلى حد ما. علقت معطفي في دولاب المدخل وسرحت شعري بيدي لأنني أدعه قصيرا في معظم الأحيان فلا أحتاج إلى تسريحه..

قلت بصوت أعلى قليلا لأمكنها من سماعي:

"كيف حالك يا سيدة سبنسر".

قالت وهي تغلق الدولاب:

"في أحسن حال يا هولدن. وكيف حالك أنت؟".

من الطريقة التي ألقت بها السؤال أدركت على الفور أن سبنسر العجوز قد أخبرها أنني طردت من المدرسة.

قلت:

حسناً وكيف حال السيد سبنسر هل شفي من الانفلونزا؟

قالت:

"لقد شفي يا هولدن، وحالته ممتازة مثل ـ لا أدري مثل ماذا.. إنه في حجرته، فادخل إليه".

الفصل الثاني

لكل منهما حجرته، وهما قد بلغا السبعين من العمر أو أكثر من ذلك. غير أنهما كانا يستمتعان بحياتهما، ولكنهما يفعلان ذلك بدرجة متوسطة. وأنا أعلم أن قولي هذا فظ، ولكنني لا أتحدث عن الجانب الفظ في الموضوع. أعني أنني كنت أفكر كثيرا بسبنسر العجوز، وعندما تفكر فيه كثيرا فإنك سوف تتساءل عن السبب الذي يجعله يواصل الحياة. هو شديد الانحناء، وقامته شديدة التشويه: وفي الفصل، عندما تسقط منه الطبشورة ينهض دائما أحد الطلبة من الجالسين في المقدمة ويلتقط الطبشورة ويضعها في يد سبنسر العجوز. وهذا، في رأيي، شيء مؤلم.

ولكنك عندما تفكر في هذا كثيرا، ليس كثيرا جدا، عندها ترى أن وضع سبنسر العجوز ليس بكل هذا السوء. مثلا، كنت في يوم أحد مع بعض الطلبة في بيت العجوز سبنسر وكنا نشرب الكاكاو الساخنة. ثم عرض أمامنا تلك البطانية (النافاجو) التي اشتراها هو وزوجته من أحد الهنود في حديقة بولستون، وكان بإمكانك أن ترى بوضوح أن سبنسر العجوز كان سعيدا لأنه اشترى تلك البطانية. هذا ما أعنيه، أن ترى إنسانا طاعنا في السن مثل سبنسر العجوز فرحا جدا بشراء بطانية.

كـان باب حـجـرته مـفـتـوحـا، غـيـر أنني، تأدبا، طرقت البـاب. كـان بإمكاني أن أراه وهو جـالـس على كـرسي مـن الجلد وقـد غطى جـسـده بالبطانية التي حدثتك عنها منذ قليل. نظر إليّ وأنا أطرق الباب ثم صاح:

"من هذا ؟ كولفيلد ؟ ادخل يا بني".

كان دائما يصيح بصوت عال عندما يكون خارج المدرسة، وكان هذا يثير أعصابي في بعض الأحيان.

وفي اللحظة التي دخلت فيها الحجرة أسفت لمجيئي. كان العجوز يقرأ مجلة (أتلانتك) الشهرية، كان هنالك أدوية في كل مكان في الحجرة، وكان لكل شيء رائحة قطرة (فكس) للأنف. أشعرني ذلك بالضيق. وأنا لست مغرما بمشاهدة المرضى. وزاد ضيقي أن سبنسر العجوز كان يرتدي روب الاستحمام الكئيب الأجرب الذي أرجح أنه يرتديه منذ ساعة مولده. وأنا لا أحب أن أشاهد الكبار في السن وهم يرتدون بيجامة أو روب حمام. فمن ورائها تبدو صدورهم العجوزة المجوفة وسيقانهم، تلك السيقان العجوزة التي نراها على الشواطئ وغيرها من الأماكن فتبدو بيضاء جدا وخالية من الشعر.

قلت:

"هالو يا سيدي. تسلمت رسالتك. أشكرك كثيرا".

ولقد كتب لي هذه الرسالة طالبا مني زيارته لأودعه قبل ابتداء الإجازة، لأنني لن أعود إلى هذه المدرسة.

قلت:

"ما كان لك أن تجشم نفسك المشقة، فلقد كنت أنوي توديعك على أية حال".

قال سبنسر العجوز وهو يشير إلى السرير:

"اجلس يا بني".

جلست على السرير وقلت:

"كيف حالك يا سيدي؟".

رد بقوله:

"لو شعرت بتحسن لاستدعيت الطبيب".

وكان هذا أكثر مما يمكنه احتماله فأخذ يضحك ضحكا مكتوما كأنه جن. بعد قليل اعتدل في جلسته وقال:

"لماذا لم تشهد المباراة؟ أعتقد أن هذا هو يوم المباراة الكبرى".

قلت:

"إنه كذلك، لكنني قادم لتوي من نيويورك مع فريق الشيش".

أما سريره فقد كان صلبا كالصخرة.

ثم أصبح شديد الجدية، وكنت أتوقع ذلك. قال:

"وهكذا سوف تغادرنا، أليس كذلك؟".

"أجل يا سيدي".

ثم استغرق في طقس هز الرأس. ومهما بحثت فلن تجد أحدا يهز رأسه أكثر من سبنسر العجوز. وأنت لا تستطيع الجزم إن كان يهز رأسه بسبب استغراقه في التفكير أم أن ذلك بسبب كونه عجوزا طيبا عاجزا عن التمييز بين عجيزته وكوعه.

ثم قال:

"ماذا قال لك الدكتور ثرمر يا بني؟ سمعت أن حديثا دار بينكما".

"حدث ذلك بالفعل. بقيت في مكتبه لمدة ساعتين تقريبا".

"ماذا قال لك؟

"آه.. حسنا. حدثني عن الحياة وأنها لعبة، ولكن عليك أن تلعبها بموجب قوانينها. تكلم عن ذلك بشكل جيد. أعني أنه لم يكن يتحدث بطريقة متعجرفة، بل مضى يقول إن الحياة لعبة، وأشياء شبيهة بهذا، مما تعرفه".

"الحياة لعبة يا بني نلعبها وفق قوانين معينة".

"أجل يا سيدي، أعلم، لقد عرفته".

لعبة" طز! أية لعبة إذا كنت تقف في الجانب القوي فهي لعبة بالتأكيد، أقر بهذا. أما إذا كنت تقف بالجانب الآخر، الجانب الذي ليس فيه أقوياء فحول أي شيء تدور اللعبة! لا شيء، ولا لعبة.

سألني سبنسر العجوز:

"هل كتب الدكتور ثرمر لوالديك؟".

"قال لي إنه سوف يكتب لهما يوم الاثنين".

"هل اتصلت أنت بهما ؟".

"لا، يا سيدي، لم أتصل بهما لأنني، في الغالب، سوف أراهما ليلة الأربعاء عندما أعود إلى البيت".

"كيف تظنهم يتلقون هذه الأنباء؟".

قلت:

"سوف ينزعجون كثيرا. سوف يحدث ذلك دون ريب، فهذه رابع مدرسة أدخلها".

وهززت رأسي، وأنا أهز رأسي كثيرا، وأكثر من قول "يا ولد" لأن لغتي ضعيفة للغاية. ولأنني في أحيان كثيرة أقوم بأعمال لا تتلاءم مع

سني، كنت في السادسة عشرة آنذاك، وأنا الآن في السابعة عشرة، ولكنني أتصرف أحيانا كابن الثالثة عشرة. وهذا أمر مضحك لأن طولي ستة أقدام وبوصتان ونصف البوصة، كما أن نصف شعري قد أصبح أبيض. إن نصف رأسي، النصف الأيمن، يحتوي على ملايين الشعرات البيضاء، والتي نبتت هكذا منذ أن كنت طفلا. ورغم هذا فإنني أتصرف أحيانا وكأنني في الثانية عشر من عمري. الجميع يقولون لي هذا، خاصة والدي. وهذا صحيح إلى حد ما، ولكنه ليس صحيحا تماما، مع أن بعض الناس يعتقدون أن بعض الأشياء صحيحة تماما. وأنا لا يهمني ذلك في شيء، إلا أنني أضجر من هؤلاء الذين يطلبون أن أتصرف بمستوى سني، في أحيان كثيرة أقوم بأعمال أكبر من سني، أقسم على هذا، ولكن الناس لا يلاحظون ذلك على الإطلاق. إنهم لا يلاحظون أي شيء.

أخذ سبنسر العجوز يهز رأسه مرة أخرى، وأدخل إصبعه في أنفه. كان يتظاهر بأنه يمسك بأنفه فقط ولكن إبهامه العجوز كان في داخل الأنف. أغلب الظن أنه اعتقد أن ليس عليه حرج إن فعل ذلك أمامي، مادمت أنا وحدي أجلس معه في الحجرة. وأنا لا أكترث بذلك سوى أنه شيء مقرف أن ترى أحدهم يدس إصبعه في أنفه.

قال:

"كان لي شرف لقاء أمك وأبيك، وذلك عندما قابلا الدكتور ثرمر وتحدثا معه منذ عدة أسابيع. إنهما رائعان".

"هذا صحيح، إنهما طيبان جدا".

رائع - هذه كلمة أبغضها، لأنها مزيفة. أكاد أتقيأ في كل مرة أسمعها.

فجأة بدا أن سبنسر العجوز على أهبة أن يقول لي شيئا حسنا جدا، شيئا بارعا. اعتدل في كرسيه واستدار قليلا، ولكن ذلك كان مجرد إنذار كاذب.

كل ما فعله أن تناول مجلة (أتلانتيك) الشهرية وقذف بها إلى السرير ناويا أن يجعلها تستقر بجواري. غير أنه أخطأ الهدف. نهضت وتناولت المجلة ووضعتها فوق السرير.

وفجأة انتابتني رغبة قوية في مغادرة الحجرة. أحسست أن هنالك محاضرة يجري إعدادها في طريقها إليّ. لم يكن اعتراضي على المحاضرة بحد ذاتها، ولكنني لا أحب أن يحاضرني أحد وأنا أشم رائحة قطرة فكس للأنف، وأرى سبنسر العجوز ببيجامته ورويه أمامي، وأن يحدث ذلك كله في نفس الوقت. حقيقة لا أحب ذلك.

ولكن المحاضرة بدأت دون إبطاء. قال سبنسر العجوز:

"ماذا بك يا فتى؟ كم هو عدد المواد التي درستها هذا العام؟".

قال ذلك بعنف لا يناسبه.

قلت:

"خمس يا سيدي".

"خمس. وكم عدد المواد التي رسبت فيها؟".

"أربع".

حركت عجيزتي قليلا فوق السرير. إنه أخشن سرير جلست عليه في حياتي.

أضفت:

"لقد نجحت في مادة اللغة الإنكليزية لأنني سبق ودرست ملحمة (بيوولف) و (راندال ولدي) في مدرسة هوتون. أعني أنني لم أكن

بحاجة إلى بذل أي مجهود يذكر في مادة اللغة الإنكليزية عدا كتابة بعض موضوعات الإنشاء بين آن وآخر".

لم يكن يصغي لما أقول. من النادر أن يصغي لما تقول:

"لقد سقطت في مادة التاريخ لأنك لا تعرف أي شيء عن تلك المادة".

"أعرف ذلك يا سيدي، أعرفه، ولم تكن أنت تستطيع أن تفعل أنت غير ذلك".

ردد مرة أخرى:

"لا شيء على الإطلاق".

وهذا أمر يبعث على الجنون: أن يقال الشيء مرتين رغم أنك وافقت عليه منذ أول مرة. وكأن ذلك لم يكن كافيا، فقال للمرة الثالثة:

"لا شيء على الإطلاق. وأنا أشك أنك فتحت كتاب التاريخ ولو لمرة واحدة خلال الفترة الدراسية. هل فعلت ذلك؟ اصدقني القول يافتى".

"الحق أنني تصفحته مرتين".

قلت ذلك حتى لا أجرح مشاعره لأنه مهووس بالتاريخ.

قال بلهجة شديدة السخرية:

"تصفحته، أليس كذلك؟ ورقة امتحانك هناك فوق "الشوفنيرة". جئني بها من فضلك".

كانت خدعة قذرة. ورغم ذلك نهضت وأتيته بها ـ لم يكن أمامي خيار. ثم عاودت الجلوس على سريره الإسمنتي. ولك أن تتخيل كم كنت آسفا لقيامي بهذه الزيارة.

أمسك بورقتي في تقزز واضح وكأنه يمسك قطعة من البراز. قال:

"لقد درسنا المصريين في الفترة ما بين الرابع من تشرين الثاني والثاني من كانون الأول. لقد اخترت أن تكتب عنهم في سؤال المقالة الاختياري. هل تحب أن تسمع ما كتبت؟".

قلت:

"لا يا سيدي. لست متحمسا جدا".

ولكنه قرأه رغم ذلك. لا تستطيع أن تمنع المدرسين من فعل شيء يرغبون في فعله. إنهم يفعلون ما يروقهم دون أن يعوقهم عائق.

"المصريون جنس قوقازي قديم يقطن الأجزاء الشمالية من أفريقيا. وهذه الأخيرة، كما نعلم، أكبر قارة في الجزء الشرقي من الكرة الأرضية".

وكان عليّ أن أجلس وأصغي إلى هذا اللغو. لقد كانت خدعة قذرة دون ريب.

"المصريون يثيرون اهتمامنا، حاليا، لعدة أسباب. فالعلم الحديث يحاول أن يعرف العناصر السرية التي كان يستعملها قدماء المصريين عندما كانوا يكفنون موتاهم وتظل وجوههم على حالها قرونا لا حصر لها. إن هذا اللغز المثير لا يزال يشكل تحديا للعلم الحديث في القرن العشرين".

توقف عن القراءة وأبعد الورقة عنه. شعرت ببعض الكراهية نحوه. قال بصوته الساخر جدا:

"بإمكانك أن تقول إن مقالك ينتهي عند هذا الحد. على أنك كتبت لي رسالة صغيرة في نهاية الصفحة".

لن يخطر لك أبدا أن عجوزا كهذا يمكنه أن يكون ساخرا إلى هذا الحد.

قلت:

"أعلم أنني فعلت ذلك".

قلت ذلك بسرعة لأمنعه من قراءة الرسالة بصوت مرتفع. ولكن ذلك كان مستحيلا، فاندفع كانفجارات اللعب النارية.

قرأ بصوت مرتفع:

"عزيزي السيد سبنسر.

هذا كل ما أعرفه عن المصريين. يبدو أنهم لا يثيرون اهتمامي رغم أن محاضراتك عنهم كانت ممتعة جدا. لك الحق في أن تمنحني علامة الرسوب، فأنا على كل حال سوف أرسب في جميع المواد عدا مادة اللغة الإنكليزية.

مع احترامي

هولدن كولفيلد.

ثم أبعد ورقتي اللعينة وألقى عليَّ نظرة وكأنه قد انتصر عليَّ انتصارا ساحقا في لعبة تنس الطاولة. لا أعتقد أنني سوف أغفر له أبدا قراءته ذلك اللغو بصوت مرتفع. ما كنت لأقرأها بصوت مرتفع أمامه لو أنه كان هو الذي كتبها. حقيقة ما كنت لأفعل ذلك. إن السبب الأساسي الذي دعاني إلى كتابة تلك الرسالة هو حتى لا يتألم كثيرا عندما يرسبني في مادته.

قال:

"هل تلومني أيها الصبي لأنني رسبتك؟".

قلت:

"لا يا سيدي، قطعا لا".

رجوت بحدة أن يتوقف عن مناداتي "أيها الصبي" طيلة الوقت.

حاول أن يقذف بورقة الامتحان على السرير عندما انتهى منها. ولكنه أخطأ الهدف مرة أخرى، كما توقعت. لهذا كان عليّ أن أنهض وأضع الورقة فوق المجلة. إنه شيء مضجر أن تفعل ذلك كل دقيقتين.

قال:

"ماذا كنت تفعل لو كنت مكاني؟ قل الحقيقة يا صبي".

كان واضحا أنه كان متألما جدا لأنه تسبب في رسوبي. ولهذا فقد أخذت أثرثر لبعض الوقت. قلت له إنني أبله حقيقي، وما شابه ذلك. قلت له إنني كنت سأفعل نفس الشيء لو كنت مكانه، وشرحت له كيف أن معظم الناس لا يقدرون صعوبة أن يكون الإنسان مدرسا. ومضيت على هذا النحو من الحديث الفارغ.

المضحك إنني كنت أفكر في شيء آخر طيلة الوقت وأنا أقول له ذلك. أنا أسكن في نيويورك وكنت أفكر في البحيرة الصغيرة المالحة الواقعة في الجزء الجنوبي من حديقة (سنترال بارك). وكنت أتساءل، هل ستكون متجمدة عندما أعود، وإن كانت كذلك فماذا سوف يحدث للبط عندما تتجمد البحيرة وأين سيذهب. وتساءلت هل يأتي موظف يسوق سيارة شحن فيأخذ فيها البط إلى حديقة الحيوانات، أو إلى أي مكان آخر، أم هل يطير من تلقاء نفسه؟

أنا محظوظ، إذ كنت أستطيع أن أثرثر أمام سبنسر العجوز. وفي الوقت ذاته أفكر في تلك البطات. وذلك مضحك. إنك لا تحتاج لأي مجهود ذهني حين تكلم مدرسا. ثم فجأة قاطعني وأنا أثرثر ـ دوما يقاطعني:

"ما هو شعورك نحو هذا كله أيها الصبي؟ يهمني كثيرا أن أعرف، يهمني كثيرا جدا".

قلت:

"تعني طردي من بنسي وكل هذه الأشياء؟".

لكم وددت أن يغطي صدره الأعجف، فهو ليس آية من آيات الجمال.

قال:

"إذا لم أكن مخطئا فأنت واجهت بعض الصعوبات كذلك في مدرسة (هوتون) ومدرسة (الكتون هلز)".

لم يكن ساخرا فقط بل كان فظا أيضا.

قلت له:

"لم أواجه صعوبات كثيرة في (الكتون هلز) لم أطرد منها بل غادرتها".

"لماذا، إن كنت تسمح بهذا السؤال؟".

"لماذا. حسنا، أعتقد أنها قصة طويلة يا سيدي. أعني أنها معقدة جدا".

لم أكن أرغب في الحديث عن هذا الموضوع معه. وعلى أية حال فليس باستطاعته أن يفهمها، ولا يتناسب مع تفكيره. إن أحد الأسباب التي دعتني لمغادرة تلك المدرسة هو أنني كنت محاطا بأناس مزيفين. هذا كل ما هنالك. مثال ذلك، كان عندهم ذلك المدير مستر هاس، أكبر ابن زانية شاهدته في حياتي، وكان أسوأ عشر مرات من السيد ثرمر. في أيام الآحاد، مثلا، يندفع مصافحا الآباء والأمهات القادمين لزيارة أبنائهم. يصبح، عندها، فتانا للغاية.

أما إذا كان لأحد الطلبة والدان عجوزان، شكلهما مضحك، أعني إذا كانت أم الطالب قبيحة، أو كان أبوه من الذين يرتدون ملابس ذات أكتاف عريضة، أو أحذية ذات لون أبيض وأسود، فإنه يصافحهما فقط، في حين يستمر مع والدي طالب آخر لمدة نصف ساعة. وأنا لا أطيق ذلك، يصيبني بالجنون، ويجعلني حزينا وعصبيا. إنني أكره مدرسة (الكتون هلز) اللعينة.

ألقى عليَّ سبنسر العجوز سؤالا لم أتبينه لأنني كنت أفكر في هاس العجوز. قلت:

"وماذا كنت تقول يا سيدي؟".

"هل تشعر بالحزن لمغادرتك بنسي؟".

"لدي بعضه دون شك. بالتأكيد يوجد بعضه، ولكنه ليس كبيرا. لم ينتابني بعد على أية حال. أعتقد أنه لم ينفذ إليّ بعد. إنني أحتاج إلى بعض الوقت لكي أتأثر بالأحداث. كل ما أفكر فيه حاليا هو الذهاب إلى البيت يوم الأربعاء. إنني أعاني ضعفا عقليا".

"ألا تشعر باكتراث لمستقبلك على أي نحو أيها الصبي؟".

"إني أشعر بذلك إلى حد ما دون ريب. بالتأكيد لدي مثل هذا الشعور".

وفكرت قليلا ثم أضفت:

"ولكن ليس كثيرا جدا على ما أظن. ليس كثيرا جدا".

قال سبنسر العجوز:

"سوف تفكر في ذلك أيها الصبي. سوف يحدث ذلك ولكن عندما يفوت الوقت".

ضايقني ما قاله، إذ جعلني أشعر كأنني قد توفيت" وما شابه ذلك. كان ذلك مقبضا جدا. قلت:

"أعتقد أنني سوف أفعل".

"وأود أن تسمح لبعض الحس السليم أن يدخل رأسك أيها الصبي. إنني أحاول مساعدتك، أحاول مساعدتك إن استطعت".

كان يريد ذلك بالفعل. باستطاعتك أن ترى ذلك بوضوح.

ولكن المشكلة أننا كنا على طرفي نقيض. هذا كل ما في الأمر.

قلت:

"اعلم يا سيدي أنك تريد ذلك. وأنا أشكرك كثيرا، أشكرك بجد. إنني أقدر ما تفعلا. إنني حقيقة أقدره".

نهضت من فوق السرير. ما كنت لأجلس عليه عشر دقائق أخرى حتى ولو كان في ذلك إنقاذ حياتي. قلت:

"ولكن عليّ أن أنصرف الآن. هنالك الكثير من أدوات الرياضة التي يجب أن آخذها معي إلى البيت. لا بد من ذلك حقيقة".

نظر إليّ وأخذ يهز رأسه مرة أخرى، وعلى وجهه تلك النظرة الشديدة الجدية. وشعرت فجأة بإشفاق شديد نحوه. غير أنني لم استطع البقاء أكثر من ذلك، لأننا على طرفي نقيض، وبسبب أنه يخطئ الهدف كلما رمى شيئا على السرير، وكذلك بسبب روب الاستحمام وصدره العاري وتلك الرائحة الفظيعة لقطرة فكس للأنف التي تفوح من كل مكان.

قلت:

"اسمع يا سيدي. لا تشغل نفسك بي وأنا أعني ما أقول. سوف

أكون على ما يرام. كل ما هنالك أنني، حاليا أمر في فترة صعبة. كل الناس يمرون بمراحل وأشياء كهذه. أليس كذلك؟".

"لا أدري أيها الصبي، لا أدري".

أكره أن يرد عليّ أحد بمثل هذه الإجابة، قلت:

"بالتأكيد إن ذلك يحدث لهم، ذلك مؤكد وأنا أعنيه تماما يا سيدي. أرجوك ألا تشغل نفسك بي".

ووضعت يدي على كتفه وقلت:

"اتفقنا؟".

"ألا تحب أن تشرب كاكاو ساخنة قبل أن تنصرف؟ إن زوجتي سوف تكون...".

"أرغب في ذلك، حقيقة أرغب فيه، ولكن عليّ أن أنصرف. سوف أذهب رأسا إلى الملعب. شكرا، على أية حال. أشكرك كثيرا يا سيدي".

ثم تصافحنا، وكل ذلك الهراء. ولكنني كنت حزينا جدا. رغم ذلك.

"سوف أكتب لك رسالة. اهتم بصحتك يا سيدي".

"مع السلامة يا فتى".

وبعد أن أغلقت الباب خلفي وأخذت أعبر حجرة الطعام، صاح خلفي يقول شيئا لم أسمعه بوضوح. وأنا متأكد أنه صاح راجيا "حظا طيبا لي". أرجو ألا يكون قد قال ذلك. أرجو ذلك بعنف.

أنا لا أستطيع أن أصيح لأي كان: "حظا طيبا!" إنها تبدو مخيفة عندما تفكر فيها.

الفصل الثالث

إنني أكذب إنسان يمكن أن تراه في حياتك. وهو أمر مزعج. لو أنني كنت ذاهبا لأشتري مجلة وسألني أحدهم عن وجهتي فمن المحتمل أن أقول له بأنني ذاهب إلى دار الأوبرا. شيء مرعب بالفعل. وهكذا فإنني عندما قلت لسبنسر العجوز إنني ذاهب إلى الملعب لأحمل أدوات اللعب، فقد كنت أكذب، فإنني حتى لا أحتفظ بأدوات اللعب في الملعب.

حجرة نومي في (بنسي) واقعة في جناح (اوسنبرجر) التذكاري حيث توجد حجرات النوم المبنية حديثا. كانت الحجرات للطلبة الصغار والكبار، وكنت من الطلبة الصغار ولكن زميلي في الحجرة كان من الكبار. ولقد سمي هذا الجناح باسم (اوسبنرجر) الذي كان يدرس في (بنسي). وعندما تخرج منها جمع ثروة طائلة من تعهد الجنازات. فهو قد افتتح حوانيت لتعهد الجنازات في كل البلاد، وتستطيع كل عائلة أن تدفن أي فرد من أفرادها مقابل خمسة دولارات. كان عليك فقط أن ترى (اوسبنرجر) العجوز هذا، وأغلب الظن أنه كان يضع الموتى في كيس ويلقي بهم في النهر. على أية حال، فهو قد تبرع بمبلغ كبير من المال فسمي ذلك الجناح باسمه. وعندما أقيمت أول مباراة لكرة القدم في تلك

السنة الدراسية جاء إلى المدرسة راكبا سيارة كاديلاك. وكان علينا أن نقف ونحييه. وفي صباح اليوم التالي ألقى خطبة في الكنيسة استمرت حوالي عشر ساعات. بدأ خطبته بإلقاء حوالي خمسين نكتة حتى يبرهن لنا على خفة دمه. ثم أخذ يحكي لنا أنه عندما يواجه مشكلة فإنه لا يخجل قط من أن يركع على ركبتيه في الحال ويصلي للرب. ثم قال إن علينا أن نصلي للرب ـ نتحدث إلى الرب وغير ذلك من الأمور ـ وإننا نستطيع أن نفعل ذلك في أي مكان كنا فيه وقال: إن علينا أن نعتبر المسيح صديقا لنا، وقال إنه يتحدث إلى المسيح طيلة الوقت حتى عندما يقود سيارته. وقد غاظني ذلك جدا، عندما أتصور ابن الزانية، الضخم هذا يقود سيارته ويطلب من المسيح أن يرسل إليه مزيدا من العطايا.

الجزء اللطيف من تلك الخطبة كان عندما بلغ الخطيب منتصفها. أخذ يقول إنه رائع ونشيط وغير ذلك، ثم فجأة، إذ بذلك الفتى الجالس في الصف الذي أمامي واسمه (ادجار مارسالا) يطلق ضرطته المهولة. لم يكن حسنا أن يفعل ذلك في الكنيسة، ولكن ما فعله مارسالا العجوز كان مضحكا. لقد كاد أن ينسف سقف الحجرة. لا أظن أن أحدا قد ضحك بصوت عال ولكن (اوسبنرجر) تظاهر أنه لم يسمع شيئا، وأما ثرمر العجوز، مدير المدرسة، الجالس على المنصة بجوار الضيف فقد بدا واضحا أنه سمع. وكم كان غاضبا! لم يقل شيئا ساعتها ولكنه في الليلة التالية فرض علينا مذاكرة إجبارية، في القاعة، لكل الفصول ثم أتى هو وألقى خطبة. قال فيها إن الطالب الذي سبب الإزعاج في الكنيسة لا يستحق أن يكون طالبا في (بنسي). حاولنا أن نقنع مارسالا أن يطلق قذيفة أخرى أثناء خطبة ثرمر العجوز. غير أنه لم يكن في حالة مناسبة.

وعلى أية حـال فـأنا هنا أسكن في (بنسي)، في جناح (اوسنبـرجـر) التذكاري، في حجرات النوم المبنية حديثا.

كنت سعيدا بالعودة إلى حجرتي بعد أن غادرت سبنسر العجوز، فالجميع كانوا في المباراة وكانت الحجرة مدفأة في تلك الساعة. شعرت براحة عميقة. خلعت جاكتتي ورباط عنقي وفككت أزرار قميصي ثم وضعت القبعة على رأسي، تلك التي اشتريتها في ذلك الصباح من نيويورك. كانت قبعة من قبعات الصيد الحمراء، ذات قمة مدببة، شديدة الارتفاع. رأيتها في فترينة محل بيع الأدوات الرياضية بعد أن غادرنا قطار الأنفاق مباشرة، وذلك بعد أن اكتشفت ضياع الأدوات الرياضية لفريق الشيش. اشتريتها بدولار واحد. وضعتها على رأسي ورفعت قمتها إلى الخلف. كان منظرها قبيحا، أعترف بهذا، ولكنني أحببتها على هذه الصورة. وكنت أبدو وسيما وأنا ألبسها هكذا. ثم تناولت الكتاب الذي كنت أقرأه وجلست على الكرسي الخاص بي. فلي كرسي، والآخر لزميلي في الحجرة (وورد ستراد ليتر). كانت المساند في حالة سيئة، والجميع كانوا يجلسون فوقها ولكنهما كانا كرسيين مريحين.

كان الكتاب هو ذلك الذي استعرته بطريق الخطأ من المكتبة إذ أعطوني كتابا آخر غير الذي طلبته ولم أكتشف ذلك إلا بعد أن عدت إلى حجرتي. كان عنوانه (هناك في أفريقيا) بقلم اسحق دنسن. ظننته كتابا سمجا ولكنه لم يكن كذلك، كان ممتازا. وأنا إنسان شديد الجهل ولكنني أقرأ كثيرا. أحب كاتب إليّ هو أخي د. ب. ويليه (رنج لاردنر). وقد أهداني أخي كتابا من تأليف لاردنر بمناسبة عيد ميلادي قبل مجيئي إلى (بنسي) مباشرة. وكان الكتاب يحيوي على تلك

المسرحيات المضحكة، غير المعقولة، وكان فيه قصة عن عسكري المرور الذي وقع في غرام تلك الفتاة اللذيذة التي كانت تقود سيارتها بسرعة كبيرة. وكان عسكري المرور متزوجا فلم يستطع أن يتزوجها أو أي شيء آخر. ثم تموت الفتاة في حادثة لأنها كانت مسرعة، لقد قتلتني هذه القصة. أكثر ما يعجبني في الكاتب أن يكون ساخرا بين آن وآخر. لقد قرأت كثيرا من الكتب الكلاسيكية مثل (عودة المواطن) وغيره، وأحببتها. كما قرأت كثيرا من الكتب عن الحرب والروايات البوليسية، ولكنها لا تثيرني كثيرا. إن الكتب التي تثير اهتمامي بالفعل هي تلك التي عندما أنتهي من قراءتها أرغب في أن يكون المؤلف صديقا عزيزا لي وأستطيع أن أخابره بالتليفون في أي وقت شئت. ولكن ذلك لا يحدث كثيرا. لا مانع لدي من مخابرة اسحق دنسن بالتليفون، وكذلك رنج لاردنر لولا أن د. ب. قال لي أنه توفي. خذ كتابا مثل (أغلال إنسانية) من تأليف (سومرست موم)، قرأته في الصيف الماضي وهو كتاب ممتاز. ولكنني لا أحب أن أكلم سومرست موم بالتليفون. لست أدري لماذا، ولكنني لا أحب أن أخابره بالتليفون، وهذا كل ما هنالك. أفضل أن أكلم (توماس هاردي) بالتليفون لأنني أحببت (يوستاسيا فيف).

على أية حال، لبست قبعتي الجديدة ورحت أقرأ ذلك الكتاب (هناك في أفريقيا). قرأته من قبل، ولكنني كنت أود أن أعيد قراءة بعض أجزائه. كنت قد أكملت ثلاث صفحات عندما سمعت خطوات أحدهم قادما عبر ستائر الحمام، ودون أن أرفع رأسي عرفت القادم. إنه (روبرت أكلي) الذي يسكن في الحجرة المجاورة لحجرتي. كان يوجد

حمام بين كل حجرتين في جناحنا، وحوالي خمس وثمانين مرة في اليوم يعبر (أكلي) الحمام إلى حجرتي. وربما كنا نحن الاثنين الوحيدين من المدرسة كلها اللذين لم نشاهد المباراة. من النادر أن يذهب (أكلي) إلى أي مكان. كان شخصا غريبا، فهو من الطلبة الكبار وقد مضى عليه في المدرسة أربعة أعوام، ولكن الجميع كانوا ينادونه (أكلي) فقط. حتى زميله في الحجرة (هيرب جيل) لم يكن يناديه باسم بوب أو آك. إنه حتى لو تزوج فالأغلب أن زوجته سوف تناديه باسمه كاملا. كان مفرط الطول، طوله ستة أقدام وأربع بوصات، وأكتافه مدورة. وكان له أسنان قبيحة. طيلة فترة سكنه بجواري لم أره مرة واحدة يغسل أسنانه، ولهذا كانت تبدو مغطاة بطبقة صفراء مقززة، وقد يدفعك إلى التقيؤ مشاهدته في حجرة الطعام وفمه يمتلئ بالبطاطس المهروسة والبازلاء وغيرهما. وكان هنالك الكثير من البثور ليس فقط على جبينه وذقنه مثل بقية الأولاد ولكن على وجهه أيضا. لقد كان ولدا كريها، وإذا أردت الحق فأنا لست مهووسا بحبه.

كنت أستطيع أن أحس به واقفا على إفريز الحمام خلف كرسيي مباشرة، يتلفت حوله ليرى إن كان ستراد ليتر موجودا، كان يكره ستراد ليتر ويمتنع عن دخول حجرتي إذا رآه. كان تقريبا يكره الجميع.

هبط من فوق إفريز الحمام إلى الحجرة. قال:

"هاي!".

وكان يقول ذلك على الدوام وكأنه شديد الضجر أو مجهد جدا. كان يريدك أن تعتقد أنه جاء إليك بطريق الخطأ.

"هاي!".

قلت ولم أرفع رأسي. مع فتى مثل أكلي، لو رفعت رأسك فاعلم جيدا أنك انتهيت. إن النهاية حتمية على أية حال ولكنك تستطيع أن تؤخرها قليلا إن لم ترفع رأسك على الفور.

أخذ يتمشى ببطء شديد في الحجرة كعادته وهو يتفحص حاجياتي الشخصية من فوق المكتب والشوفنييرة. كان يلتقط دائما أشيائي الشخصية ويتأملها. إنه مثير للأعصاب دون ريب. قال:

"كيف كانت مباراة الشيش؟".

كان يرغب في أن يجعلني أتوقف عن القراءة لأمتع نفسي برؤيته. لم تكن لعبة الشيش تهمه في شيء. قال:

"هل غلبنا أو ماذا ؟".

قلت:

"لم يغلب أحد".

ولكنني لم أرفع رأسي عن الكتاب.

قال:

"ماذا ؟".

كان يجعلك دائما تقول الشيء نفسه مرتين، دائما، قلت:

"لم يغلب أحد".

ألقيت نظرة متلصلصة لأرى بأي شيء فوق شوفنيرتي كان يعبث. كان ينظر إلى صورة تلك الفتاة (سالي هيز) التي كانت صديقتي في نيويورك. وهو قد أمسك بها ونظر إليها خمسة آلاف مرة وبنفس الطريقة قبل الآن. وكان بالإضافة إلى ذلك يعيدها إلى مكان غير مكانها بعد أن ينتهي من تأملها. يفعل ذلك عن عمد، وكان بإمكانك أن تلاحظ ذلك.

قال:

"لم يغلب أحد. كيف ذلك؟".

"لقد نسيت الشيش والمعدات في قطار الأنفاق". وحتى هذه اللحظة لم أرفع رأسي إليه.

"في القطار، يا يسوع المسيح! تعني أنك أضعتها؟".

"لقد ركبنا قطارا آخر بطريق الخطأ، وكان عليّ باستمرار أن أنهض وأنظر إلى تلك الخارطة اللعينة المعلقة على الجدار".

اقترب حاجزا الضوء عني، فقلت:

"اسمع لقد أعدت قراءة هذه الجملة عشرين مرة منذ أن دخلت". لو كان إنسانا آخر غيره لفهم مقصدي، أما هو فلم يكن ذلك بإمكانه. قال:

"هل تعتقد أنهم سوف يجعلونك تدفع ثمنها؟".

"لا أعلم ولا يهمني ذلك في شيء. ما رأيك أيها الصبي أكلي لو جلست أو ابتعدت قليلا؟ إنك تحجب الضوء عني".

لم يكن يحب أن أدعوه (الصبي أكلي)، فهو يقول لي دائما إنني صبي صغير لمجرد أن عمري ستة عشر عاما بينما عمره ثمانية عشر عاما، لهذا كان يثير جنونه أن أدعوه "الصبي أكلي".

ظل واقفا مكانه. كان أحد أولئك الأولاد الذين يرفضون أن يبتعدوا حين تطلب منهم ذلك. سيبتعد في النهاية، ولكن ذلك يستغرق وقتا أطول إن أنت طلبت منهم ذلك.

قال:

"ماذا تقرأ بحق الجحيم؟".

"كتاب لعين".

دفع كتابي إلى الوراء ليقرأ عنوانه، ثم قال:

"هل هو كتاب جيد؟".

"هذه الجملة التي أقرأها رائعة".

أستطيع أن أكون ساخرا للغاية عندما يروق مزاجي، غير أنه لم يفهم السخرية. وأخذ مرة أخرى يتمشى في الحجرة يعبث بحاجياتي وحاجيات ستراد ليتر الشخصية. وفي النهاية ألقيت الكتاب على الأرض. إنك لن تستطيع قراءة أي شيء حين يكون شخص مثل (أكلي) قريبا منك. ذلك مستحيل.

انزلقت في الكرسي وأخذت أراقب (أكلي) وهو يتصرف بألفة وحرية وكأنه في بيته. كنت أشعر بالتعب بسبب رحلتي إلى نيويورك وما تلاها فأخذت أتثاءب. ثم خطر لي أن أعبث قليلا. وأنا في بعض الأحيان أمزح كثيرا عندما أشعر بالضجر.

وكان ما فعلته أن أدرت قبعتي ووضعت الجزء الذي كان في الخلف على عيني فلم أستطع الرؤية. ثم أخذت أقول بصوت أجش جدا:

"أعتقد أنني أصبت بالعمى. يا أمي الحبيبة. كل شيء هنا يحوطه ظلام كثيف".

قال أكلي:

"إنك مجنون. أقسم على هذا".

"أمي الحبيبة مدي لي يدك. لماذا لا تمدين لي يدك؟".

"بحق المسيح كن رجلا".

وأخذت أتحسس بيدي كما يفعل العميان ولكن دون أن أنهض وأنا أردد:

"أمي الحبيبة، لماذا لا تمدين لي يدك؟".

كنت أعبث فقط، بالطبع، ومثل هذا العبث يثير سروري أحيانا، كما أنني أعلم أن ذلك يزعج (أكلي) كثيرا. كان دائما يستثير ساديتي، وكثيرا ما أعامله بسادية.

وفي النهاية توقفت عن ذلك. ألقيت بالجزء الأعلى من القبعة إلى الخلف واسترخيت.

قال أكلي:

"من صاحب هذا؟".

كان يمسك بغطاء ركبة زميلي في الحجرة. إن أكلي يلتقط أي شيء تصل إليه يده. إنه لا يتوانى عن التقاط سروالك الداخلي.

قلت له إنه لستراد ليتر فألقاه على سريره.

التقطه من شوفنيرته وألقاه على سريره.

ثم سار وجلس على مسند كرسي ستراد ليتر. لم أره قط يجلس فوق كرسي. كان يجلس دائما فوق المسند.

قال:

"من أين أتيت بهذه القبعة بحق الجحيم؟".

"من نيويورك".

"كم ثمنها؟".

"دولار واحد".

"لقد ضحكوا عليك".

ثم راح ينظف أظافره اللعينة بورقة علبة الكبريت. كان ينظف أظافره باستمرار، وكان ذلك مضحكا على نحو ما. كانت أسنانه قذرة، وكذلك أذناه، ولكنه كان ينظف أظافره باستمرار.

أغلب الظن أن ذلك يجعله يعتقد أنه فتى أنيق. ألقى نظرة أخرى على قبعتي وهو لا يزال ينظف أظافره وقال:

"في بلدي نلبس مثل هذه القبعة حين نصيد الوعول، وحق المسيح إنها قبعة صيادي الوعول".

"وحق الجحيم إنها كذلك".

خلعتها وأخذت أنظر إليها. ثم أغلقت إحدى عيني كأنني أصوب بندقية وقلت:

"هذه قبعة صيادين، ولهذا فلسوف أصيد بها الناس".

"هل يعلم أهلك أنك طردت من المدرسة؟".

"لا".

"وأين ذهب ستراد ليتر؟".

"في المباراة. عنده موعد مع فتاة".

تثاءبت. كنت أتثاءب طيلة الوقت. كانت الحجرة دافئة جدا تجعل النعاس يستولي عليك. ففي (بنسي) إما أن تتجمد حتى الموت وإما تموت من الحر.

قال أكلي:

"ستراد ليتر العظيم..".

ثم أضاف:

"اسمح لي باستعمال مقصك لثوان قليلة. هل تمانع؟ هل هو موجود معك؟".

"لا. لقد وضعته مع الملابس فوق الدولاب".

قال:

"أخرجه لمدة ثانية. أتسمح؟ أود أن أقص هذا الظفر".

لا يهمه أبدا حتى وإن كنت قد وضعته في الحقيبة فوق الدولاب. ولكنني رغم هذا أعطيته المقص. وكاد ذلك يتسبب في قتلي، إذ في اللحظة التي فتحت فيها باب الدولاب سقط مضرب تنس ستراد ليتر الخشبي فوق رأسي مباشراً، فأحدث صوتا عاليا وآلمني كثيرا. وكاد ذلك يتسبب في قتل أكلي أيضا، إذ انطلق يضحك ضحكته العالية المزيفة، واستمر في ذلك وأنا أنزل حقيبتي وأخرج المقص من داخلها. وهكذا هو، فإن سقوط صخرة فوق رأسك تجعله يبدو وكأن أحدا يدغدغه

قلت له:

"حسك الفكاهي رائع أيها الصبي أكلي. هل تعلم ذلك؟". وأعطيته المقص ثم قلت له:

"لو كنت مديرك لجعلتك تتحدث في الإذاعة".

جلس على الكرسي وأخذ هو يقص إظفره القبيح. قلت:

"ما رأيك أن تضع إظفرك المقصوص فوق المكتب أو أي شيء آخر. فإنني لا أحب أن أدوس بقدمي الحافية فوق أظافرك المقصوصة".

ولكنه استمر يقص إظفره ويلقي القلامة على الأرض. أية أخلاق منحطة، وأنا أعني ما أقول:

قال:

"من هي الفتاة التي سوف يقابلها ستراد ليتر". كان دائماً يحب أن يعرف أسماء الفتيات اللاتي يقابلهن ستراد ليتر رغم أنه يمقت ستراد ليتر. قلت:

"لا أعرف. لماذا؟".

"لا شيء. إنني لا أطيق ابن الزانيـة ذاك. إنه أحـد أبناء الزواني الذين لا أطيقهم".

قلت:

"ولكنه مفتون بك. لقد قال لي إنه يعتقد أنك أمير لعين".

إنني كثيرا ما أطلق على الناس لقب أمير. إن ذلك يزيل الضجر عني.

قال أكلي:

"إنه متعال دائما. لا أطيق ابن الزانية، إنه يعتقد أنه..".

قلت:

"أتسمح أن تقص أظافرك فوق المكتب؟ لقد طلبت ذلك منك خمسين...".

قال أكلي:

"إنه متعال طيلة الوقت. أنا لا أعتقد أن ابن الزانية هذا ذكي، ولكنه يعتقد أنه ذكي، إنه يعتقد أنه أشد..".

"أكلي، بحق المسيح، أرجوك أن تقص أظافرك فوق المكتب. لقد طلبت ذلك منك خمسين مرة".

ثم أخذ يقص أظافره ويضعها فوق المكتب لمجرد التغيير. إن الوسيلة لتجعله يفعل شيئا أن تصرخ به.

راقبته بعض الوقت، ثم قلت:

"سبب غضبك من ستراد ليتر لأنه يحدثك عن ضرورة تنظيف أسنانك بين آن وآخر. لم يكن يقصد إهانتك حتى تغضب هكذا طبعاً لم يقل ذلك بطريقة سليمة ولكنه لم يكن يتعمد الإهانة كل ما كان يريد أن

يقوله إنك ستبدو أحسن شكلاً وسوف تشعر بإحساس أطيب إن نظفت أسنانك بين آن وآخر".

"إنني أنظف أسناني فدعك من هذا الهراء".

قلت:

"لا، إنك لا تفعل ذلك. لقد رأيتك وأنا أعلم أنك لا تنظفها".

لم أقل ذلك بطريقة مهينة، فبشكل ما شعرت بالأسف من أجله. أعني أنه ليس محببا أن يقول لك أحدهم إنك لا تنظف أسنانك.

قلت:

"ستراد ليتر لا غبار عليه، ليس رديئا للغاية، المشكلة أنك لا تعرفه معرفة كافية".

"ما زلت أصر أنه ابن زانية، ابن زانية ومغرور".

قلت:

"قد يكون ابن زانية ولكنه كريم النفس في أمور كثيرة. افرض مثلا أن ستراد ليتر كان يلبس ربطة عنق أو أي شيء آخر، وأعجبك ذلك الشيء. لتكن ربطة عنق وقد أعجبتك كثيرا، إنني أضرب لك مثلا. أتعلم ماذا سوف يفعل؟ الأغلب أنه سوف يخلعها ويعطيك إياها. سوف يفعل ذلك حقيقة. أو ـ أتعلم ماذا سوف يفعل؟ سوف يضعها على سريرك، أو فوق مكان كهذا. ولكنه سوف يعطيك ربطة العنق اللعينة تلك. بينما الأغلب أن معظم الأولاد الآخرين سوف..".

قال أكلي:

"بحق الجحيم لو كانت النقود التي عنده مثلها عندي لفعلت ذلك أيضا".

هززت رأسي وقلت:

"إنك لن تفعل هذا، لا، إنك لن تفعله أيها الصبي أكلي، إنك لن تفعل شيئا من هذا. لو كنت تملك نقوده لكنت واحدا من أكبر..".

"توقف عن مناداتي الصبي أكلي. اللعنة. إنني كبير إلى درجة أن أكون أباك".

"هذا غير صحيح".

يستطيع أن يكون مزعجا في بعض الأحيان، فهو لا يضيع فرصة ليخبرك أنك في السادسة عشر. وهو في الثامنة عشرة.

أضفت:

"أولا، لا أسمح لك أن تكون أحد أفراد عائلتي".

"كل ما هنالك توقف عن أن تدعوني..".

وفجأة انفتح الباب واندفع ستراد ليتر إلى الداخل شديد الاستعجال. وهو كذلك دائما. كل شيء بالنسبة له في غاية الأهمية. اقترب مني وضربني مرتين على وجهي معابثا. وهذا شيء يمكن أن يكون مزعجا إلى أبعد حد.

قال:

"هل تنوي الخروج الليلة".

"لست أدري، ربما. ولكن ما هذا؟ هل يسقط الثلج في الخارج؟".

كان الثلج يغطي معطفه.

"أجل.اصغ إلي. إذا لم يكن هنالك مكان محدد تذهب إليه فأعرني جاكتتك المنقطة بالأبيض والأسود".

قلت:

"من فاز في المباراة؟".

قال ستراد ليتر:

"لقد انتهى الشوط الأول وحسب. وسوف يتوقف اللعب. والآن، بجد، هل ستحتاج جاكتتك هذه الليلة؟ لقد سقط بعض الطعام على سترتي الرمادية".

قلت:

"لا أريد أن توسعها بكتفيك".

كان له نفس طولي ولكن وزنه كان ضعف وزني تقريبا. كان له تلك الأكتاف العريضة جدا.

"لن أوسعها".

ومضى إلى الدولاب بعجلة كبيرة. قال لأكلي:

"كيف حال الفتى أكلي؟".

كان ستراد ليتر فتى ودودا، أقل ما يقال عنه. بالطبع، كان بعض ذلك التودد مزيفا إلى حد ما ومصطنعا. ولكنه كان يحيي الفتى أكلي كلما رآه.

همهم أكلي عندما سأله ستراد ليتر عن حاله. لم يكن يريد أن يرد ولكنه لم يكن يملك الشجاعة الكافية ليمتنع عن الهمهمة.

قال لي أكلي:

"أعتقد أنني سوف أذهب. سوف أراك فيما بعد".

قلت:

"حسنا".

وعندما ينصرف أكلي إلى حجرته فإن قلبي لا ينفطر حزنا لفراقه.

أخذ ستراد ليتر يخلع جاكتته وربطة عنقه وملابسه وقال:

"أعتقد أنه من الأفضل أن أحلق لحيتي بسرعة".

كان شعر لحيته غزيرا، صدقني عندما أقول لك ذلك.

سألته:

"أين موعدك؟".

"إنها تنتظرني في بيت الطالبات".

غادر الحجرة حاملا جردل الاستحمام، وفوطته تحت إبطه، دون قميص أو أي شيء آخر. كان يسير عاري الصدر في كثير من الأحيان لأنه يعتقد أن له جسدا متناسقا، وأنا أعترف أن ذلك صحيح.

الفصل الرابع

لم يكن هنالك ما أفعله فتوجهت إلى الحمام وأخذت أتحدث مع ستراد ليتر وهو يحلق لحيته. لم يكن هناك غيرنا، أنا وستراد ليتر في الحمام، لأن الآخرين كانوا يتفرجون على المباراة. كانت الحرارة مرتفعة والبخار يغطي زجاج النوافذ، وهنالك عشرة جرادل لصق الجدار. وقد اختار ستراد ليتر الأوسط. جلست بجواره وأخذت أفتح حنفية الماء البارد ثم أغلقها. وكانت تلك إحدى عاداتي العصبية. استمر ستراد ليتر يصفر لحن "أغنية الهند" وهو يحلق. كان صفيره حادا ولم يكن يتقن اللحن قط. وهو يختار لحنا يصعب تأديته بالصفير حتى لمن يتقن أداء الألحان بالصفير. مثل أغاني "أغنية الهند" و "مذبحة في الشارع العاشر" كان قادرا بالفعل على تشويه ألحان الأغاني.

تذكر أنني قلت لك أنه كان لأكلي بعض العادات الشخصية القذرة؟ وكذلك ستراد ليتر وإن كان ذلك بشكل مختلف وعلى نحو غير ظاهر. فمظهره لا غبار عليه ولكن كان عليك أن ترى موسى الحلاقة الذي يحلق به ذقنه، فقد كان صدئا وملوثا برغاوي الصابون الجافة والشعر وغير ذلك، لم ينظفه قط. كان يبدو دائما حسن المظهر عندما ينتهي من ارتداء ملابسه، غير أنه كان له عاداته القذرة غير الظاهرة، تستطيع أن

تكتشفها إذا عرفته أنت كما أعرفه أنا. والسبب الذي يجعله حسن المظهر عندما ينتهي من ارتداء ملابسه إنه كان يعشق ذاته. كان يعتقد أنه أوسم فتى في الجزء الغربي من الكرة الأرضية. كان وسيما جدا، أعترف بهذا، ولكن وسامته كانت من ذلك النوع الذي يجعل أبويك إن رأيا صورته في كتاب المدرسة السنوي يتساءلان "من ذلك الفتى؟". كانت وسامته من هذا النوع.

إنني أعرف فتيانا في (بنسي) أكثر وسامة من ستراد ليتر، ولكنهم لا يبدون كذلك في الكتاب السنوي. سوف يبدون وكأن لهم أنوفاً كبيرة. أو آذاناً بارزة. وأنا قد مررت بهذه التجربة كثيرا.

على أية حال كنت أجلس على البانيو الذي بجوار ستراد ليتر أفتح الحنفية وأغلقها وهو يحلق لحيته. كنت ما أزال أرتدي قبعة الصيادين ملقيا قمتها إلى الخلف. فعلا، كنت سعيدا بها.

قال ستراد ليتر:

"هاي، هل تود أن تسدي لي جميلا؟".

قلت:

"ماذا؟".

لم أكن شديد الحماس، إذ هو لا يكف عن مطالبتك بإسداء جميل له. هؤلاء الفتية الوسيمون جدا، أو الذين يظنون أنهم فتانون وبارعون يطالبونك دائما بإسداء جميل لهم. ولمجرد أنهم مفتونون بأنفسهم فهم يعتقدون أنك مفتون بهم أيضا وأنك على استعداد لقتل نفسك حتى تسدي لهم جميلا. إنه أمر مضحك، على نحو ما.

قال:

"هل ستخرج الليلة؟".

"قد أخرج وقد لا أخرج. لماذا؟".

قال:

"هناك مئة صفحة من مادة التاريخ عليّ أن أقرأها ليوم الاثنين، فماذا لو كتبت لي موضوع إنشاء لمادة اللغة الإنكليزية؟ سوف أكون في وضع حرج إن لم أنته من هذا الشيء اللعين قبل يوم الاثنين. ولهذا أطلب مساعدتك. ماذا تقول"؟.

كان وضعا مضحكا، حقيقة كان كذلك. قلت:

"إنني أنا الذي سوف أطرد من هذا المكان اللعين، وأنت تريدني أن أكتب لك موضوع إنشاء؟".

"أجل إنني أعلم، ولكن المهم أنني سوف أكون في وضع حرج إذا لم أقدمه. فكن جدعا. كن ولدا جدعا. موافق؟".

لم أرد على الفور فالتوتر مفيد لأولاد الزنا من أمثال ستراد ليتر.

قلت:

"حول ماذا؟".

أي شيء، أي شيء وصفي. حجرة، بيت أو شيء عشت فيه أو أي شيء، أنت تعرف. اجعله طويلا ووصفيا بشكل جهنمي".

وتثاءب طويلا وهو يقول ذلك، وهو شيء يضايقني إلى أقصى حد ـ أي عندما يطلب أحدهم أن تسدي إليه جميلا ثم يتثاءب وهو يطلب ذلك.

قال:

"ولكن لا تجعله جيدا للغاية. هذا كل ما هنالك".

ثم أضاف:

"ابن الزانية هارتزل يعتقد أنك ممتاز، باللغة الإنكليزية، ويعلم أننا نسكن في نفس الحجرة، ولهذا فلا داعي لأن تضع النقاط والفواصل في مكانها الصحيح".

وهذا شيء آخر يثير حنقي، أعني إذا كنت تحسن كتابة موضوعات الإنشاء ثم يبدأ أحدهم يكلمك عن الفواصل. وكان ستراد ليتر يفعل ذلك دائما. كان يريدك أن تعتقد أن السبب الوحيد الذي يمنعه من كتابة موضوعات إنشاء جيدة هو أنه يضع الفواصل في غير مكانها. وكان في هذا يشبه أكلي إلى حد ما. كنت أجلس مرة بجوار أكلي نشاهد مباراة كرة سلة وكان عندنا ذلك الفتى الرائع من لاعبي فريقنا (هاوي كويل) الذي كان باستطاعته أن يصيب الهدف من منتصف الملعب، يسدد دائما دون أن يجعل الكرة تصيب اللوح الخشبي الذي يمسك بالسلة، كان أكلي يقول طيلة المباراة أن كويل له جسد يصلح تماما لكرة السلة. يا الله كم أكره هذا اللغو.

ضجرت من الجلوس على طرف البانيو فأخذت أرقص رقصا إيقاعيا، لمجرد أن أفعل شيئا. وأنا لا أجيد هذا النوع من الرقص ولكن الأرض كانت من الحجر وهي صالحة للرقص الإيقاعي. أخذت أقلد الراقصين في الأفلام الموسيقية، رغم أنني أكره الأفلام كرهي للسم ولكنني أستمتع بتقليدها. كان ستراد ليتر العجوز يطالعني في المرآة وهو يحلق. كنت أحتاج إلى مشاهدين لأن عندي ميولا استعراضية.

قلت:

"إنني ابن حاكم ولاية لعين".

كنت أجهد نفسي وأنا أرقص بإيقاع عبر المكان كله. قلت:

"الحاكم لا يريد أن أصبح راقصا، يريدني أن اذهب إلى أوكسفورد، ولكن هذا الرقص الموقع في دمي".

ضحك ستراد ليتر. لم يكن حسه الفكاهي رديئا، قلت:

"هذه ليلة افتتاح (حماقات ريجفلد)".

تلاحقت أنفاسي فلم أعد أستطع التنفس.

قلت:

"إن بطل الفيلم لا يستطيع الاستمرار، إنه مخمور كابن زانية. فمن هو الذي سوف يختارونه ليحل مكانه؟ لقد اختاروني أنا، الابن اللعين للحاكم".

قال ستراد ليتر:

"من أين أتيت بهذه القبعة؟".

كان يعني قبعة الصيادين التي لم يرها حتى تلك اللحظة. كنت مبهور الأنفاس، على أية حال، ولذا كففت عن العبث، خلعت قبعتي ونظرت إليها للمرة التاسعة عشر تقريبا.

"اشتريتها من نيويورك هذا الصباح بدولار واحد. هل أعجبتك؟".

أحنى ستراد ليتر رأسه وقال:

"لذيذة".

كان يتملقني لأنه أضاف على الفور:

"أصغ إلي. هل تكتب موضوع الإنشاء ذاك؟ أحب أن أعرف".

قلت:

"إذا كان لدي الوقت فسأكتبه وإلا فلا".

سرت وجلست على البانيو بجواره. سألته:

"من هي الفتاة التي ستقابلها؟ فتز جيرالد"؟

"لا يا للجحيم! لقد قلت لك من قبل إن علاقتي بتلك الخنزيرة قد انتهت".

"حقيقة؟ تنازل لي عنها، لا أمزح، إنها من النوع الذي يعجبني".

"خذها، ولكنها كبيرة عليك".

وفجأة، وبلا سبب سوى أنني كنت في مزاج عابث، شعرت بالرغبة في القفز من على البانيو وإحاطة عنق ستراد ليتر بذراعي في حركة مصارعة يمكن بها خنق الخصم. وفعلت ذلك بعد أن انقضضت عليه كالنمر.

قال ستراد ليتر:

"توقف عن هذا يا هولدن بحق المسيح!".

لم يكن عنده نية للعبث. كان يحلق ومع ذلك. أضاف:

"هل تريدني أن.. أن أجز رأسي اللعين؟".

ولكنني مضيت في ذلك، ممسكا به بتمكن. قلت:

"خلص نفسك من قبضتي الشريرة".

"يا يسوع المسيح".

وضع ماكينة الحلاقة ونفض ذراعه فجأة إلى أعلى وتخلص من ذراعي. كان فتى قويا، وأنا ضعيف جدا. قال:

"والآن كف عن هذا العبث".

وعاود الحلاقة. كان دائما يحلق لحيته مرتين ليبدو رائعا، مستعملا موسى حلاقته القذر. سألته:

"من هي تلك التي ستقابلها إن لم تكن فتز جيرالد؟".

جلست على البانيو بجواره مرة ثانية. أضفت:

"أهي فيلس سميث؟".

"لا، كان من المفروض أن تكون هي. غير أنه حدث خطأ في الترتيبات. ولهذا فسوف أقابل زميلة فتاة (بدثو) التي تسكن معها في نفس الحجرة.. كدت أنسى. إنها تعرفك".

"من هي التي تعرفني؟".

"الفتاة التي سوف ألتقي بها".

قلت:

"صحيح؟ ما اسمها؟".

كنت متلهفا. قال:

"دعني أتذكر.. آه إنها جان جالاجر".

كدت أقع ميتا عندما قال ذلك الاسم. قلت:

"جين جالاجر".

ونهضت عندما قال ذلك الاسم وأنا أكاد أسقط ميتا.

"إنك على حق، إنني أعرفها، لقد تجاورنا في الصيف قبل الماضي وكان عندها ذلك الكلب (الدوبر مان بنشر) الضخم اللعين. وقد تقابلنا على النحو التالي، كان كلبها يأتي دائما إليّ.."

قال ستراد ليتر:

"بحق المسيح يا هولدن إنك تحجب الضوء عني ألا تقف هناك؟".

كنت منفعلا. كنت كذلك حقيقة. سألته:

"أين هي؟ يجب أن أنزل وأسلم عليها. أين هي؟ في بيت الطالبات؟".

"أجل".

"في أية مناسبة ذكرتني؟ هل تذهب إلى معهد الباليه حاليا؟ لقد قالت إنها سوف تدرس فيه، أو ربما في (شبلي)، ظننت أنها ذهبت إلى (شبلي). في أية مناسبة ذكرتني جين؟".

كنت منفعلا جدا. حقيقة كنت. قال ستراد ليتر:

"وحق المسيح لا أعرف. انهض قليلا لو تسمح؟ أنت تجلس على فوطتي".

كنت أجلس على فوطته السخيفة.

قلت:

"جين جالاجر. يا يسوع. المسيح!".

لم أعد قادرا على تمالك نفسي.

كان ستراد ليتر يضع زيت فيتاليس على شعره من زجاجتي.

قلت:

"إنها راقصة باليه. كانت تتدرب ساعتين يوميا حتى عندما يكون الطقس أشد ما يكون حرارة. كانت قلقة لخوفها أن تصبح سيقانها قبيحة، مكتنزة وغير ذلك. كنت ألعب معها الشطرنج طيلة الوقت".

"ما الذي كنت تلعبه معها؟".

"الشطرنج".

"الشطرنج؟ بحق المسيح!".

"أجل. لم تكن تحرك الملك. هذا ما كانت تفعله. كانت تبقيه في الصف الأخير. تدع الملوك في الصف الأخير ولا تحركهم. كانت تحب شكله عندما يكون في الصف الأخير".

لم يقل شيئا. فأمثال هذه الأشياء لا تثير اهتمام معظم الناس.
قلت:
"كانت أمها عضوة في نادينا. كنت أحمل مضارب الجولف حتى أحصل على بعض النقود. حملت مضارب أمها مرتين. كانت تستطيع بمئة وتسعين ضربة أن تدخل الكرة في تسعة ثقوب".
لم يكن ستراد ليتر يصغي إليّ. كان مشغولا بتسريح شعره البديع.
قلت:
"يجب أن أنزل إليها وأحييها على الأقل".
"لماذا لا تفعل ذلك؟".
"سوف أفعله خلال دقيقة".
أخذ يسرح شعره وكان ذلك يستغرق ساعة كاملة. قلت:
"أبوها وأمها مطلقان. تزوجت أمها مرة ثانية رجلا سكيرا. إنني أذكره. كان نحيلا، ذا ساقين ضامرتين، وكان يرتدي بنطلونا قصيرا طيلة الوقت. قالت جين. إنه من المفروض أن يكون كاتباً مسرحياً أو شيئاً لعيناً كهذا ولكنه لم يكن يفعل شيئا سوى شرب الخمر والاستماع إلى المسلسلات الإذاعية، وكان يسير في البيت عاريا، وجين في البيت".
قال ستراد ليتر:
"صحيح؟".
أثار ذلك اهتمامه أعني حديثي عن السكير والتمشي عاريا داخل البيت وجين موجودة. لقد كان ستراد ليتر ابن زانية شبقا. قلت:
"كانت طفولتها شقية. لا أمزح".
ولكن ذلك لم يثر اهتمامه. الجانب الجنسي فقط هو الذي يجتذبه.

"جين جالاجر بحق المسيح".

لم أستطع أن أبعدها عن ذهني. حقيقة لم أستطع.

"يجب أن أذهب وأقول لها هالو على الأقل".

قال ستراد ليتر:

"لماذا لا تفعل ذلك بحق الجحيم بدلا من ترديده لما لا نهاية".

سرت إلى الشباك فلم أستطع رؤية أي شيء لأن بخار الماء كان يغطي الزجاج، قلت:

"لا أشعر بالرغبة في ذلك هذه اللحظة".

وهذا صحيح. يجب أن تكون في مزاج مناسب حتى تفعل أمثال هذه الأشياء.

"ظننت أنها ذهبت إلى شبلي. كنت أستطيع أن أقسم على ذلك".

أخذت أتمشى قليلا. لم يكن هناك ما أفعله، قلت:

"هل استمتعت جين بالمباراة؟".

"أظن ذلك. لست أدري".

"هل قالت إننا كنا نلعب الشطرنج سويا طيلة الوقت، أو شيئا كهذا؟".

قال ستراد ليتر:

"وحق المسيح لست أدري. هذه أول مرة أقابلها".

كان قد انتهى من تسريح شعره الجميل وأخذ يضع أدوات الزينة في مكانها.

"أرجوك أن تبلغها تحياتي. هل تسمح؟".

إن غلاما مثل ستراد ليتر لا ينقل تحياتك إلى الآخرين.

عاد إلى حجرته وبقيت بعض الوقت في الحمام، أفكر في جين ثم عدت إلى الحجرة بدوري.

كان ستراد ليتر يلبس رباط عنقه أمام المرآة عندما دخلت. كان يقضي نصف حياته اللعينة أمام المرآة. جلست على كرسي وأخذت أراقبه بعض الوقت.

قلت:

"اصغ إلي، لا تقل لها إنهم طردوني تسمح؟".

"كما تريد".

أحد الأشياء التي تعجبني في ستراد ليتر أنك لا تحتاج إلى شرح كل شيء له مهما صغر، مثلما تفعل مع أكلي. السبب الأساسي كما أعتقد، هو أنه ليس شديد الاهتمام بالآخرين. هذا هو السبب الحقيقي، أما أكلي فهو ابن زانية، غلباوي.

لبس جاكتتي. قلت:

"يا يسوع. والآن شدها إلى أقصى ما تستطيع".

لم أكن قد لبستها سوى مرتين. قال:

" لاتخف. أين علبة سجائري؟".

"فوق المكتب".

كان دائما ينسى أين يضع حاجياته. قلت:

"تحت قفازك".

تناولها ووضعها في جيب جاكتته ـ أي جاكتتي.

جذبت قمة قبعة الصيادين على وجهي لمجرد التغيير. وأصبحت عصبيا فجأة. فأنا ولد عصبي. سألته:

"إلى أي مكان سوف تذهب أنت وفتاتك هل حددت مكاناً؟"
"لا أدري ربما ذهبنا إلى نيـويورك إن كـان لدينا وقت كـاف. لقـد أخذت إذنا حتى التاسعة والنصف بحق المسيح".
لم أحب الطريقة التي قال بها ذلك، فقلت:
"السبب الذي جعلها تفعل ذلك، ربما يرجع إلى أنها لم تكن تعلم أي ابن زانية وسيم وساحر سوف تقابل. لو كانت تعلم ذلك فأغلب الظن أنها كانت سوف تطلب إذنا حتى العاشرة والنصف صباحا".
قال ستراد ليتر:
"أنت محق".
لا تستطيع إثارته بسهولة لأنه كان شديد الغرور. قال:
"دعنا من المزاح الآن. اكتب ذلك الموضوع".
لبس معطفه واستعد للخروج. قال:
"لا تجهد نفسك كثيرا، أكثر من الوصف إلى أقصى حد ـ موافق؟".
لم أرد. لم أشعر برغبة في الرد. كل ما قلته:
"اسألها إن كانت لا تزال تبقي الملك في الصف الأخير".
قال ستراد ليتر:
"لك ذلك".
وأنا أعلم أنه لن يفعل ذلك. ثم أضاف:
"خذ المسألة ببساطة".
واندفع خارجا من الحجرة.
جلست حوالي نصف ساعة في الحجرة بعد أن انصرف. أعني جلست على الكرسي دون أن أفعل شيئا. وأخذت أفكر في جين وفي لقائها مع

ستراد ليتر وما شاكل ذلك لقد جعلني ذلك عصبيا إلى حد الجنون. لقد قلت لك أن ستراد ليتر ابن زانية يتمتع بجاذبية جنسية.

فجأة اندفع أكلي خلال ستائر الحمام كالعادة. ولأول مرة في حياتي البليدة كنت سعيدا برؤيته لأنه صرفني عن الموضوع الآخر. بقي معي حتى حان وقت العشاء. كان يتحدث خلال ذلك عن كل الفتيان الذين يدرسون في (بنسي) وكيف أنه يكرههم. أخذ يعصر بثرة كبيرة في ذقنه ولم يحاول الاستعانة حتى بمنديل. لا أعتقد أن ابن الزانية يمتلك منديلا، إذا كنت تريد الحق. لم أره قط يستعمل منديلا على أية حال.

الفصل الخامس

كنا نأكل نفس الطعام كل يوم سبت في (بنسي). وكان يفترض أنه عشاء فاخر لأنهم يقدمون لنا شواء. وأنا أراهن أن سبب ذلك أن أهالي الطلبة يزورون المدرسة أيام الآحاد. ولهذا فإن ثرمر العجوز قد فكر في المسألة فتخيل أن أم كل طالب سوف تسأل ابنها الحبيب بماذا تعشى الليلة الماضية وأن ابنها سوف يرد: شواء. عملية نصب. عليك أن ترى ذلك الشواء. كان قطعا صغيرة جافة يصعب قطعها بالسكين. وكان معه دائما تلك البطاطس المهروسة. وبعد ذلك الحلوى (براون بيتي) التي لا يقربها أحد، عدا، ربما، أطفال الفصول الدنيا بسبب جهلهم وأمثال أكلي الذين يلتهمون كل شيء يقدم لهم.

عندما غادرنا حجرة الطعام كان المنظر جميلا. الثلج يغطي الأرض بسمك ثلاث بوصات، وما زال يتساقط بشكل جنوني. كان جميلا جدا، أخذنا نكوره ونتقاذف به. كان ذلك لعبا طفوليا ولكن الجميع كانوا مستمتعين.

لم يكن لدي أي ارتباط ولهذا قررت أنا وصديقي (مال بروساد) وهو عضو في فريق المصارعة أن نركب الباص إلى مدينة (اجر ستاون) لنتناول الهامبرغر وربما شاهدنا أحد تلك الأفلام السخيفة. سألت (مال)

إن كان يمانع أن يأتي أكلي معنا. وقد طلبت إليه ذلك لأن أكلي لا يفعل شيئا في ليلة السبت سوى الجلوس في حجرته، والعبث بالبثور التي في وجهه. أو أشياء كهذه. قال (مال) إنه لا يمانع في ذلك رغم أنه ليس مغرما بهذه الفكرة. لم يكن يحب أكلي كثيرا. على أية حال، دخلنا حجرتنا لنستعد، وبينما كنت ألبس حذاء المطر الواقي فوق حذائي العادي صحت مناديا أكلي وسألته إن كان يود أن يذهب إلى السينما. كان يستطيع سماعي بوضوح ولكنه لم يرد عليّ فورا. كان من ذلك النوع الذي لا يحب أن يرد عليك فورا. وأخيرا جاء عبر الستارة اللعينة ووقف على إفريز الحمام وسألني عمن سيرافقنا. وأنا مستعد أن أقسم أنه لو غرقت سفينة بهذا الولد، وجئته بزورق إنقاذ لعين لامتنع عن ركوبه إلى أن يعرف اسم الفتى الذي يقود الزورق. قلت له إن مال بروساد هو الذي سيرافقنا. قال:

"ابن الزانية ذاك... حسنا. انتظر ثانية واحدة".

كأنه يسدي إليك جميلا.

وهو يحتاج إلى خمس ساعات لارتداء ملابسه. فتحت الشباك خلال ذلك وصنعت كرة من الثلج، وكان الثلج مناسبا جدا، واحتفظت بها، فكرت أن اضرب بها سيارة كانت تقف على الرصيف المقابل ثم عدلت عن ذلك. ثم فكرت أن اقذف بها ماسورة المطافئ ولكنها كانت بيضاء، لطيفة الشكل مثل السيارة. وفي نهاية الأمر احتفظت بها دون أن ألقيها على أي شيء. كل ما فعلته أنني أغلقت النافذة وتجولت في الحجرة وأخذت أضغط كرة الثلج بين يدي لأجعلها أكثر صلابة. وعندما ركبنا الباص. أنا وبروساد وأكلي، وكنت ما أزال أحمل الكرة الثلجية

فتح السائق الباب وطلب مني أن أرميها في الخارج قلت له إنني لن أقذف بها أحداً ولكنه لم يصدقني. إن الناس عادة لا يصدقونك.

كان بروساد وأكلي قد شاهدا الفيلم الذي تعرضه السينما من قبل، ولهذا اكتفينا بتناول قطعتين من الهامبرغر ولعبنا دورين في ماكينة الروليت الصغيرة. ثم ركبنا الباص وعدنا إلى بنسي. لم أحزن لعدم مشاهدتي الفيلم الذي يفرض أنه فليم كوميدي، يمثل فيه كاري كرانت وغير ذلك من السخافات. وكنت قد ذهبت إلى السينما قبل ذلك مع بروساد وأكلي، وكانا يضحكان كضبعين على أشياء غير مضحكة على الإطلاق، ولم أستمتع حتى بالجلوس إلى جوارهما في السينما. كانت الساعة تشير إلى التاسعة إلا ربع عندما عدنا إلى حجرات النوم. كان بروساد مغرما بلعبة البريدج فأخذ يبحث عن مجموعة يلعب معها. أما أكلي فقد قرر أن يجلس في حجرتي لمجرد التغيير ولكن بدلا من أن يجلس على مسند كرسي ستراد ليتر تمدد على سريري واضعا وجهه فوق مخدتي وما شابه ذلك. ثم أخذ يتحدث بذلك الصوت الرتيب ويفقأ كل البثور التي في وجهه. ألقيت ألف تلميح ولكنه أصر على البقاء، ومضى بصوته الرتيب جدا يحكي عن فتاة يزعم أنه ضاجعها في الصيف الماضي. لقد روى هذه الحكاية حوالي مئة مرة قبل ذلك. وفي كل مرة كان يرويها بشكل مختلف. أحيانا يقول إن ذلك حدث في سيارة البويك التي يملكها ابن عمه. ومرة أخرى يزعم أنه ضاجعها على شاطئ البحر. وكان ذلك كله بالطبع لغوا فارغا. فهو ما زال بكرا، وأشك أنه لمس فتاة في حياته. وفي النهاية قلت له إنني سوف أكتب موضوع إنشاء لستراد ليتر وطلبت إليه بحق الجحيم أن يغادر الحجرة حتى أستطيع التركيز.

وانصرف أخيرا بعد أن تلكأ لبعض الوقت كعادته. وبعد انصرافه ارتديت بيجامتي وروب الحمام وقبعة الصيد، وبدأت أكتب موضوع الإنشاء.

عجزت عن أن أركز تفكيري في الكتابة عن حجرة أو بيت أو أي موضوع من الموضوعات التي اقترحها ستراد ليتر. وأنا لست مغرما بوصف الحجرات والبيوت على أية حال. ولهذا كتبت في النهاية موضوعا عن قفاز البيسبول الذي كان يملكه آلي. كان ذلك موضوعا وصفيا للغاية، حقيقة كان. فقد كان لأخي (آلي) ذلك القفاز الذي كان يلبسه في يده اليسرى، وكان أخي أعسر، يستعمل يده اليسرى. والجزء الوصفي من الموضوع أنه كتب أشعارا بالحبر الأخضر على كل جزء من أجزاء القفاز، وقد كتب تلك الأشعار ليتسلى بها في الملعب حين يكون خاليا، ولم يرم أحد له الكرة.

لقد توفي أخي. كان مصابا بسرطان الدم وتوفي عندما كنا في (مين) في ١٨ تموز / يوليو، ١٩٤٦، لو كنت عرفته فلسوف تحبه. كان أصغر مني بسنتين ولكنه أذكى مني خمسين مرة. لقد كان لامع الذكاء وكان المدرسون يكتبون رسائل لأمي يقولون إنها متعة حقيقية أن يكون آلي تلميذا في فصولهم. ولم يكونوا يقولون ذلك مجاملة بل كانوا يعنون ما يقولون. ولم يكن أذكى فرد في العائلة وحسب. بل كان أحسن فرد فيها من عدة نواحٍ. لم يفقد أعصابه قط مع أن المفروض أن يكون كل ذو شعر أحمر سريع الغضب. وآلي لم يكن يفقد السيطرة على أعصابه رغم أن شعره أحمر جدا. سوف أحكي لك أي نوع من الشعر الأحمر كان له.

بدأت ألعب الجولف منذ كنت في العاشرة. وأذكر ذات صيف وذلك عندما بلغت الثانية عشرة وأصبحت قادرا أن أضرب كرة الجولف جاءني

إحساس بأنني إذا التفت فسوف أرى آلي. التفت بالفعل فرأيته راكبا دراجته خلف السور. كان هناك سور يحيط بأرض الملعب. على بعد مئة وخمسين ياردة، وكان يراقبني وأنا ألعب. هذا هو الشعر الأحمر الذي كان له. وكان صبيا طيبا جدا. كان أحيانا وهو على مائدة الطعام يضحك بشدة على شيء خطر له حتى يكاد يسقط من فوق كرسيه. كنت في الثالثة عشر من عمري وكانوا قد عزموا على إجراء تحليل نفسي لي وغير ذلك من الأمور بسبب أنني حطمت جميع نوافذ الكراج. وأنا لا ألومهم، حقيقة لا ألومهم. نمت في الكراج ليلة أن مات آلي وحطمت جميع النوافذ بقبضة يدي دون أن أكترث بشيء. وحاولت أيضا تحطيم نوافذ السيارة (الستيشن واجن) التي كانت عندنا في ذلك الصيف. غير أن يدي كانت مجروحة وكنت عاجزا تماما فلم أستطع تحطيم نوافذ السيارة. لقد كان ذلك شيئا سخيفا، أعترف بهذا. ولكنني فعلت ذلك دون وعي، فأنت لا تعرف آلي. لا تزال يدي تؤلمني بين آن وآخر خاصة عندما تمطر الدنيا، كما أنني لا أستطيع استعمال قبضتي استعمالا حقيقيا، وهذا هو الشيء الوحيد الذي يهمني ولا شيء آخر. أعني بهذا أنني لا أحلم أن أكون جراحا لعينا، أو عازف كمنجة أو أي شيء من هذا النوع.

على أية حال، فقد كان هذا هو موضوع الإنشاء الذي كتبته لستراد ليتر عن قفاز آلي، الذي أحمله معي في حقيبتي. أخرجته من الحقيبة ونقلت الأشعار المكتوبة عليه. وكل ما كان عليّ أن أفعله أن أغير اسم آلي حتى لا يعرف أحد أنه أخي بل يظن أنه أخ لستراد ليتر. لم أكن متحمسا لكتابة ذلك ولكنني لم أستطع أن أتذكر شيئا آخر يمكن أن

يكون وصفيا، كما انني رغبت الكتابة في هذا الموضوع. وقد استغرقتني كتابته ساعة كاملة لأنني استعملت آلة ستراد ليتر الكاتبة وهي ليست في حالة جيدة، في كل مرة كانت حروفها تتشابك. أما آلتي الكاتبة فقد أعرتها لولد ينام في القاعة تحت.

انتهيت من الكتابة حوالي الساعة العاشرة والنصف لم أكن متعبا. فلهذا أخذت أنظر من النافذة لبعض الوقت. توقف سقوط الثلج، وكنت أسمعه صادرا من أماكن مختلفة صوت سيارة يحاول صاحبها تشغيلها ويفشل. وكنت أسمع شخير أكلي ينفذ عبر ستائر الحمام. كان يعاني بعض المتاعب، إذ كان يعاني من بعض المتاعب في جيوبه الأنفية. كان مصابا بكل الأمراض تقريبا: الجيوب الأنفية، البثور، أسنان قبيحة، ورائحة فم كريهة، وأظافر قذرة.. ولا بد أن يجعلك ذلك تشعر ببعض الشفقة على ابن الزانية المأفون هذا.

الفصل السادس

من الصعب أن نتذكر بعض الأشياء. يصدق ذلك على حالي حين عاد ستراد ليتر من لقائه مع جين. أعني أنني لا أستطيع أن أتذكر ماذا أفعل بالضبط عندما سمعت وقع أقدامه البليدة اللعينة في الممر. ربما كنت ما أزال أطل من الشباك، ولكنني أقسم أنني لا أستطيع أن أتذكر. وذلك يعود إلى أنني كنت شديد الضجر. عندما أكون قلقا، فأنا لا أتسكع ولا أسترخي. وعندما يقلقني شيء فإنه حتى وإن حصرتني الرغبة في الذهاب إلى دورة المياه فإنني لا أذهب لأنني قلق. لا أحب أن أتوقف عن قلقي وأذهب. لو كنت تعرف ستراد ليتر فلسوف تقلق مثلي. لقد التقينا بفتيات أنا وهو سويا مرتين، ولهذا فأنا أعرف ما أقول. كان لا يتورع عن شيء. كان كذلك بالفعل.

كانت أرض الممر مغطاة بشمع الليونوليوم وكان بالإمكان سماع خطواته اللعينة وهي تتجه إلى الحجرة. لا أذكر أين كنت جالسا عندما دخل. أكنت أطل من الشباك أم كنت جالسا على كرسيي أم على كرسيه؟. أقسم أنني عاجز عن تذكر ذلك. دخل وهو يشكو من شدة البرد في الخارج، ثم قال:

"أين ذهب الجميع بحق الجحيم؟ المكان يبدو كمشرحة الجثث المجهولة".

ولم أحاول الرد عليه. فما دام غبيا حتى أنه لا يستطيع أن يدرك أن هذا اليوم هو السبت والجميع إما في الخارج، وإما مستغرقون في النوم، أو ذهبوا ليقضوا إجازاتهم الأسبوعية في بيوتهم.. ما دام لا يستطيع إدراك ذلك فلا سبب يدعوني إلى قتل نفسي حتى أوضح له ذلك. أخذ يخلع ملابسه ولم يقل كلمة لعينة واحدة عن جين، حتى ولا كلمة واحدة. وقد فعلت نفس الشيء فلم أقل شيئا عنها، واكتفيت بمراقبته. كل ما فعله أنه شكرني لسماحي له بارتداء جاكتتي المنقطة. ثم وضعها في حمالة وعلقها في الدولاب.

سألني وهو يخلع رباط عنقه إن كتبت ذلك الموضوع اللعين. قلت له إنني كتبته ووضعته على سريره. سار وتناوله وأخذ يقرؤه وهو يفك أزرار قميصه. ثم أخذ يقرؤه وهو يتحسس صدره ومعدته العاريين وعلى وجهه ذلك التعبير البليد. كان دائما يداعب بطنه وصدره. إذ هو مفتون بنفسه لدرجة الجنون. قال فجأة:

"بحق المسيح يا هولدن، هذا عن قفاز بيسبول لعين".

قلت ببرود:

"وماذا في ذلك؟".

"ماذا تعني بقولك (وماذا في ذلك؟) قلت لك إنه يجب أن يكون عن غرفة لعينة أو بيت أو شيء كهذا".

"لقد قلت إنك تريده وصفيا فماذا يمنع بحق الجحيم أن يكون عن قفاز بيسبول؟".

كان غاضبا إلى أقصى حد. حقيقة كان غاضبا. قال:

"اللعنة. تفعل الأشياء دائما بالعكس".

نظر إلي وأضاف:

"أنا لا أستغرب أنهم سوف يطردونك من هذا المكان. إنك لا تفعل شيئا واحدا كما يجب. إنني أعني ما أقول. لا شيء أبدا".

قلت:

"حسنا، أعده إليّ إذن".

سرت نحوه وجذبت المقال ومزقته. قال:

"لماذا فعلت ذلك بحق الجحيم؟".

لم أرد. رميت المزق في سلة المهملات وتمددت على السرير. لم يقل أي منا شيئا لمدة طويلة، خلع ملابسه كلها ولم يبق إلا بنطلونه القصير. أشعلت سيجارة وأنا متمدد على السرير. لم يكن مسموحا بالتدخين في حجرات النوم، لكن ذلك ممكن عندما يكون الطلبة في الخارج أو نياما حتى لا يشم أحد رائحة الدخان. دخنت حتى أغيظ ستراد ليتر إذ يفقد عقله عندما يخالف أحد الأنظمة. لم يدخن قط في حجرة النوم. أنا وحدي أفعل ذلك.

طيلة ذلك الوقت لم يقل شيئا عن جين. قلت:

"تأخرت كثيرا عن التاسعة والنصف. هل أخرت جين أيضا عن موعد عودتها؟".

كان يجلس على طرف السرير يقص أظافر قدميه اللعينة.

عندما سألته قال:

"انتظر دقيقتين".

ثم أضاف:

"من بحق الجحيم يستأذن حتى التاسعة والنصف ليلة السبت؟". يا الله، كم كرهته ساعة ذاك. قلت:

"هل ذهبت إلى نيويورك؟".

"هل أنت مجنون؟ كيف نذهب إلى نيويورك ما دامت قد استأذنت حتى التاسعة والنصف؟".

"ذلك صعب".

نظر إليّ وقال:

"إذا كنت مصرا على التدخين فلماذا لا تكملها في دورة المياه؟ أنت سوف تغادر هذا المكان، ولكنني يجب أن أبقى حتى تخرج".

تجاهلته. حقيقة تجاهلته وأخذت أدخن بجنون. كل ما فعلته أنني استدرت على جانبي وأخذت أراقبه وهو يقلم أظافر قدميه اللعينة. أية مدرسة هي هذه حيث عليك على الدوام أن تراقب أحدا وهو يقص أظافر قدميه اللعينة أو يعتصر البثور التي في وجهه، وما شابه ذلك!

سألته:

"هل بلغتها تحياتي؟".

"أجل".

وحق الجحيم أن ابن الزانية لم يفعل شيئا من ذلك.

قلت:

"ماذا قالت؟ هل سألتها إن كانت لا تزال تبقي ملكها في آخر صف؟".

"لا، لم أسألها. ماذا كنت تظننا نفعل طيلة الليل بحق المسيح، نلعب الشطرنج؟".

لم أرد عليه. يا الله كم كرهته.

سألته بعد قليل:

"ما دمتما لم تذهبا إلى نيويورك، فأين ذهبتما؟".

لم أستطع أن أمنع صوتي من الارتعاش. شعرت بالغرابة. كان قد انتهى من تقليم أظافر قدميه اللعينة ونهض من فوق سريره وهو لا يرتدي غير الشورت وقد راودته الرغبة في العبث. اتجه نحوي وضرب كتفي مداعبا. قلت:

"توقف عن هذا. أين ذهبتما إذن؟".

"لم نذهب إلى أي مكان. جلسنا في السيارة فقط".

ولطم كتفي بإحدى ضرباته المعابثة السخيفة. قلت:

"توقف عن هذا. سيارة من؟".

"سيارة ادبانكي".

أدبانكي هو مدرب كرة السلة في بنسي. كان ستراد ليتر أحد الذين يدللهم أدبانكي لأن ستراد ليتر هو متوسط هجوم الفريق، ولذا كان يستعير سيارته أي وقت شاء. لم يكن مسموحا للطلبة باستعارة سيارات المدرسين ولكن رابطة وثيقة كانت تجمع بين أبناء الزنا الرياضيين وفي كل مدرسة ذهبت إليها كان أولاد الزواني الرياضيون يتكتلون سوية.

استمر ستراد ليتر يضربني في كتفي معابثاً. كان يمسك بفرشاة أسنانه في يده فوضعها في فمه. قلت:

"ماذا فعلت معها؟ استمتعت بها في سيارة ادبانكي؟".

كان صوتي يرتعش بشكل مخيف.

"أي سؤال. هل تريدني أن أنظف فمك بالصابون؟".

"هل استمتعت بها؟".

"هذا سر المهنة يا فتى".

لا أتذكر بوضوح ماذا حدث بعد ذلك. كل ما أذكره أنني غادرت سريري متظاهرا بالذهاب إلى الحمام وأنني حاولت أن اضربه بكل قوتي، أن أوجه قبضتي إلى فرشاة الأسنان التي في فمه لأجعلها تشق حلقه اللعين. غير أنني أخطأت الهدف وأصبته في جانب رأسه أو قريبا من ذلك. الأغلب أنه تألم قليلا، ولكن ليس بالقدر الذي أردته. ربما كان سوف يتألم أكثر لو لم أستعمل يدي اليمنى التي لا أستطيع استعمالها بكفاءة بسبب الجروح التي حدثتك عنها.

وفي اللحظة التالية وجدت نفسي على الأرض اللعينة ورأيته جالسا فوق صدري، وجهه شديد الاحمرار. أعني أنه كان يضع ركبته اللعينة على صدري وكان يزن طنا على الأقل، وكان يمسك برسغي فلم أستطع أن أوجه إليه ضربة أخرى. كنت قادرا على قتله لو أتيح لي ذلك.

كان يردد ووجهه البليد يزداد احمرارا.

"ما الذي حدث لك بحق الجحيم؟".

قلت له:

"أبعد ركبتك اللعينة عن صدري".

كنت أصرخ بصوت عال. قلت:

"خف عني يا ابن الزانية القذر".

ولم يستجب. استمر يمسك برسغي ومضيت أقول يا ابن الزنا وغير ذلك لمدة تزيد على عشر ساعات. وأنا عاجز عن تذكر كل ما قلته. قلت له هل يظن أنه يستطيع الاستمتاع بأية فتاة يشاء، ولا يهتم إن كانت تلك الفتاة تبقي ملكها في آخر صف في الرقعة أم لا، وأنه لا يهتم لأي شيء لأنه أبله وبليد ولعين. كل الحمقى لا يحبون أن تقول لهم أنهم حمقى.

قال ووجهه أحمر وبليد:

"اخرس يا هولدن، اخرس قلت لك".

"إنك حتى لا تعرف إن كان اسمها جين أو جون، أيها الأبله".

قال:

"اخرس الآن يا هولدن، اللعنة، إنني أحذرك إن لم تغلق فمك فسوف أضربك".

لقد أثرته بالفعل. صحت:

"ابعد ركبتك القذرة، العفنة، البلهاء من فوق صدري".

"سوف أدعك فهل تغلق فمك؟".

لم أحاول حتى أن أرد.

ردد قوله مرة أخرى:

"إذا تركتك يا هولدن فهل تصمت؟".

"أجل".

نهض من فوقي فنهضت أنا أيضا. كان صدري يؤلمني جدا بسبب ركبتيه اللعينتين. قلت له:

"أنت ابن زانية قذر وبليد وأبله".

أثاره ذلك جدا فأخذ يهز إصبعه الكبير البليد في وجهي:

"اللعنة، إنني أحذرك يا هولدن. لآخر مرة إن لم تخرس".

قلت ـ كنت أصرخ تقريبا ـ:

"لماذا أغلق فمي؟ هذه هي بالتحديد مشكلتكم أيها البلهاء، إنكم لا تريدون أن تناقشوا شيئا. هذه إحدى صفات البلهاء، إنهم لا يرغبون في مناقشة أي شيء بذكاء..".

ثم لكمني. وأية لكمة! في اللحظة التالية كنت واقعا على الأرض اللعينة، لا أتذكر إن لكمته هي التي أوقعتني على الأرض ولكنني لا أظن ذلك. من الصعب أن تلقي بإنسان على الأرض بلكمة إلا في الأفلام اللعينة. ولكن الدم كان ينزف من أنفي. وعندما نظرت إلى فوق كان ستراد ليتر يقف فوقي مباشرة يضع فوطة الاستحمام تحت إبطه، قال:

لماذا لا تصمت عندما أطلب إليك ذلك.

كان عصبياً الأغلب أنه كان خائفاً أن تكون جمجمتي قد شرخت حيث سقطت مع الأسف أن ذلك لم يحدث قال:

"لقد أردت أنت ذلك، اللعنة".

كم كان قلقا! لم أحاول حتى أن أنهض. ظللت ممددا على الأرض بعض الوقت وأنا أقول إنه ابن زانية وأبله. كنت غاضبا جدا فلذا كنت أزعق.

قال ستراد ليتر:

"اصغ إليّ. قم واغسل وجهك. أتسمعني؟".

قلت له فليذهب هو ويغسل وجهه المأفون وكان قولي سخفا ولكنني كنت غاضبا إلى حد الجنون. قلت له أن يتوقف في طريقه إلى الحمام ويستمتع بزوجة البواب السيدة شميدث، وعمرها حوالي خمسة وستين عاما.

بقيت جالسا على الأرض حتى سمعت ستراد ليتر يغلق باب الحجرة ويسير في الممر متجها إلى الحمام. عندها نهضت وبحثت عن قبعة الصيد اللعينة فلم أجدها. ثم وجدتها في النهاية تحت السرير. لبستها، ملقيا قمتها إلى الخلف. كما أحب أن ألبسها، ثم وقفت وألقيت نظرة على وجهي البليد في المرآة. لن ترى شيئا داميا كهذا قط في حياتك.

هنالك دماء على فمي وذقني، وحتى على بيجامتي وروب الحمام. لقد أخافني وفتنني هذا المنظر. كل ذلك جعلني أبدو قويا. لقد تشاجرت مرتين في حياتي وانهزمت في المرتين. لست قويا، بل أنا مسالم، إذا أردت الحق.

أتاني إحساس بأن أكلي العجوز قد سمع كل شيء وأنه مستيقظ. ولهذا سرت عبر ستارة الحمام نحو حجرته لأرى فقط ماذا كان يفعل. من النادر أن اذهب إلى حجرته. كانت تفوح منها رائحة عفونة غريبة لأنه لم يكن يهتم بنظافتها

الفصل السابع

شعاع ضئيل من الضوء كان يتسرب من حجرة نومه عبر ستائر الحمام، وكنت أستطيع أن أراه مستلقيا على السرير. كنت أعلم تماما أنه صاح. قلت:

"أكلي هل أنت مستيقظ؟".

"أجل".

كان الظلام حالكا، وتعثرت بحذاء فكدت أسقط على الأرض. رفع أكلي جسده من فوق السرير واتكأ على كوعه، كان قد وضع مرهما أبيض لعلاج البثور التي في وجهه. بدا كشبح في الظلام. قلت:

"ماذا تفعل بحق الجحيم؟".

"ماذا تعني بقولك ماذا كنت أفعل؟ كنت أحاول النوم قبل أن تثيرا ذلك الضجيج. ما سبب شجاركما؟".

"أين الضوء؟".

لم أستطع أن أجد الضوء رغم أنني تحسست الحائط كله. قال:

"لماذا تريد الضوء؟ إنه بجانب يدك مباشرة".

في النهاية وجدت مفتاح الضوء، فأضأت الحجرة، ورفع أكلي العجوز يديه ليحجب الضوء عن عينيه. قال:

"يا يسوع! ماذا حدث لك؟".

كان يشير إلى الدم. قلت:

"عراك بسيط مع ستراد ليتر".

ثم جلست على الأرض. لم يكن في الحجرة كراسي. لا أدري ماذا فعل أكلي وزميله بهما.

قلت:

"اصغ إلي، هل تحب أن نلعب الكانستا؟".

كان بارعا في لعبها، قال:

"بحق المسيح، ما زلت تنزف، خير لك أن تضع شيئا على الجرح".

"سيتوقف من تلقاء نفسه. هل تريد لعب الكانستا أم لا؟".

"نلعب الكانستا بحق المسيح. بالمناسبة هل تعرف كم الساعة الآن؟".

"ما زال الوقت مبكرا. إنها حوالي الحادية عشرة أو الحادية عشرة والنصف".

قال أكلي:

"حوالي فقط! اصغ إلي. عليّ أن أنهض باكرا وأذهب إلى الكنيسة بحق المسيح. في حين تبدؤون في الصراخ والعراك في منتصف.. وبالمناسبة، ماذا كان سبب عراككما؟".

قلت له:

"حكاية طويلة وأنا لا أحب أن أضجرك يا أكلي. إنني أفكر في مصلحتك..".

لم أحاول أبدا أن أحدثه عن حياتي الخاصة. فهو أشد بلادة حتى من ستراد ليتر. إن ستراد ليتر عبقري إذا ما قورن به. قلت:

"اسـمع، هل تمانع من أن أنام في سـرير (إلي) هذه الليـلة؟ إنـه لن يعود قبل مسـاء الغد، أليس كذلك؟ إنني متـأكد من ذلك، فـهـو يذهب إلى أهله في نهاية كل أسبوع تقريبا".

قال أكلي:

"إنني لا أعلم متى يعود".

أزعجني قوله هذا فقلت:

"ماذا تعني بحق الجحيم بقولك إنك لا تعلم متى يعود. إنه لا يعود إلا في ليلة الأحد، أليس كذلك؟".

"بحق المسيح لا أستطيع أن أقول ببساطة لأي كان أن ينام في هذا السرير متى أراد".

أثار ذلك جنوني. مددت ذراعي وأنا جالس على الأرض وربت على كتفه اللعين وقلت:

"أنت أمير أيها الصبي أكلي، أتعلم ذلك؟".

"إنني جاد. لا أستطيع أن أسمح لأي كان أن ينام في ..".

قلت:

"أنت أمير حقيقي. أنت جنتلمان وعالم أيها الصبي".

وهو كذلك بالفعل. أضفت:

"بالمناسبة، هل معك سجائر؟ قل: لا، وسوف أسقط ميتا".

"ليس معي سجائر في الحقيقة. اصغ إلي، ما سبب الشجار؟".

لم أرد. كل مـا فـعلتـه هو أنـني وقـفت وأخـذت أطل مـن الشـبـاك. شعرت فجأة بالوحدة، ووددت لو أموت.

قال ذلك للمرة الخمسين وكان ذلك مضجرا. قلت:

"بسببك".

"بسببي؟ بحق المسيح!".

"أجل كنت أدافع عن شرفك اللعين. وصفك ستراد ليتر بأنك شخصية تافهة، فلم أطق ذلك".

أثاره ذلك فتساءل:

"هل قال ذلك؟ دون مزاح، أقال ذلك؟".

قلت له إنني أمزح، ثم تمددت إلى سرير (إلي). كنت أشعر بضيق ووحدة.

قلت:

"هذه الحجرة لها رائحة عفنة. أستطيع أن أشم رائحة جواربك من مكاني هذا. هل تبعثها إلى الغسيل؟".

قال أكلي:

"إذا كانت الحجرة لا تعجبك فأنت تعلم ما عليك أن تفعله".

ولد فكه دون ريب. أضاف:

"ما رأيك لو تطفئ هذا الضوء اللعين؟".

لم أطفئ الضوء مباشرة. ظللت ممددا على سرير (إلي) أفكر في جين طيلة الوقت. كان التفكير فيها وفي ستراد ليتر وهما في تلك السيارة الكبيرة يبعث في الجنون. وكلما ازددت تفكيرا في ذلك أحسست برغبة في إلقاء نفسي من الشباك. الشيء المهم هو أنني أعرف ستراد ليتر وأنت لا تعرفه. معظم الفتيان في (بنسي) يتكلمون عن علاقات جنسية أقاموها. مثل أكلي، ولكن ستراد ليتر هو الذي يفعل ذلك حقيقة. إنني أعرف فتاتين، على الأقل، ضاجعهما. هذه هي الحقيقة.

قلت:

"قص عليّ، أيها الصبي أكلي، قصة حياتك المثيرة".

"مـــا رأيك لو تطفئ الضـــوء. يجب أن أذهب إلى القـــداس في الصباح".

قمت وأطفأت الضوء، فأسعده ذلك. ثم تمددت على سرير (إلي).

قال أكلي:

"ماذا تريد أن تفعل.. تنام في سرير إلي؟".كان مضيفا ممتازا.

"لا تقلق. ربما نمت وربما لم أنم فيه".

"لست قلقا ولكنني لا أحب أن يجيء (إلي) فجأة ويرى فتى..".

"هدئ أعصابك. لن أنام هنا. لن أهين ضيافتك".

وبعد دقيقتين علا شخيره. ظللت متمددا، وأنا أحاول ألا أفكر في جين وهي مع ستراد ليتر في سيارة أدبانكي. المؤلم في الموضوع أنني كنت أعرف تكنيك ستراد ليتر. وهذا ما جعل الأمور أشد سوءا. كنا سويا مع فتاتين في سيارة أدبانكي. كان ستراد ليتر يجلس في الخلف مع فتاته وأنا وفتاتي نجلس في الكرسي الأمامي. وكان يبدأ الحديث مع فتاته بصوت هادئ مخلص.. ليقنعها أنه ليس فتى جميلا وحسب ولكنه مخلص وطيب أيضا. كدت أتقيأ وأنا أصغي له. وكانت فتاته تردد طيلة الوقت: لا، أرجوك، أرجوك لا تفعل هذا، أرجوك". ولكن ستراد ليتر استمر يتدفق بهذا الصوت المخلص، الشبيه بصوت إبراهام لينكولن، ثم يسود فجأة الصمت في السيارة. كان ذلك مربكا بالفعل. لا أعتقد أنه ضاجع الفتاة في تلك الليلة، ولكنه كاد يفعل.

وبينما كنت متمددا على السرير أحاول ألا أفكر سمعت ستراد ليتر

يعود من دورة المياه إلى حجرتنا. كنت تستطيع أن تسمعه وهو يضع أدوات الحمام القذرة ثم يفتح النافذة. كان مجنونا بالهواء النقي. وبعد قليل أطفأ الضوء ولم يحاول أن يعرف أين كنت.

وحتى في الشارع كان كل شيء مقبضا. لم أسمع صوت سيارات تمر، وأحسست بالضيق والوحدة. وراودتني رغبة أن أصحي أكلي من نومه.

قلت همسا حتى لا يسمعني ستراد ليتر من خلال ستائر الحمام:

"هاي أكلي".

ولكن أكلي لم يسمعني.

"هاي أكلي".

ولم يسمعني. كان ينام كقطعة من الحجر.

"هاي أكلي!".

سمعني هذه المرة. قال:

"ماذا بك بحق الجحيم؟ لقد كنت نائما".

سألته:

"اصغ إلي، ما هي الإجراءات الضرورية لدخول الدير"؟.

كنت أتدبر هذه الفكرة في رأسي. أضفت:

"هل من الضروري أن تكون كاثوليكيا وغير ذلك؟".

"طبعا يجب أن تكون كاثوليكيا. ولكن هل صحيتني يا ابن الزنا من النوم لتلقي عليّ هذا السؤال الأبله..".

"عد إلى نومك. لن أدخل الدير على أية حال لأنه، بمثل حظي السيئ، فسوف أنضم إلى دير يحتوي على النوع السيئ من الرهبان، أي أنهم سيكونون جميعا أولاد زنا بليدين، أو مجرد أولاد زانيات".

عندما قلت ذلك نهض أكلي وجلس على سريره. قال:

"اصغ إلي، لا يهمني ما ستقوله عني ولكنك إن أخذت تسخر من ديانتي، فبحق المسيح.."

قلت:

"هدئ أعصابك، لا أحد يسخر من ديانتك".

نهضت من فوق السرير واتجهت نحو الباب. لم أكن أريد أن أبقى في ذلك الوسط السخيف أكثر من ذلك. غير أنني توقفت قليلا وصافحت يد أكلي بحرارة زائفة. جذبها من يدي وقال:

"ما الفكرة؟".

قلت:

"لا شيء سوى أن أشكرك لكونك أميرا لعينا إلى أبعد حد".

ثم أضفت بذلك الصوت المشحون بالإخلاص:

"إنك أعظم إنسان أيها الصبي أكلي أتعرف ذلك؟".

"شديد الذكاء. في يوم قريب سوف يهشم أحدهم..".

لم أحاول أن أصغي إليه. أغلقت الباب وسرت في الممر.

كان الجميع إما نياما، وإما ذهبوا لأهاليهم بمناسبة الإجازة الأسبوعية، وكان الهدوء شديدا جدا، جدا، جدا، ومقبضا في الممر. وهنالك تلك العلبة الورقية الفارغة لمعجون أسنان كولينوس خارج حجرة ليهي وهوفمان، وخلال مسيري في الممر نحو السلم كنت أدفع هذه العلبة بشبشبي المبطن بفراء الخروف. كنت قررت النزول لأرى مال بروساد. وفجأة عدلت عن ذلك وقررت ما يجب عمله - أن أغادر بنسي تلك الليلة بالذات ولا أنتظر حتى يوم الأربعاء. لم أعد أستطيع البقاء الذي كان

يشعرني بالحزن الشديد والوحدة. وما عزمت عليه أمري هو أن استأجر حجرة في أحد فنادق نيويورك، فندق رخيص، وأبقى حتى يوم الأربعاء. وفي يوم الأربعاء أذهب للبيت وأكون قد استرحت وانتعشت. وقدرت أن والدي لن يتسلم رسالة ثرمر العجوز التي يخبره فيها بطردي قبل يوم الثلاثاء أو الأربعاء، ولم أرغب في الذهاب إلى البيت قبل أن تكون قد وصلتهما تلك الرسالة وقد هضماها واستوعباها. لا أحب أن أكون موجوداً ساعة تسلمها لأن أمي سوف تصاب بحالة هستيرية، ولكنها لن تكون في حالة سيئة جدا بعد أن تستوعب هذا النبأ. بالإضافة إلى هذا فأنا في حاجة إلى إجازة لأن أعصابي مضطربة، حقيقة مضطربة.

وعلى كل حال، فهذا ما قررت أن أفعله، وبهذا عدت إلى حجرتي وأضأت المصباح الكهربائي لأحزم أمتعتي، ولقد كنت قد بدأت بحزم بعضها بالفعل. ظل ستراد ليتر العجوز مستغرقا في النوم. أشعلت سيجارة وارتديت ملابسي وحزمت الحقيبتين. استغرق ذلك دقيقتين، فأنا أحزم أمتعتي بسرعة.

شيء واحد ضايقني وأنا أحزم أمتعتي، كان عليّ أن أحزم حذائي التزلج الجديدين تقريبا، واللذين أرسلتهما لي أمي منذ يومين. لقد ضايقني حين تصورت أمي تدخل محلات سبولدنج وتلقي على البائع ألف سؤال سخيف، وها أنا ذا أطرد من المدرسة مرة أخرى. ولقد اشترتهما في حين أنني لست بحاجة إليهما، إذ كنت بحاجة إلى حذاء انزلاق، ولكن ذلك جعلني حزينا على أية حال. وفي أغلب الأحيان، عندما يهدي إليّ أحدهم هدية، أشعر بالحزن بعد ذلك.

وبعد أن انتهيت من حزم أمتعتي عددت نقودي. لا أذكر العدد

ولكنها كانت كثيرة، فمنذ أسبوع أرسلت لي جدتي حزمة منها. وأنا لي تلك الجدة المبذرة، وهي وإن تكن ضعيفة العقل الآن، إلا أنها طاعنة في السن، فإنها لا تزال ترسل لي نقودا بمناسبة عيد ميلادي حوالي أربع مرات في السنة. ومع أن معي الكثير من النقود فلقد تصورت أنني بحاجة إلى المزيد، لا أحد يعرف ماذا سوف يحدث. لهذا سرت وأيقظت (فردريك وودروف) من نومه وهو الفتى الذي أعرته آلتي الكاتبة. سألته كم سيدفع ثمنا لها، وكان غنيا جدا. قال إنه لا يدري، وهو ليس متحمسا لشرائها. وفي النهاية اشتراها. لقد اشتريتها بتسعين دولارا، ولكنه اشتراها بعشرين إذ كان غاضبا لأنني أيقظته.

وعندما أعددت حقائبي وتأهبت للمغادرة وقفت لحظة بجوار السلم وألقيت نظرة أخيرة على ذلك الممر اللعين، كنت على أهبة البكاء ولا أدري السبب. لبست قبعتي وألقيت قمتها إلى الوراء بالشكل الذي أحبه ثم صحت بأعلى صوتي: "ناموا جيدا أيها البلهاء!". وأنا أراهن أنني أيقظت جميع أولاد الزانيات الذين كانوا نائمين في ذلك الطابق. ثم خرجت. كان أحد السخفاء قد ألقى قشور فول سوداني على درجات السلم فكدت أسقط وأحطم عنقي.

الفصل الثامن

كان الوقت متأخرا فلم أعثر على سيارة أجرة. ولهذا مشيت الطريق كله إلى المحطة التي لم تكن بعيدة ولكن الجو كان شديد البرودة. والسير في الثلج كان صعبا. كما أن الحقيبتين كانتا تصطدمان بساقي، فتسببان لهما ألما. رغم هذا استمتعت بالهواء النقي، ولكن مشكلتي الوحيدة أن البرد آلم أنفي، كما كانت شفتي العليا تؤلمني في موضع لكمة ستراد ليتر، تلك اللكمة التي ضغطت بعنف شفتي على أسناني. وكانت أذناي دافئتين، لأن تلك القبعة التي اشتريتها كان لها غطاء للأذنين، أنزلتهما. ولم أكترث آنذاك لمظهري. على أية حال، لم يكن أحد في الخارج، لقد اختبأ الجميع في جحورهم.

لحسن حظي جاء القطار بعد عشر دقائق من وصولي إلى المحطة. وخلال فترة انتظار القطار ملأت كفي بالثلج وغسلت به وجهي. ما زالت بعض الدماء عالقة بوجهي.

وأنا، عادة، أحب ركوب القطارات خاصة في الليل، عندما يكون القطار مضاء من الداخل والنوافذ شديدة السواد. ثم أتى أحد الفتيان الذين يبيعون القهوة والسندويتشات والمجلات.

وأنا عادة أشتري سندويتش فخذ خنزير واحد وأربع مجلات وعندما

أركب القطار في الليل أستطيع حتى أن أقرأ إحدى تلك القصص البلهاء في المجلة دون أن أتقيأ. وأنت تعرف ما أعنيه. إحدى تلك القصص والتي فيها عدد من الشبان المزيفين ذوي الفك الرقيق ويدعون ديفيد، وعدد من الفتيات المزيفات يسمونهن لندا أو مارسيا وهن طيلة الوقت يشعلن غلايين هؤلاء الديفيدات. إنني قادر حتى على قراءة هذه القصص التافهة في قطار ليلي. غير أن الأمر كان مختلفا هذه المرة، فلم أشعر برغبة في القراءة وإنما جلست لا أفعل شيئا. كل ما فعلته أنني خلعت قبعتي ووضعتها في جيبي.

ثم فجأة. جاءت تلك السيدة التي ركبت القطار من محطة (ترنتون) وجلست بجواري. كانت العربة كلها فارغة تقريبا لأن الوقت كان متأخرا، ورغم ذلك جلست إلى جواري بدلا من أن تجلس في أحد الأماكن الخالية، وذلك لأنها كانت تحمل تلك الحقيبة الكبيرة وأنا كنت في الكرسي الأمامي، فألقت الحقيبة في الممر عرضة لأن يطأها المحصل أو أي إنسان آخر في مروره. وكانت تزين صدرها بزهرة الأوركيد مما يدل على أنها كانت في حفلة كبيرة. كانت في الأربعين أو الخامسة والأربعين من عمرها إلا أنها كانت جميلة جدا. لا شيء يثيرني مثلما تثيرني النساء، وهذه حقيقة. لا أعني بالطبع أنني شبق رغم أنني أملك قدرة جنسية كبيرة. بمعنى آخر إنني أحب النساء وهن، على الدوام ، يلقين حقائبهن اللعينة في منتصف الممر.

وبالاختصار جلسنا فإذا بها تقول فجأة لي:

"أرجو المعذرة، هل تلك علامة مدرسة بنسي؟".

كانت تنظر إلى حقيبتي الموضوعة على الرف. قلت:

"أجل إنها كذلك".

كانت محققة فعلامة بنسي على حقيبتي. منظر قبيح جدا، أعترف بهذا.

قالت: "هل أنت طالب في بنسي؟".

كان صوتها حلوا كصوت حلو يتكلم في التليفون. كان عليها أن تحمل معها تليفونا لعينا. قلت:

"أجل أنا طالب فيها".

"أوه، هذا لطيف. ربما تعرف ابني، إذن، اسمه أرنست مورو وهو طالب في بنسي".

"أعرفه، فنحن في نفس السنة الدراسية".

كان ابنها أكبر ابن زانية عرفته بنسي خلال تاريخها القذر. كان دائما يسير في الممر بعد أن يستحم يضرب كل من يقابله على عجيزته بفوطته المبللة. كان هذا النوع من الفتيان.

لم تكن ثقيلة الظل، بل لطيفة جدا. قالت:

"سأقول لأرنست أننا تقابلنا، هل تعرفني باسمك إن سمحت؟".

قلت لها:

"رودولف شميدث".

لم أشعر برغبة أن أحكي لها تاريخ حياتي. وكان رودولف شميدث اسم بواب جناحنا في المدرسة. سألتني:

"هل تحب بنسي؟".

"بنسي؟ لا بأس بها. ليست فردوسا بالطبع، ولكنها جيدة كمعظم المدارس. إن بعض المدرسين أصحاب ضمير حي".

"أرنست يقدسها".

قلت:

"أعلم ذلك".

ثم رحت ألغو بعض الوقت. قلت:

"إنه سريع التلاؤم، وتلك حقيقة. أعني أنه يعرف كيف يلائم نفسه لمختلف الأحوال".

سألتني:

"وهل تعتقد هذا؟".

لقد أثار كلامي اهتمامها بشكل غير عادي. قلت:

"أرنست؟ بالتأكيد".

راقبتها وهي تخلع قفازها. قالت:

لقد كسرت أظفري وأنا أغادر السيارة".

ثم نظرت إليّ وابتسمت. كان لها ابتسامة رائعة، وتلك حقيقة. معظم الناس ليس لهم ابتسامات أو لهم ابتسامات مقززة.

قالت:

"والد أرنست وأنا نقلق أحيانا بشأنه لأننا نشعر في بعض الحالات أنه ليس اجتماعيا".

"ما معنى هذا؟".

"إنه حساس جدا، ولم يكن يحب الاختلاط مع الأولاد. ربما كان السبب أنه يأخذ الأمور بجدية أكبر من سنه".

حساس! شيء قاتل أن يقال هذا، فالولد مورو حساس ككرسي دورة المياه.

تفحصتها جيدا. لم تكن تبدو بلهاء. كان واضحا أن باستطاعتها أن تدرك جيدا أي ابن زانية هو مورو هذا. غير أنه من الصعب أن نصدر حكما، أعني عندما تكون المرأة أماً. جميع الأمهات حمقاوات لحد ما. المهم أنني ملت إلى ام مورو. لم يكن بها أي بأس.

سألتها:

"هل تدخنين؟".

نظرت حولها وقالت:

"لا أعتقد أن هذه صالة تدخين يا رودولف".

رودولف! قتلتني رودولف هذه".

قلت:

لا أهمية لذلك. نستطيع التدخين إلى أن يمنعونا".

تناولت هي سيجارة وأشعلتها لها.

كانت تبدو حلوة وهي تدخن. تبتلع الدخان ولكنها لم تكن تدخنه بنهم كما يفعلن من في سنها. كانت تملك قدرا كبيرا من السحر وقدرا كبيرا من الجاذبية الجنسية إذا كان الأمر يهمك.

كانت تنظر إليّ بدهشة، ثم قالت فجأة:

"قد أكون مخطئة يا ابني ولكنني أعتقد أن أنفك ينزف".

هززت رأسي وأخرجت منديلي. قلت:

"ضربني أحدهم بكرة ثلج. كانت متجمدة جدا".

لم يكن عندي مانع أن أحكي لها ما حدث ولكن ذلك كان سيستغرق وقتا طويلا. لقد ملت إليها، وأخذت أشعر بالندم لأنني قلت لها أن اسمي رودولف شميدث.

قلت:

هل تعلمين أن أرنست العجوز هو أكثر الطلاب شعبية في بنسي؟".

"لا، لم أكن أعرف ذلك".

أخذت أهز رأسي وقلت:

"الواقع أن كل الطلبة قد احتاجوا إلى بعض الوقت ليعرفوه، هو ولد غريب في كثير من الأمور.. تعرفين ما أعني؟ عندما رأيته أول مرة، مثلا، ظننته مغرورا. هذا ما خيل إليّ أول الأمر، ولكنه لم يكن كذلك، كان يتميز بأصالة في شخصيته تجعل الإنسان يحتاج إلى بعض الوقت ليعرفه على حقيقته".

لم تقل شيئا، ولكن كان عليك أن تراها. بدت مربوطة بكرسيها وهكذا كل أم. لا ترغب في شيء سوى أن تحدثها عن روعة ابنها.

ومضيت أثرثر. قلت:

"هل أخبرك عن الانتخابات؟ انتخابات الفصل؟".

هزت رأسها. جعلتها في شبه غيبوبة، حقيقة جعلتها كذلك.

قلت:

"عدد كبير منا أرادوا أن يجعلوا أرنست رئيس الفصل. أعني أن الجميع اتفقوا على ذلك. أعني أنه الشخص الوحيد الذي كان يصلح لذلك".

أية أكاذيب كنت أقذفها بها.

أضفت:

"ولكن هذا الولد هاري فنسر هو الذي أنتخب. وسبب اختياره؟ السبب الواضح والبسيط أن أرنست رفض أن يسمح لنا بترشيحه، وذلك

لأنه خجول ومتواضع. لقد رفض.. حقا إنه ولد خجول ويجب أن تعاونيه على التخلص من خجله".

نظرت إليها وقلت:

"ألم يخبرك بذلك؟".

"لا. لم يخبرني".

هززت رأسي وقلت:

"هذه طبيعة أرنست: لن يقول لك شيئا. غلطته الوحيدة أنه خجول جدا ومتواضع. واجبك أن تجعليه يحاول إراحة نفسه بين آن وآخر".

وفي تلك اللحظة جاء المحصل ليرى تذكرة السيدة مورو، وكانت تلك فرصة لأن أتوقف عن الثرثرة. كنت سعيدا أنني ثرثرت بعض الوقت. إن فتى مثل مورو الذي يضرب مؤخرات الآخرين بفوطته محاولا بالفعل إيذاءهم سوف يكون تافها وهو صغير، وتافها طول حياته. غير أنني واثق أنه بعد هذا اللغو الذي قلته فإن السيدة مورو سوف ترى في ابنها ذلك الفتى الخجول جدا، والمتواضع الذي رفض أن يسمح لنا بترشيحه رئيسا للفصل. ذلك ممكن فالأمهات لا يحاولن التدقيق في أمثال هذه الأمور.

قلت لها:

"هل ترغبين في كأس من الكوكتيل؟".

كنت أرغب في كأس. أضفت:

"سوف نذهب إلى نادي القطار. موافقة؟".

سألتني:

"يا إلهي، هل يسمحون لكم بتناول المشروبات؟".

لم تقل ذلك بسوء. سحرها الشخصي يمنعها أن تكون كذلك.

قلت:

"ليس تماما، ولكنهم، يسمحون لي بالشرب بسبب طولي.

إن معظم شعر رأسي أبيض كذلك".

استدرت حتى ترى الشعر الأبيض في رأسي فأدهشها ذلك جدا.

قلت:

"هيا بنا، رافقيني، ما المانع؟".

كنت مستمتعا بوجودها معي. قالت:

"أعتقد أنه من الأفضل ألا أفعل ذلك. شكرا لك على أية حال يا ابني. وبالإضافة إلى ذلك فإن نادي القطار مغلق في الغالب. فالوقت متأخر كما تعلم".

كانت على حق، فلقد نسيت في أية ساعة كنا.

نظرت إليّ ثم ألقت عليّ السؤال الذي كنت أخشاه. قالت:

"كتب أرنست إليّ يقول إنه سوف يأتي يوم الأربعاء لأن إجازة عيد الميلاد سوف تبدأ في ذلك اليوم. أرجو ألا تكون قد غادرت المدرسة قبل موعد الإجازة بسبب مرض أحد أفراد العائلة".

كانت قلقة بالفعل، ولم يكن سؤالها مجرد فضول. قلت:

"جميع أفراد العائلة بخير. أنا الذي سوف يجرى لي جراحة".

قالت:

"أوه، إنني شديدة الأسف".

قالت عبارتها بإخلاص، فندمت على قولي. غير أنني لم أستطع أن أتراجع.

قلت:

"إنها ليست جراحة خطرة، مجرد ورم في المخ".

"غير معقول!".

صرخت ووضعت كفها على فمها وغير ذلك من دلائل الجزع.

"سوف أكون على ما يرام! الورم في الجزء الخارجي، وهو صغير جدا، وسوف تنتهي الجراحة في ظرف دقيقتين".

ثم أخذت أقرأ جدول موعد القطارات الذي في جيبي، لأتوقف عن الكذب. لأنني حين أبدأ في الكذب أستمر ساعات دون توقف عندما يحلو لي ذلك. دون مبالغة أستمر ساعات بكاملها.

لم نتبادل الحديث بعد ذلك. أخذت تقرأ مجلة (فوج) التي كانت معها ورحت أنظر من الشباك لبعض الوقت. غادرت القطار في محطة نيوآرك. تمنت لي حظا طيبا في الجراحة وفي غيرها. واستمرت تدعوني رودولف، ودعتني لزيارة أرنست في إجازة الصيف في جلاوسستر، في مقاطعة ماساتشوستس، وبيتهم، قالت، على الشاطئ، وفيه ملعب للتنس، فشكرتها وقلت لها إنني مسافر مع جدتي إلى أمريكا الجنوبية. وكانت كذبة كبيرة إذ يندر أن تغادر جدتي البيت إلا إذا كانت تريد حضور حفلة ماتينيه أو شيئا كهذا. ولكنني لن أزور ابن الزانية مورو حتى لو منحوني كل نقود العالم، وكنت في حالة يائسة، لا أملك شيئا.

الفصل التاسع

أول شيء فعلته عندما هبطت في المحطة دخلت كشك التليفون. إذ راودتني الرغبة أن أكلم أحدا بالتليفون. تركت حقائبي خارج الكشك مباشرة حتى أستطيع أن أراقبها. وفي داخل الكشك لم أستطع أن أختار أحدا أكلمه. أخي د. ب. في هوليود، أختي الصغيرة فيب تنام في التاسعة فلا يمكنني لهذا الاتصال بها.

لن تنزعج إن أنا أيقظتها ولكنها لن تكون هي التي ترد على التليفون. سوف يرد والدي وهذا ما لا أرغب فيه. ثم فكرت أن أتصل بأم جالاجر لأسألها متى تبدأ إجازة ابنتها، ثم زهدت في ذلك، بالإضافة إلى أن الوقت متأخر. ثم فكرت بالاتصال بسالي هيز، وهي الفتاة التي تعودت أن أخرج معها كثيرا لأنني أعلم أن إجازتها لعيد الميلاد قد بدأت، أرسلت لي تلك الرسالة الطويلة الحافلة بالزيف تدعوني فيها للمساعدة في تشذيب شجرة عيد الميلاد وغير ذلك، ولكنني خشيت أن ترد أمها على التليفون. كانت أمها تعرف أمي وإنني أستطيع أن أتخيلها وهي مندفعة إلى التليفون لتخبر أمي أنني في نيويورك حتى لو كلفها ذلك كسر ساقها. هذا إلى أنني لست مغرما بالحديث إلى هذه العجوز بالتليفون. لقد قالت لسالي مرة عني أني أهوج. قالت إنني

أهوج وليس لي هدف في الحياة. ثم فكرت أن أتصل بذلك بالفتى الذي كان يدرس في مدرسة هوتون عندما كنت طالبا فيها وهو كارل لوس، ولكنني لأم أكن أميل إليه كثيرا. وهكذا انتهيت بألا أتصل بأحد. غادرت الكشك بعد حوالي عشرين دقيقة وحملت حقائبي إلى النفق حيث تقف سيارات الأجرة وركبت واحدة.

وأنا كثير الذهول، لهذا طلبت من السائق أن يذهب بي إلى البيت لمجرد العادة. أعني أنني نسيت أنني سوف أستأجر حجرة في فندق لمدة يومين وأن أبتعد عن البيت حتى يحين موعد الإجازة. لم أفطن لذلك إلا وقد تجاوزنا منتصف الحديقة العامة. عندها قلت:

"هاي، أتسمح بأن تعود بالسيارة عند أول انحناءة؟ لقد ذكرت لك عنوانا مغلوطا. أود أن أعود إلى المدينة".

كان السائق ولدا خبيثا، فقال:

"لا أستطيع العودة الآن، فالطريق ذو اتجاه واحد، فعلي أن أسير إلى الشارع التاسع عشر".

لم أرغب في مشاحنته، فقلت:

"حسنا".

ثم تذكرت شيئا بغتة. قلت:

"اصغ إلي، هل تذكر البط الذي كان يعوم في البحيرة الواقعة في الجزء الجنوبي من حديقة السنترال بارك؟ تلك البحيرة الصغيرة؟ هل تعلم أين يذهب البط عندما تتجمد البحيرة؟ هل تعلم؟".

ثم تبين لي أن هناك فرصة واحدة من مليون أن يعرف ذلك.

استدار ونظر إليّ وكأنه ينظر إلى مجنون، ثم قال:

" ما وراءك يا صاحبي؟ هل تسخر مني؟".

"لا كنت أتساءل فقط".

لم يزد على ذلك وكذلك أنا. وعندما غادرنا الحديقة ودخلنا الشارع التاسع عشر قال:

"والآن يا صاحبي، إلى أين؟".

قلت:

"الحكاية، أنني لا أحب أن أختار فندقا في الجانب الشرقي حتى لا ألتقي ببعض المعارف، لأنني أسافر متنكرا".

وأنا أكره قول أشياء سخيفة مثل: أسافر متنكرا، ولكنني لا بد أن أكون سخيفا مع السخفاء.

قلت:

"هل تعرف أسماء الفرق التي تعزف في فندق التافت أو النيويوركر؟".

"ليس عندي أية فكرة يا ماك".

قلت:

خذني إذن، إلى فندق ادمونت. هل ترغب أن نتوقف قليلا ونشرب كأسا؟ أنا الذي سوف أدفع، فمعي نقود كثيرة".

"لا أستطيع يا ماك. أنا آسف".

من الواضح أن صحبته لطيفة. شخصية ممتازة حقا.

وصلنا فندق أدمونت. كنت وأنا في سيارة الأجرة ألبس القبعة الحمراء ولكنني خلعتها قبل دخولي الفندق. لم أحب أن أبدو كالأبله أو شيء كهذا. وكان ذلك أمرا مثيرا للسخرية. لم أكن أعلم ساعتها أن الفندق مليء بالشاذين والحمقى. كان المكان يعج بالشواذ.

وقد وضعوني في تلك الحجرة القذرة التي لا تطل على شيء سوى الجانب الآخر من الفندق. لم أكترث لذلك كثيرا، إذ كنت منقبض النفس فلم يعد يهمني كثيرا إن كانت تطل على منظر جميل أم لا. وكان الخادم الذي قادني إلى الحجرة في حوالي الخامسة والستين من عمره، وكان مثيرا للكآبة أكثر من الحجرة ذاتها. كان أحد أولئك الأولاد الصلع الذين يرفعون شعرهم من جانب رؤوسهم حتى يغطوا الصلعة. أفضل أن أكشف عن صلعتي على أن أفعل ذلك. وعلى أية حال فأي إنجاز عظيم لفتى في الخامسة والستين أن يحمل حقائب الآخرين وينتظر منحهم. أغلب الظن أنه ليس شديد الذكاء. غير أن ذلك كان مؤلما

بعد انصرافه وقفت أنظر من النافذة دون تغيير ملابسي. لم يكن هناك ما أفعله. ولسوف تندهش حين تعرف ماذا كان يحدث في الجزء الآخر من الفندق. لم يحاول سكان تلك الحجرات حتى أن يغلقوا الشيش. رأيت ولدا أشيب الشعر، متميز الهيئة، لا يرتدي سوى الشورت ويفعل شيئا تعجز عن تصديقه حين أحكيه لك. أول شيء فعله أن وضع حقيبته فوق السرير، ثم أخرج منها بعض الملابس النسائية وأخذ يرتديها، كانت ملابس نسائية حقيقية: جوارب حريرية، حذاء عالي الكعب، مشد صدر، وكورسيه تتدلى شرائطه. لبس هذه، ثم ارتدى فوقها ثوبا نسائيا ضيقا. أقسم بالله أنه فعل ذلك. ثم أخذ يتمشى في الحجرة بخطوات قصيرة كالنساء، ويدخن سيجارة، وينظر إلى نفسه في المرآة. لم يكن هناك أحد غيره في الحجرة. ربما كان هنالك شخص آخر في الحمام ولكنني لم استطع رؤيته. في الحجرة التي فوقها رأيت رجلا وامرأة يملآن فميهما بالماء ويرشان بعضهما. ربما لم يكن ذلك ماء بل خمر لأنني لم أستطع أن

أرى ماذا كان في كأسيهما. كان الرجل يملأ فمه بالسائل ويرشه في وجه المرأة التي أمامه. ثم تفعل هي مثل ذلك. وحق الله كانا يتناوبان ذلك. عليك أن تراهما، كانا في حالة هستيرية الوقت كله وكان ذلك أطرف شيء في العالم. لا أمزح، فالفندق يعج بالشاذين. ربما كنت الشخص الوحيد السوي في المكان كله. إن هذا بعض ما كان في ذلك المكان. وكدت أن أرسل برقية لستراد ليتر أدعوه لركوب أول قطار إلى نيويورك. سوف يكون ملك الفندق دون ريب.

المشكلة أن هذا العبث يفتن المشاهد رغم أنه يضيق به. مثلا تلك الفتاة التي كان وجهها مبللا. كانت حلوة. وتلك هي مشكلتي، إذ يبدو أنني في حقيقتي أكثر الناس هوسا بالجنس، أتخيل أحيانا بعض المشاهد البذيئة التي لا أمانع في ممارستها لو أتيحت لي.

وأستطيع أن أتخيل مدى المتعة التي سوف أحصل عليها بطريقة قذرة، خاصة إذا كنت قد تناولت بعض الشراب.. تلك المتعة التي تمنحها لي فتاة أرش الماء أو أي شيء آخر على وجهها. أو ترش هي الماء أو غيره على وجهي. ولكنني أمقت هذه الفكرة. إنها فكرة نتنة عندما تفكر فيها، إنني أعتقد أنك إذا كنت لا تميل إلى فتاة فلا ينبغي أن تصادقها، وأما إذا كنت تحبها فمن المفروض أن تحب وجهها، وما دمت تحب وجهها فيجب ألا تلقي عليه شيئا قذرا كأن ترشق عليه ماء من فمك. إنه شيء سيئ للغاية أن تحدث أمثال هذه الأشياء القذرة قدرا كبيرا من المتعة في نفسي أحيانا. والفتيات لا يساعدنك عندما تحاول ألا تفعل الأشياء القذرة، أو عندما تحاول الامتناع عن تشويه جمال شيء جميل بالفعل. إن هذه الفتاة التي عرفتها منذ عامين كانت تميل إلى الأشياء القذرة

حتى أكثر مني. لقد كانت تحب الأفعال البذيئة. واستمتعنا لبعض الوقت بصورة بذيئة. وأنا بالفعل عاجز عن فهم الجنس فهما دقيقا، فأنت خلال تلك العملية لا تدري كيف يكون وضعك الحقيقي. ابدأ في وضع قوانين للجنس وأقرر اتباعها ثم أحطمها في التو واللحظة. في السنة الماضية وضعت قانونا لنفسي أن لا أتقرب من فتاة تثير الضيق في نفسي. وخالفت ذلك القانون في نفس الأسبوع الذي وضعته فيه. بل في نفس الليلة. لقد أمضيت ليلتي وأنا أعانق فتاة مزيفة بشكل مرعب تدعى آن لويز شيرمان. الجنس شيء لا أستطيع فهمه، وأقسم بالله على هذا.

خطرت لي فكرة وأنا واقف في مكاني أن أكلم جين بالتليفون. أعني أن أطلبها بمكالمة خارجية في مدرستها بدلا من الاتصال بأمها، وأسأل جين عن موعد عودتها إلى البيت. لم يكن مسموحا مكالمة الطالبات بالتليفون في وقت متأخر من الليل ولكنني تجاوزت هذه العقبة. سوف أقول لمن يرد على التليفون إنني عمها وأن عمتها قد قتلت للتو في حادث سيارة ولهذا يجب أن أكلمها على الفور. سوف تنجح خطتي. السبب الوحيد الذي منعني من الإقدام على ذلك هو أنني لم اشعر برغبة في ذلك. إن لم تكن في حالة مناسبة فلا تستطيع أن تفعل أمثال هذه الأشياء بشكل صحيح.

بعد برهة وجيزة جلست على كرسي ودخنت سيجارتين. كنت أشعر بانقباض شديد، أعترف بهذا. وفجأة خطرت لي هذه الفكرة. أخرجت محفظتي وأخذت أفتش عن عنوان تلك الفتاة الذي أعطاه لي طالب في جامعة برنستون التقيت به في حفلة في الصيف الماضي. صحبها مرة إلى حفلة وكادوا أن يطردوه من الجامعة بسبب ذلك. ثم أمسكت التليفون وطلبت

رقمها. كان اسمها فيث كافندش وتسكن في فندق (ستانفورد ارمز) الواقع بين الشارع السادس والعشرين وبرودوي. مخزن قمامة دون شك.

تخيلت لبعض الوقت أنها ليست موجودة، إذ لم ترد، ثم رفع أحدهم سماعة التليفون. قلت:

"هالو؟".

جعلت صوتي عميقا حتى لا تكتشف حقيقة سني. وصوتي العادي عميق على أية حال. وأتاني ذلك الصوت النسائي الذي لم يكن ودودا يقول:

"هالو؟".

"هل هذه الآنسة فيث كافندش؟".

قالت:

"من هذا؟ من الذي يكلمني في هذه الساعة اللعينة؟".

أخافني ذلك إلى حد ما. فقلت بذلك الصوت الناضج:

"أعلم أنها ساعة متأخرة. أرجو المعذرة. ولكني متشوق للاتصال بك".

قلت ذلك بلطف بالغ، حقيقة قلته كذلك. قالت:

"من المتكلم؟".

أنت لا تعرفيني، ولكنني صديق ادي بيردسل. لقد اقترح علي أن أقابلك عندما أزور المدينة لتناول كأسين من الشراب".

"من؟ أنت صديق من؟".

كانت شرسة في التليفون كأنها نمرة، وصوتها يرتفع كأنها تصرخ.

قلت:

"أدموند بيردسل، ادي بيرد سل".

لم أستطع أن أتذكر إن كان اسمه ادموند أم ادوارد، فقد قابلته مرة واحدة في حفلة سخيفة.

"لا أعرف شخصا بهذا الاسم يا جاك، وإذا كنت تظن أنني سعيدة بالاستيقاظ في منتصف الليل..".

قلت:

"أدي بيردسل؟ من برنستون؟".

كان واضحا أنها تحاول استرجاع هذا الاسم في ذاكرتها.

"بيرد سل، بيرد سل.. من برنستون.. من كلية برنستون؟".

قلت:

"بالضبط".

"هل أنت من كلية برنستون؟".

" حسنا، تقريبا".

قالت:

"أوه، كيف حال ادي؟ رغم أنه وقت متأخر للاتصال. يا يسوع المسيح".

"في صحة جيدة. لقد طلب مني أن أذكرك به".

قالت:

"شكرا. بلغه سلامي، إنه شخص عظيم. ماذا يفعل الآن؟".

أصبحت ودودة فجأة. قلت:

"كما تعلمين، كل شيء على عهده".

كيف لي أن أعرف ماذا يفعل الآن بحق الجحيم؟ إنني لا أكاد أعرفه. وأنا حتى لا أعلم إن كان لا يزال طالبا في برنستون. قلت:

"اصغ إلي. هل عندك مانع من مقابلتي لشرب كأس؟".

قالت:

"بالمناسبة، هل تعلم كم هي الساعة الآن؟ ما اسمك، إذا كنت تسمح بالسؤال؟".

وفجأة أخذت تتحدث بلهجة بريطانية:

"تبدو ـ أنك إلى حد ما ـ صغير السن".

ضحكت، وقلت متوددا إلى أقصى حد:

"شكرا للمجاملة. اسمي هولدن كولفيلد".

كان يجب أن أذكر لها اسما كاذبا، غير أنني لم أفكر في ذلك.

قالت:

"اصغ إلي يا سيد كولفيلد، ليس من عاداتي تحديد مواعيد في منتصف الليل. إنني فتاة عاملة".

قلت لها: "ولكن غداً هو يوم الأحد".

"على أية حال، فعليَّ أن أجعل فتنتي تنام. أنت تعرف هذه الأمور".

"ظننت بالإمكان تناول قدح واحد فقط. ليس الوقت متأخرا إلى هذا الحد".

قالت:

"إنك لطيف جدا. من أين تكلمني؟ أين أنت الآن؟".

"أنا أكلمك من كشك تليفون".

قالت: "أوه".

ثم مرت تلك الفترة الطويلة من الصمت، وقالت بعدها:

"أنا شغوفة بلقائك في وقت آخر يا سيد كلولفيلد. تبدو جذابا جدا. لكن الوقت متأخر".

"أستطيع المجيء إلى بيتك".

"حسنا، لو كان ذلك في الأحوال العادية لقلت لك إن هذا شيء عظيم. أعني أرغب كثيرا في شرب كأس. لكن زميلتي في الحجرة مريضة، وهي لم تستطع النوم طوال الليل. الآن فقط نامت. هذا ما أعنيه".

"أوه، شيء مؤلم".

"أين تسكن؟ ربما تقابلنا غدا لشرب كأس".

"غدا، لا أستطيع. الليلة فقط أستطيع لقاءك".

إنني مسطول بالفعل ما كان ينبغي لي أن أقول ذلك.

"أوه"، حسنا، إنني آسفة للغاية".

"سوف أبلغ ادي تحياتك".

"هل تفعل ذلك؟ أرجو أن تستمتع بإقامتك في نيويورك. إنها مكان رائع".

قلت:

"أعلم هذا. شكرا. ليلة سعيدة".

ثم أعدت السماعة.

لقد اختلطت الأمور عليّ بشدة. كان يتحتم عليّ، على الأقل، أن أقابلها غدا لتناول شيء من الشراب.

الفصل العاشر

الوقت لا يزال مبكرا، لا أدري كم كانت الساعة ولكن الوقت لم يكن متأخرا. وأنا أكره كثيرا أن آوي إلى فراشي وأنا حتى لا أشعر بالتعب. ولهذا فتحت حقيبتي وأخرجت منها قميصا نظيفا، ثم دخلت إلى الحمام واغتسلت وغيرت قميصي، وقررت أن أهبط لأرى ماذا يحدث في اللافندر، الملهى الليلي التابع للفندق.

وبينما كنت أغير قميصي كدت أخابر أختي فيب بالتليفون شعرت بحاجة للاتصال بها. للاتصال بإنسان عاقل. ولكنني لم أستطع المجازفة لأنها صغيرة ولن تكون مستيقظة. عدا أنها لن تكون قريبة من التليفون.. فكرت أن أقطع الاتصال لو رد أحد والدي ولكن ذلك غير عملي أيضا. سوف يعلمون أنني كنت المتكلم فأمي تميز صوتي دائما. وهي مصابة بحالة نفسية. ولكنني رغبت في الدردشة مع فيب لبعض الوقت.

عليك أن تراها. لن تجد في حياتك كلها طفلة بمثل هذه الحلاوة والذكاء. كانت ذكية بالفعل. أعني درجاتها في المدرسة كانت أعلى الدرجات. وفي حقيقة الأمر أنا الغبي الوحيد في العائلة. أخي د. ب. كاتب، وأخي آلي المتوفى والذي حدثتك عنه كان رائعا. أنا الغبي

الوحيد. ولكن عليك أن ترى فيب العجوز. كان لها ذلك الشعر الأحمر، الذي يشبه إلى حد ما شعر آلي، والذي كان قصيرا جدا في وقت الصيف. كانت في الصيف تسرحه جاعلة إياه خلف أذنيها، وكانت أذناها صغيرتين وحلوتين. أحيانا كانت أمي تسرحه جدائل وأحيانا أخرى لا تفعل ذلك. كان جميلا حقيقة. كان عمرها عشر سنوات. كانت نحيلة مثلي، ولكنها نحيلة وحلوة. كانت نحيلة ولكن جسدها كان مرنا.

راقبتها مرة وهي تعبر الشارع الخامس متجهة إلى الحديقة، وقد لاحظت أنها مرنة كإحدى بطلات الانزلاق. سوف تحبها، أعني لو أنك قلت شيئا لفيب العجوز فإنها تفهم ما قلت. أعني أنك تستطيع أن تصطحبها إلى أي مكان، أعني لو أنك صحبتها إلى فيلم تافه، مثلا، فسوف تعرف أنه تافه. وإذا أخذتها إلى فيلم جيد فسوف تعرف أنه جيد. د. ب. وأنا صحبناها مرة لمشاهدة هذا الفيلم الفرنسي (زوجة الخباز) الذي كان يمثل فيه (ريمو). عشقت ذلك الفيلم. غير أن فيلمها المفضل هو (الدرجات التسع والثلاثين) الذي يمثل فيه (روبرت دونات). إنها تحفظه عن ظهر قلب لأنني أخذتها إليه حوالي عشر مرات. وعندما يصل دونات إلى تلك المزرعة الاسكتلندية. وهو هارب من الشرطة وغيرهم، فإن فيب تقول بصوت مرتفع في صالة العرض، في نفس اللحظة التي يقول فيها الولد الاسكتلندي الذي في الفيلم ذلك: "هل تستطيع أن تأكل الرنجة؟". وكانت تحفظ الحوار كله، وعندما يرفع البروفسور الذي في الفيلم، والذي هو في حقيقة الأمر جاسوس ألماني، إصبعه الصغير الذي بتر جزء من عقلته الوسطى، ليريه لروبرت دونات فإن فيب تكتشف كذبه مباشرة. إذ ترفع إصبعها الصغير أمام وجهي في

الظلام. فتاة ممتازة وسوف تحبها. مشكلتها الوحيدة أنها، في بعض الأحيان، ودودة أكثر مما ينبغي. انفعالها أحدّ من انفعال الطفل العادي. حقيقة هي كذلك. حقيقة هي كذلك. شيء آخر تفعله هو أنها تؤلف كتبا طيلة الوقت ولكنها لا تنهي أياً منها. وكلها عن صبية صغيرة تدعى هيزل وذرفيلد، إلا أنها تخطئ في تهجئة هيزل وتجعها هازل تقوم بدور مخبر. ويفترض أنها يتيمة، ولكن والدها يظهر بين آن وآخر. وهو دائما "جنتلمان طويل، جذاب، في العشرين من عمره". وكان هذا يقتلني. أقسم بالله أنك ستحب فيب لو رأيتها. كانت ذكية حتى وهي طفلة صغيرة جدا، عندما كانت طفلة صغيرة جدا كنت وآلي نأخذها للحديقة معنا، خاصة في أيام الآحاد. كان لآلي ذلك القارب الذي كان يحب أن يلعب به في أيام الآحاد وكنا في العادة نأخذ فيب معنا. كانت تلبس قفازات بيضاء وتسير بيننا كأنها سيدة. وعندما كنت أنا وآلي نتكلم في بعض الموضوعات كانت فيب تصغي إلينا. وكنا أحيانا ننساها لأنها كانت صغيرة جدا، ولكنها لن تدعك تهملها، فتأخذ في مقاطعتك طيلة الوقت، أو هي تدغدغني أو تدغدغ آلي وتقول:

"من؟ من قال ذلك؟ هل هو بوبي أم السيدة؟ فتقول لها من قال ذلك فتقول : "أوه". ثم تستمر في الإصغاء. كانت تقتل آلي أيضا، أعني أنه كان يحبها هو أيضا. وهي الآن في العاشرة وليست صغيرة جدا بعد، ولكنها تقتل كل واحد منا، أعني تقتل ذلك الذي يملك إدراكا.

باختصار، إنها إحدى الذين تحب أن تكلمهم بالتليفون. إلا أنني كنت خائفا أن يرد أحد والدي على التليفون وعندها سوف يكتشفان أنني في نيويورك وأنني طردت من بنسي وكل شيء. ولهذا ارتديت

قميصي وأكملت استعدادي وهبطت بالمصعد إلى الصالة لأرى ماذا يفعلون هنالك.

عدا بعض الفتيان الذين لهم مظهر القوادين، وقلة من الشقراوات اللاتي لهن مظهر البغايا كان المكان خاليا. كان بالإمكان سماع الفرقة تعزف في اللافندر فتوجهت إليها. لم تكن شديدة الازدحام ولكنهم أجلسوني على مائدة قذرة في نهاية الحجرة. كان عليّ أن ألوح بدولار تحت أنف رئيس الخدم حتى يجد لي مائدة معقولة. يا فتى، النقود تأمر، وأنا لا أهزل.

كانت فرقة عفنة تلك التي تعزف وهي فرقة (بدي سنجر). كان معظم أعضاء الفرقة يعزفون آلات النفخ ولكن عزفهم كان رديئا للغاية. كان هنالك بعض الفتيان الذين في مثل سني تقريبا. في حقيقة الأمر لم يكن هناك من هو في مثل سني. معظمهم كبار مغرمون باستعراض أنفسهم ومعهم صديقاتهم باستثناء ثلاث فتيات جلسن على المائدة التي بجواري مباشرة وكن قبيحات جدا. كن يلبسن قبعات بطل استعمالها في نيويورك. غير أن إحداهن، كانت شقراء، لم تكن سيئة جدا. كانت لذيذة تلك الشقراء فأخذت أبادلها النظرات لبعض الوقت، إلا أنه في تلك اللحظة بالذات جاء النادل ليتلقىٰ طلبي. طلبت ويسكي مع الصودا وطلبت منه ألا يمزجها. قلت ذلك بسرعة، إذ لو تلكأت لظنوا أنك أقل من سن الحادية والعشرين، وعندها لن يسمحوا لك بتناول أية مشروبات روحية. قال:

"إنني آسف يا سيدي، ولكن هل معك ما يثبت سنك؟ شهادة قيادة السيارة مثلا؟".

ألقيت عليه نظرة باردة كأنما وجه لي إهانة بالغة وقلت:
"هل أبدو لك أقل من سن الحادية والعشرين؟".
"آسف يا سيدي، ولكن عندنا..".
قلت:
"حسنا، حسنا، أعطني كوكا كولا".
استدار ليذهب فناديته وقلت:
ألا تستطيع أن تضع فيها شيئا من الروم أو أي شيء آخر؟".
سألته ذلك بأدب، وأضفت:
"لا أستطيع أن أجلس في مكان سخيف كهذا وأنا في كامل وعيي. ألا تستطيع أن تضيف شيئا من الروم أو أي شيء آخر؟".
قال:
"إنني شديد الأسف يا سيدي".
وانصرف عني. لم أغضب منه، فإنهم يفقدون أعمالهم إذا رأوهم يقدمون الخمر للصغار، وأنا صغير لعين.

ثم أخذت أتبادل النظرات مع العرافات الثلاث الجالسات على المائدة المجاورة مرة أخرى، أعني مع الشقراء بالطبع. لأن الأخريين كانتا قبيحتين. ولم أفعل ذلك بسذاجة وغشم. فقد كنت أوجه إليهن تلك النظرة الواثقة جدا. وكان رد فعلهن أن أخذن يقهقهن بحماقة. الأغلب أنهن تصورن أنني صغير على مثل هذه الأمور. وقد أزعجني هذا. وربما تهيأ لهن أنني أنوي الزواج منهن أو شيئا كهذا. كان يجب عليّ، بعد تلك الضحكات، أن أمتنع عن مبادلتهن النظرات ولكن المشكلة أنني كنت أريد أن أرقص. ولهذا ملت نحوهن فجأة وقلت:

"هل تريد اي منكن ان ترقص يا بنات؟".

ولم أقل ذلك بغشامة أو سذاجة، بل قلته بدماثة ولطف في الواقع. ولكن، اللعنة، يبدو أنهن تصورن أنني قد أقدمت على عمل غير معقول، إذ انطلقن في الضحك مرة أخرى. وأنا لا أمزح، فالثلاث حمقاوات بالفعل. قلت:

"هيا، سوف أرقص مع كل واحدة منكن بالدور. موافقات ما رأيكن؟ هيا!".

لقد كنت بالفعل أشعر بالرغبة في الرقص.

في نهاية الأمر قامت الشقراء لترقص معي لأنه كان واضحا أنني أكلمها هي، وسرنا سوياً إلى حلبة الرقص. وقد جعل هذا صديقتاها تنطلقان في ضحك هستيري. يبدو أنني كنت متوترا جدا فلم أكترث بهما.

ولكن ما فعلته كان يستحق كل هذا العناء. كانت واحدة أبرع الفتيات اللواتي رقصت معهن. وأنا جاد لا أمزح، إن بعض هؤلاء الفتيات الغبيات يستطعن إمتاعك بحق في حلبة الرقص. أما الفتاة الذكية فهي، حين تراقصها، تحاول نصف الوقت أن تقودك في حلبة الرقص، أو قد تكون راقصة رديئة إلى درجة تجعلك تكتشف أن أحسن ما يمكن أن تفعله، عندما تكونان سويا، هو أن تجلس معها على المائدة وتشرب حتى تفقد وعيك.

قلت للشقراء:

"أنت تعرفين كيف يكون الرقص بالفعل. يجب أن تحترفي الرقص، أقول لك بصدق. رقصت مرة مع راقصة، وأنت خير منها مرتين. هل سمعت بماركو وميراندا؟".

قالت:

"ماذا تقول؟".

لم تكن تصغي إليّ، بل كانت مستغرقة في مشاهدة المكان.

"قلت هل سمعت بماركو وميراندا؟".

"لا أعرف. لا. لا أعرف".

"إنهما راقصان. هي راقصة، ولكنها ليست ممتازة. إنها تفعل ما هو مطلوب، غير أنها ليست متميزة. تعرفين متى تكون الفتاة راقصة رائعة؟".

قالت: "ماذا تقول؟".

لم تكن مصغية. كان تفكيرها منصرفا إلى مشاهدة الملهى.

قلت أتعرفين متى تكون الفتاة راقصة رائعة؟".

"آه.. هه".

"حسنا.. إذا شعرت وأنا أضع يدي على ظهرك أنه لا يوجد تحت يدي أي شيء، لا عجيزة، ولا ساقان، ولا قدمان، ولا أي شيء. إذن، فأنت راقصة رائعة".

رغم هذا لم تكن تصغي. أهملتها لبعض الوقت، وأخذنا نرقص فقط. يا الله ما أحسن ما ترقص تلك البلهاء. كان (بدي سنجر) وفرقته العفنة يعزفون لحن "واحد فقط من تلك الأشياء". لم يستطيعوا تشويهها تماما. أغنية حلوة كانت.

لم أحاول أن أقوم بأي من تلك الخدع وأنا أرقص. إنني لا أحب الفتى الذي يقوم بالكثير من الخدع الاستعراضية وهو في حلبة الرقص. ولكنني تنقلت بالفتاة كثيرا ورغم هذا لم تنفصل عني. الشيء المضحك

هو أنني كنت أعتقد أنها كانت مستمتعة بالرقص. ثم إذا بها فجأة تقول هذه العبارة البليدة:

"شاهدت أنا وصديقاتي بيتر لور، الممثل السينمائي، شخصيا الليلة الماضية. كان يشتري صحيفة، إنه لذيذ".

قلت لها:

"أنت محظوظة. حظك طيب بالفعل. هل تعرفين هذا؟".

كانت حمقاء حقيقية، لكنها راقصة رائعة. لم استطع منع نفسي من تقبيلها على قمة رأسها الأبله، أنت تعرف،على مفرق الشعر مباشرة. غضبت عندما فعلت ذلك. قالت:

"هاي! ما الحكاية؟".

قلت:

"أخت صغيرة وهي في السنة الرابعة في المدرسة فقط، وأنت ترقصين بنفس المستوى. وهي ترقص أحسن من كل الأحياء والأموات".

"كن مؤدبا في حديثك، إن سمحت".

أية امرأة هي هذه يا فتى. ملكة وحق المسيح. سألتها:

"من أين أنتن؟".

لم تجب. كانت منشغلة بترقب ظهور بيتر لور في الغالب. سألتها مرة أخرى:

"من أين أنتن؟".

قالت:

"ماذا؟".

"من أين أنت؟ لا تجيبي إذا كنت لا تريدين. لا أحب أن تجهدي نفسك".

قالت:

"من سياتل، واشنطن".

بدت وكأنها تسدي إليّ معروفا كبيرا حيث قالت ذلك. قلت:

"الحديث معك لطيف جدا. هل تعرفين ذلك؟".

"ماذا؟".

تغاضيت عن هذا. كان ذلك فوق مستواها على أية حال. قلت:

"هل تحبين أن نرقص (الجتربج) حين يعزفون لحنا سريعا؟ ليس رقصا سخيفا، وليس قفزا وما شابه. بل بهدوء ويسر. الجميع سيجلسون حين يعزفون لحنا سريعا عدا العواجيز والسمان، وستكون الحلبة هادئة. موافقة؟".

قالت:

"ذلك سيان".

ثم قالت:

"هاي، كم عمرك على أية حال؟".

لسبب ما أزعجني قولها. قلت:

"بحق المسيح لا تفسدي متعتي. أنا في الثانية عشر. وحق المسيح، ولكنني أبدو أكبر من سني".

قالت:

"اصغ إلي. لقد نبهتك قبل الآن. لا أحب هذا النوع من الكلام، وإذا مضيت هكذا فسوف أذهب وأجلس مع صديقتي".

أخذت أعتذر وكأنني أصبت بمس من الجنون فالفرقة قد بدأت تعزف لحنا سريعا. أخذت ترقص معي بهدوء ويسر. كانت راقصة ممتازة بالفعل. كل ما عليك أن تفعله حتى تتأكد هو أن تلمسها. وعندما كانت تدور تهتز عجيزتها بظرف. أفقدتني صوابي وأنا صادق في هذا. كنت في نصف الطريق للوقوع في غرامها حين جلسنا. وهكذا الفتيات، كلما فعلن شيئا لطيفا. حتى لو كن قبيحات أو بليدات، فإنك تكون في نصف الطريق للوقوع في غرامهن. وبعد ذلك أنت لا تعرف أين تقف. الفتيات بحق يسوع المسيح يستطعن دفعك إلى الجنون. حقيقة يستطعن ذلك.

لم يقمن بدعوتي للجلوس معهن، الأغلب بسبب جهلهن، ولكنني جلست رغم ذلك. اسم الشقراء التي راقصتها بيرنيس كرابس أو كروبس، واسم القبيحتين مارتي ولافيرن. قلت لهن إن اسمي جيم ستيل. وحاولت أن أجتذبهن إلى حديث فيه بعض الذكاء ولكن ذلك كان مستحيلا تماما، كان عليك أن تقسرهن على الحديث، ويصعب عليك أن تعرف منْ مِنَ الثلاثة أشد غباء. كن ثلاثتهن يجلن نظراتهن في المكان كأنهن يتوقعن قطيعا من ممثلي السينما سوف يقتحمون المكان في أية لحظة. الأغلب أنهن يتصورن أن نجوم السينما يتسكعون دائما في ملهى اللافندر كلما جاؤوا إلى نيويورك بدلا من نادي ستورك أو الموروكو. وقد احتجت إلى نصف ساعة لأعرف أين يعملن في سياتل. كلهن كن يعملن في نفس شركة التأمين. سألتهن إن كن يحببن عملهن؟ ولكن هل تعتقد أنك تستطيع أن تنال جوابا شافياً من هؤلاء البلهاوات؟ ظننت أول الأمر أن القبيحتين مارتي ولافرن أختان. ولكنهما اعتبرتا قولي

إهانة. ولسوف تدرك أن كلا منهما لا تريد أن تكون شبيهة بالأخرى. ولن تستطيع أن تلومها. غير أن ذلك كان مسلياً للغاية.

رقصت مع الثلاثة، القبيحة لافرن لم تكن رديئة جدا، أما مارتي فقد كانت سفاحة، إذ كان الرقص معها أشبه بالرقص مع تمثال الحرية، وكانت الوسيلة الوحيدة لأبعث في نفسي نصف متعة هو أن أتسلى قليلا. وهكذا قلت لها إن ممثل السينما جاري كوبر في الطرف الآخر من الحلبة.

قالت بانفعال جنوني:

"أين؟ أين؟".

"أوه، ضاع منك. غادر المكان للتو. لماذا لم تنظري حين قلت لك؟".

توقفت عن الرقص تقريبا وأخذت تطل من فوق رؤوس الراقصين عسى أن تراه. قالت:

"أوه، اللعنة".

لقد حطمت قلبها، حقا فعلت ذلك. وكنت شديد الندم لأنني سخرت منها. يجب ألا تسخر من بعض الناس وإن كانوا يستحقون ذلك.

الشيء المضحك أننا عندما جلسنا قالت مارتي للفتاتين أن جاري كوبر غادر المكان منذ قليل. كادت لافرن وبيرنيس تقدمان على الانتحار حين سمعتا ذلك. انفعلتا وسألتا مارتي إن كانت قد شاهدته، فقالت إنها لمحته فقط. قتلني ذلك.

اقترب موعد إغلاق البار. لهذا طلبت لكل واحدة كأسين دفعة واحدة بسرعة قبل الموعد وطلبت لنفسي زجاجتي كوكا كولا. كان منظر المائدة منفرا لكثرة ما عليها من الكؤوس. القبيحة لافرن كانت تسخر

مني لأنني أشرب الكوكا كولا فقط. حسها الفكاهي كان أصيلا، كانت هي ومارتي تشربان توم كولنز ـ يفعلن ذلك في منتصف كانون الأول بحق الله! ـ ولكن أنى لهن أن يفهمن ذلك. الشقراء بيرينس كانت تشرب بوربون مع الماء، تشربه بنهم شديد. وكن ثلاثتهن منصرفات إلى البحث عن نجوم السينما طيلة الوقت. وكن نادرا ما يتحدثن حتى مع بعضهن. وكانت مارتي تتحدث أكثر من زميلتيها فتردد تلك العبارات التافهة المملة كأن تسمي دورة المياه "حجرة الفتيات الصغيرات"، كما كانت ترى أن عازف الكلارنيت التعس في الغرفة كان رائعا وذلك عندما عزف بسماجة إحدى المقطوعات السريعة.

وكانت تسمي الكلارنيت "عصا رب السوس". كم كانت سخيفة. القبيحة الأخرى لافرن كانت تعتقد أنها خفيفة الظل إذ كانت تطلب إلي باستمرار أن أتصل بأبي وأسأله ماذا يفعل هذه الليلة، ثم تسألني إن كان والدي على موعد مع فتاة هذه الليلة. ألقت عليّ هذا السؤال أربع مرات ـ من المؤكد أنها خفيفة الظل. الشقراء بيرنيس لم تكد تقول شيئا على الإطلاق. وفي كل مرة أقول لها شيئا كانت تقول: "ماذا". إن شيئا كهذا يثير الأعصاب بعد وقت قصير.

نهضن فجأة بعد أن انتهين من الشراب وقلن إنهن ذاهبات للنوم. لأنهن سوف ينهضن مبكرات لمشاهدة العرض الصباحي في سينما (راديو سيتي ميوزك هول). حاولت إقناعهن بالبقاء وقتا أطول ولكنهن رفضن. فودعتهن وقلت لهن إنني إذا زرت سياتل فسوف أزورهن. ولكنني أشك في أنني سوف أفعل ذلك ـ أعني زيارتهن ـ .

بالإضافة إلى حساب السجاير، كان حساب مجموع الطلبات ثلاثة

عشر دولارا. أعتقد أنه كان عليهن، على الأقل، دفع حساب الطلبات التي شربنها قبل أن أجلس معهن. لم أكن بالطبع سأسمح لهن بالدفع، ولكن كان من واجبهن أن يحاولن ذلك.

ولكنني لم أهتم بذلك كثيرا. فهن جاهلات ويلبسن تلك القبعات البائسة الغريبة. كما أن قرارهن حول نهوضهن مبكرات لمشاهدة أول عرض في سينما (راديو سيتي) سبب لي انقباضا شديدا. فعندما يأتي شخص أو فتاة، يلبس قبعة شديدة القبح، يأتي، مثلا قاطعا المسافة من سياتل واشنطن، بحق السماء، إلى نيويورك لينهض مبكرا حتى يشاهد أول عرض لعين في سينما (راديو سيتي) فإن ذلك يشعرني بانقباض لا يطاق. لقد كنت على استعداد لأن أطلب لهن مئة كأس من الخمر لو لم يقلن لي ذلك.

غادرت النادي الليلي بعد ذلك بقليل وقد أخذوا يستعدون لإغلاقه والفرقة الموسيقية كانت قد انصرفت منذ بعض الوقت. وهذا الملهى هو أحد تلك الأماكن التي يكون الجلوس فيها مزعجا إذا لم تجد أحدا يجيد الرقص ويكون باستطاعتك أن ترقص معه، وإن لم تجد فيها نادلا مستعدا أن يأتي لك بخمرة حقيقية بدلا من الكوكا كولا. لا يوجد ناد ليلي واحد في العالم يمكنك الجلوس فيه إذا لم تتوفر لك فيه الخمرة الحقيقية التي تفقدك وعيك، أو إذا لم تكن بصحبة فتاة رائعة بالفعل.

الفصل الحادي عشر

وفجأة، وأنا في طريقي إلى صالة الفندق، تذكرت جين جالاجر مرة أخرى. نفذت إلى ذهني ولم أستطع إبعادها. جلست على ذلك الكرسي المثير للتقيؤ في الصالة وأخذت أفكر في جين وستراد ليتر وهما يجلسان في سيارة ادبانكي اللعينة. ورغم تأكدي من أن ستراد ليتر لم يضاجعها - فأنا أعرف جين جيدا - غير أنني لم أستطع إبعادها عن خيالي. أعرفها كما لو كنت أقرأ في كتاب مفتوح. حقيقة أعرفها. أعني أنه بالإضافة إلى حبها للشطرنج فقد كانت مغرمة بكل الألعاب الرياضية. وبعد أن عرفتها كنا نلعب التنس في الصباح والجولف في المساء طيلة فترة الصيف. عرفتها معرفة وثيقة. لا أعني أنه كان هنالك علاقة جسدية بيننا أو شيء كهذا، ولكننا كنا معا طيلة الوقت. ليس من الضروري أن تكون وسيلتك الوحيدة لمعرفة أية فتاة هي الجنس.

تعارفنا لأن كلبها كان يأتي إلى حديقتنا ويتبرز فيها. فأغضب ذلك والدتي كثيرا. ثم تحدثت أمي إلى أم جين وأثارت مشكلة كبيرة حول هذا الموضوع. وكانت أمي من ذلك النوع الذي يثير شجارا حول أمثال هذه الأمور. وبعد ذلك بيومين رأيت جين منبطحة على بطنها بجوار حمام السباحة، في النادي فحييتها. كنت أعرف أنها تسكن

بجوارنا ولكنني لم أحدثها من قبل. لم يكن بيننا معرفة حقيقية، وعندما حييتها تجاهلتني ولم ترد. بذلت مجهودا كبيرا لإقناعها بأنني لا أكترث على الإطلاق في أي مكان يتبرز كلبها. لن أهتم حتى لو تبرز في حجرة الجلوس، وبعد ذلك أصبحنا صديقين، فلعبت معها الجولف بعد ظهر ذلك اليوم ذاته. وخسرت هي ثماني كرات، ذلك اليوم كما أذكر. وقد أجهدت نفسي لأعلمها كيف تضرب الكرة جيدا، وهكذا ساعدتها على تحسين مستوى لعبها. وأنا لاعب جولف بارع، بارع إلى حد لن تصدقه، وكادوا مرة أن يصوروني في أحد الأفلام القصيرة. ولكنني غيرت رأيي في آخر لحظة. لأنني سأبدو مزيفا لو سمحت بتصوير نفسي في السينما وأنا أكرهها إلى هذه الدرجة.

كانت جين فتاة غريبة، فهي لم تكن جميلة حسب المقاييس الشائعة، ولكنها خلبت لبي. كان لها فم غريب، وكنت مغرما به، أعني أنها حين كانت تتكلم أو تنفعل فإن فمها يتخذ خمسين شكلا مختلفا. وكان ذلك يفقدني صوابي. لم تكن، في حقيقة الأمر، تغلق فمها، كان على الدوام مفتوحا قليلا، خاصة عندما تلعب الجولف أو تقرأ كتابا. كانت دائما تقرأ، والكتب التي تقرأها كانت كتبا جيدة. كانت تقرأ الشعر وغيره. وهي وحدها بالإضافة إلى أهلي، التي أريتها قفاز آلي للبيسبول. وكل الأشعار المكتوبة عليه. لم تكن قد رأت آلي قبل ذلك لأن تلك كانت أول سنة تأتي فيها إلى مين، قبل ذلك كانت تصطاف في كيب كود. ولكنني حدثتها عنه كثيرا، وكان ذلك الحديث يمتعها.

لم تكن أمي تحبها كثيرا. أعني أن أمي تعتقد أن جين وأمها، حين يمتنعان عن تحيتها، فإنهما إنما تتعمدان إهانتها. كنت أراهما في القرية كثيرا لأن جين وأمها كانتا تذهبان في سيارة لاسال ذات السقف المتحرك

آليا. ولم تكن أمي ترى جين جميلة. أما أنا فأعتقد أنها جميلة. أعني أنني أحب شكلها، فقط.

أتذكر بعد ظهر ذلك اليوم حين عانقت جين للمرة الوحيدة. كان يوم سبت والجو يمطر كابن زانية. كنا في بيتها نلعب الشطرنج في المدخل. كنت أمازحها لأنها ترفض تحريك ملكها من الصف الأخير، ولكنني لم أمازحها كثيرا. لن تشعر أبداً برغبة في أن تسخر من جين كثيراً. أحب أن اسخر كثيرا من الفتيات حتى أجعلهن يفقدن عقولهن، حين يتاح لي ذلك، ولكن العجب أنني لا أحب أن أمازح كثيرا الفتيات اللاتي أقع في حبهن. يخيل إلي أحيانا أنهن يحببن أن نمازحهن، في حقيقة الأمر أعلم أنهن مغرمات بذلك، ولكن يصعب عليَّ البدء في ذلك خاصة إن كنت أعرفهن منذ زمن طويل ولم أعتد ممازحتهن من قبل. على أية حال، كنت أحدثك عن بعد ظهر ذلك اليوم الذي عانقتها فيه. كانت السماء تمطر بشدة، وكنا نجلس في مدخل البيت، ثم خرج ذلك السكير زوج أمها ألينا وسألها إن كان يوجد سجائر في البيت. لم أكن أعرفه معرفة جيدة، ولكنه بدا لي من ذلك النوع الذي لن يطيل معك الحديث إن لم يكن يريد منك شيئاً كان شخصية حقيرة على أية حال لم ترد عليه جين حين سألها عن السجائر، فسألها ثانية، فلم تجب أيضا، ولم ترفع رأسها عن الرقعة، وفي نهاية الأمر دخل إلى البيت، وعند ذاك سألتها عما يحدث بحق الجحيم. حتى أنا لم ترد عليَّ ساعتها، وتظاهرت بالاستغراق في الحركة التالية على الرقعة. ثم فجأة سقطت تلك الدمعة على رقعة الشطرنج. على أحد المربعات الحمراء. ما زال بإمكاني أن أراها. ثم مسحتها بإصبعها من فوق الرقعة. السبب لا أدريه. أزعجني ذلك إلى أبعد حد. ثم جعلتها تنزاح في مقعدها قليلا لأتمكن من الجلوس بجوارها ـ جلست

في حقيقة الأمر على حجرها. ثم أخذت تبكي بالفعل، ثم إذا بي أقبلها في كل موضع: عينيها، أنفها، جبينها، حاجبيها، أذنيها، وجهها كله، عدا فمها. منعتني من تقبيل فمها. وكان هذا أقرب شيء إلى العناق مارسناه. بعد ذلك بقليل دخلت ولبست بلوفرها الأبيض والأحمر الذي سلب لبي وذهبنا لمشاهدة فيلم لعين. سألتها، ونحن في طريقنا إلى السينما، إن كان السيد كوداهي - وهو اسم ذلك السكير - قد حاول أن يسيء أدبه معها. كانت صغيرة الحجم، غير أنه كان لها ذلك القوام الرائع، ولا استبعد عن ابن الزانية كوداهي أن يكون قد حاول ذلك. غير أنها نفت أنه حاول ولم أستطع أن أعرف حقيقة الأمر. مع بعض الفتيات لن تستطيع أبدا أن تعرف حقيقة الأمر.

لا أريدك أن تعتقد أنها كانت باردة أو شيئا كهذا لأننا لم نتعانق أو نعبث سويا. لم تكن باردة. كنت، مثلا، أمسك يدها طيلة الوقت. قد لا يبدو هذا هاما، ولكنها رائعة عندما تمسك يدها. عندما تمسك أيدي معظم الفتيات تجدهن يحركنها باستمرار. كأنهن يخشين أن يبعثن الضجر في نفسك أو شيئا كهذا. أما جين فقد كانت مختلفة. فما نكاد نذهب لمشاهدة فيلم لعين حتى أمسك بيدها على الفور ونظل كذلك حتى نهاية الفيلم. نفعل ذلك دون أن نغير جلستنا ولا نجعل منه شيئا هاما. وعندما تكون مع جين فأنت لا تكترث كثيرا إن كانت يدك عرقانة. كل ما تعرفه هو شيء واحد: أنك سعيد، سعيد حقيقة.

خطر لي الآن شيء آخر. كنا في السينما ذات مرة ثم فعلت جين شيئا أطار صوابي. كانوا يعرضون الجريدة السينمائية أو شيئا كهذا وأحسست بهذه اليد على عنقي فجأة. كانت يد جين. وكان ذلك شيئا مضحكا. أعني أن جين فتاة صغيرة، وأنت عندما ترى فتاة تضع يدها

على عنق رجل فسوف تتبين أنها في الخامسة والعشرين أو الثلاثين، وهن يفعلن ذلك مع أزواجهن أو أطفالهن. أنا أفعل ذلك مع أختي الصغيرة فيب أحيانا، ولكن حين تفعل ذلك صبية صغيرة فإن ذلك يجعل صوابك يطير. ذلك ما كنت أفكر فيه وأنا أجلس على الكرسي المقيئ في صالة الفندق، أفكر في جين، وكلما فكرت فيها وفي ستراد ليتر وهما في سيارة ادبانكي أكاد أجن. أنا متأكد أنها لن تدعه يتمادى معها، ولكن ذلك خبلني على أية حال. لا أحب حتى الحديث عن ذلك إن أردت الحق.

كانت صالة الفندق خالية تقريبا. حتى الشقراوات الشبيهات بالبغايا اختفين. وفجأة شعرت برغبة جامحة في مغادرة المكان. كان مكانا مقبضا للغاية. لم أكن أشعر بالتعب لهذا صعدت إلى حجرتي ولبست معطفي، ألقيت نظرة لأرى إن كان الشواذ ما زالوا يمارسون أفعالهم الشاذة، ولكن الأنوار كانت كلها مطفأة. نزلت في المصعد وركبت سيارة أجرة وقلت للسائق أن يتوجه بي إلى ملهى (أرني)، وهو الملهى الذي كان د. ب. يتردد عليه كثيرا قبل أن يذهب إلى هوليود ويعمل مومسا فيها. والملهى يقع في قرية جرينوتش. كان يأخذني معه أحيانا. و (ارني) زنجي سمين يعزف البيانو. وهو شديد الادعاء، لن يتنازل حتى أن يكلمك إن لم تكن شخصية هامة. ولكنه كان بالفعل يجيد العزف على البيانو. إنه يعزف بحلاوة تصل إلى درجة السخف. لا أدري ما أعنيه بقولي هذا، ولكن هذا هو ما أحس به. أحب سماعه يعزف حقيقة. ولكنك تشعر أحيانا، وأنت تسمعه، أنك تود أن تقلب هذا البيانو اللعين رأسا على عقب. أعتقد أن سبب ذلك أنه أحيانا وهو يعزف تشعر وكأنه لن يتحدث إليك إلا إذا كنت شخصية مرموقة.

الفصل الثاني عشر

كانت سيارة الأجرة قديمة، وتفوح منها رائحة كأن أحدهم تبرز فيها. دائما أجد مثل هذه السيارات المقيئة في الساعات المتأخرة من الليل. وزاد الأمور سوءا أنه في الخارج كان كل شيء يبدو صامتا ومهجورا. رغم أنها كانت ليلة السبت. لم أكد أرى أحدا يمر، سوى بين كل فينة وأخرى أرى فتاة وشابا يعبران الشارع وذراع كل منهما تحيط بجسد الآخر، أو فتيانا لهم مظهر البلطجية ترافقهم صديقاتهم. والجميع يضحكون بجنون كالضباع على شيء أراهن أنه ليس مضحكا. تبدو نيويورك مخيفة حين يضحك أحد في واحد من شوارعها آخر الليل. تستطيع أن تسمع الضحكة على بعد أميال عديدة. يجعلك ذلك تشعر بالوحدة والانقباض. ألحت عليّ الرغبة في أن أذهب إلى البيت وأثرثر مع فيب لبعض الوقت. في نهاية الأمر، بعد بعض الوقت، دار حديث بيني وبين السائق. كان اسمه هورتز وكان خيرا من الفتى الذي ركبت معه قبل ذلك. قدرت أنه ربما يعرف شيئا عن البط. قلت:

"هاي، هورتز. هل صدف أن مررت بجوار البحيرة التي في حديقة سنترال بارك؟ في الجزء الجنوبي منها؟".

قال: "ماذا"؟".

"البحيرة الصغيرة هناك، حيث يوجد البط كما تعرف".
"حسنا، ماذا بشأنها؟".
"البط الذي يعوم فيها؟ في الربيع؟ هل تعلم أين يذهب في الشتاء؟".
"من الذي يذهب؟".
"البط، هل تعلم؟ أعني هل يأتي أحد بسيارة شحن أو شيء كهذا ويشحنها، أم هل يطير البط، يذهب إلى الجنوب مثلا؟".
استدار ونظر إليّ. كان من النوع العصبي رغم أنه لم يكن رديئا. قال:
"ما يدريني بحق الجحيم؟ كيف لي أن أعرف شيئا سخيفا كهذا بحق الجحيم؟".
قلت:
"حسنا، لا تغضب بسبب هذا".
كان غاضبا من سؤالي أو هكذا بدالي. قال:
"من الذي غضب؟ لا أحد غضب".
توقفت عن مجاذبته الحديث ما دام ذلك سوف يغضبه ولكنه هو الذي بدأ هذه المرة. التفت إلي وقال:
"السمك لا يذهب إلى أي مكان، بل يبقى حيث هو في البحيرة اللعينة".
"السمك، ذلك مختلف. السمك يختلف. أنا أتحدث عن البط".
قال هورتز:
"يختلف بأي شيء؟ لا اختلاف بينهما. الأمر أشد صعوبة بالنسبة

للسمك، الشتاء، وكل شيء، منه بالنسبة للبط وحق المسيح. استعمل عقلك بحق المسيح".

كلما تكلم بدا غاضبا من شيء ما.

لم أقل شيئا لمدة دقيقة، ثم قلت:

"حسنا، ماذا تفعل الأسماك عندما تتحول البحيرة إلى جليد ويتزحلق الناس فوقها وغير ذلك؟".

التفت إليّ وصاح:

"ماذا تعني بقولك، بحق الجحيم، ماذا تفعل؟ إن الأسماك تبقى حيث هي بحق المسيح".

"لا يستطعن تجاهل الجليد، لا يستطعن ذلك".

قال هورتز:

"من الذي يتجاهله؟ لا أحد يتجاهله".

انفعل إلى ابعد حد وخفت أن يصطدم بعامود الكهرباء أو شيء كهذا، قال:

"تعيش في الجليد اللعين. تلك طبيعة الأسماك، بحق المسيح. إنها تتجمد طيلة فترة الشتاء".

"هكذا؟ ماذا تأكل إذن؟ أعني، ما دامت تتجمد، فإنها لا تستطيع أن تسبح وتبحث عن طعام لها".

"أجسادها بحق المسيح، ماذا بك؟ أجسادها تمتص الغذاء وغير ذلك من خلال الطحالب والأعشاب التي في الجليد. إن لها مسامات مفتوحة طيلة الوقت. تلك هي طبيعتها بحق المسيح. هل فهمت ما أعنيه؟".

واستدار لينظر إليّ.

قلت "آه" وأهملت الموضوع. خفت أن يدمر السيارة، وبالإضافة إلى هذا فهو عصبي جدا ولا يمتع بحث أي أمر معه. قلت:

"هل تحب أن نتوقف قليلا ونتناول كأسا في مكان ما؟".

لم يجب. أعتقد أنه ما زال يفكر في موضوع السمك. سألته ثانية، إذ كان فتى طيبا ومسليا. قال:

"لا وقت عندي للشراب يا صاحبي. وبحق الجحيم، كم عمرك على أية حال؟ ولماذا لست في سريرك؟".

"لست متعبا".

وعندما غادرت السيارة أمام ملهى أرني ودفعت له الحساب أثار هورتز موضوع السمك مرة أخرى. واضح أن الموضوع كان يشغله. قال: "اصغ إلي. لو كنت سمكة فإن أمنا الطبيعة ستعنى بك. أليس كذلك، موافق؟ هل تعتقد أن الأسماك تموت عندما يأتي الشتاء؟ هل تعتقد ذلك؟".

"لا، ولكن..."

قال هورتز:

"أنت على حق. إنها لا تموت".

وانطلق بسيارته كأنه وطواط نجا من الجحيم. كان أكثر من عرفت عصبية. أي شيء تقوله يجعله عصبيا.

رغم تأخر الوقت كان الملهى مزدحما. معظم الرواد كانوا طلبة بلهاء من المدارس الثانوية والجامعات. كل المدارس التي في العالم تأخذ إجازة عيد الميلاد في وقت متقدم عن المدارس التي أدرس فيها. من الصعب أن تخلع معطفك بسبب ازدحام المكان. كان الملهى هادئا رغم الازدحام،

لأن أرني كان يعزف على البيانو. وكان يفترض أن لك شيئا قدسيا. بحق الله، أعني عندما يجلس أرني أمام البيانو. لا مثيل له. كان هنالك ثلاثة أشخاص مع فتياتهم ينتظرون أن تخلو بعض الأماكن، وكانوا يقفون على أطراف أقدامهم لمشاهدة أرني وهو يعزف. وكان هنالك امرأة كبيرة، لعينة، وقد سلطت على أرني بقعة ضوئية حتى يستطيع الجميع مشاهدة وجهه وهو يعزف. ولكنك تستطيع مشاهدة أصابعه التي تعزف، ترى وجهه الكبير فقط. رجل خطير. لم أكن متأكدا من اسم الأغنية التي كان يعزفها عندما دخلت، غير أنه مهما كان اسمها فقد كانت أغنية نتنة. كان يضيف إليها كل التموجات من خلال الأنغام العالية وغير ذلك من الخدع التي تثير ضيقي. كان عليك أن ترى الجمهور ساعة انتهائه من العزف كان ذلك سوف يدفعك إلى التقيؤ. إنه يبدو كجمهور فقد عقله. وهم أنفسهم الذين تراهم يضحكون كالضباع حين يشاهدون الأفلام التي ليس فيها ما يضحك. أقسم بالله أنني لو كنت عازف بيانو أو ممثلا وما شابه ذلك ورأيت هؤلاء البلهاء يعتقدون أنني رائع لما أحببت ذلك. ولا أحببت حتى أن يصفقوا لي. فالناس، دائما، يصفقون للأشياء التي لا قيمة لها. لو كنت عازف بيانو لعزفت داخل خزانة لعينة وأغلقت بابها حتى لا يراني أحد.

وبعد أن انتهى أرني من عزفه، والجميع يحيونه بجنون، استدار وهو لا يزال جالسا على كرسيه وانحنى تلك الانحناءة المزيفة التواضع، على اعتبار أنه فتى شديد التواضع بالإضافة إلى كونه عازف بيانو رائعاً. كان ذلك سلوكا مزيفا إلى أقصى حد، أعني تظاهره بالتواضع رغم أنه في حقيقته شديد الادعاء والغرور. لسبب غير مفهوم شعرت بالرثاء له

عندما انتهى من العزف. لأنني لا أعتقد أنه وهو يعزف يستطيع أن يدرك متى يجيد ومتى يسيء ليس ذلك غلطته وحده بل هي أيضا غلطة هؤلاء البلهاء الذين يصفقون بجنون. باستطاعة هؤلاء أن يشوهوا أي إنسان إذا أتيحت لهم الفرصة. جعلني ذلك، مرة أخرى، أشعر بالانقباض والحزن حتى كدت أستعيد معطفي وأعود إلى الفندق. لكن الوقت كان ما زال مبكرا وكرهت أن أكون وحيدا.

في نهاية الأمر وجدوا لي تلك المائدة الحقيرة. لصق الجدار مباشرة، وخلف عامود لا تستطيع أن ترى من ورائه شيئا. كانت واحدة من تلك الموائد الصغيرة التي لن تستطيع الوصول إليها إلا إذا نهض الجالسون على المائدة المجاورة وأفسحوا لك طريقا للمرور، وأولاد السفاح هؤلاء لا ينهضون أبدا، ولهذا فعليك أن تتسلق فوق أجسادهم حتى تصل إليها. طلبت ويسكي بالصودا، وهو شرابي المفضل بعد الروم مع السكر والليمون المثلج. وهم في ملهى أرني يقدمون لك الخمر حتى لو كان عمرك ست سنين. فالأضواء خافتة جدا ولا أحد يهتم بمعرفة عمرك. حتى لو كنت مدمن مخدرات فلا أحد يكترث.

كنت محاطا ببلهاء. وأنا لا أهزل في هذا، فعلى هذه المائدة الصغيرة التي تقع على يساري مباشرة، في حقيقة الأمر كانت فوق مائدتي. كان هنالك هذا الولد ذا الشكل المضحك وفتاته ذات الشكل المضحك. كانا في سني أو أكبر من ذلك قليلا، وكانا مشهدا مضحكا. فهما يشربان كأسيهما ببطء حتى لا يضطران إلى طلب كأسين آخرين. أصغيت إلى حديثهما بعض الوقت. إذ لم يكن أمامي ما أفعله. كان يحدثها عن مباراة كرة قدم للمحترفين شاهدها بعد ظهر ذلك اليوم. لقد

ذكر لها تفاصيل المباراة كاملة، وأنا جاد فيما أقول. كان أكثر من سمعت في حياتي إثارة للضجر. كان من الواضح أن فتاته لا تولي هذه المباراة أي اهتمام على الإطلاق، ولكن لأن شكلها كان مضحكا أكثر من شكله فكان لا بد لها أن تصغي إليه.

إن حياة الفتيات القبيحات حياة صعبة للغاية، ولهذا فأنا أشعر بالشفقة نحوهن أحيانا. في بعض الأحيان لا أستطيع حتى أن أنظر إليهن. خاصة عندما يكن في صحبة ولد أبله يسرد لهن كل تفاصيل مباراة كرة قدم شاهدها. على يميني كان الحديث أكثر سوءا إذ كان هنالك ذلك الفتى الذي يبدو عليه أنه أحد طلبة جامعة (ييل) يرتدي بذلة من الفانيلا الرمادية وصديريا مخططا مما يوحي بأنه ولد مخنث. كل أبناء الجامعات العريقة الكبرى يشبهون بعضهم. والدي يريدني أن أدخل جامعة (ييل) أو ربما (برنستون) ولكنني أقسم أنني لن أدخل إحدى تلك الجامعات العريقة الكبرى، لن أدخلها حتى لو مت. بحق الله. على أية حال فإن هذا الذي يبدو عليه أنه طالب في جامعة ييل كان يجلس مع فتاة رائعة. كانت حلوة بالفعل، ولكن كان عليك أن تسمع حديثهما: أولا، كانا مخمورين قليلا. وكان الفتى يمد يده من تحت المائدة ويحس بها على البنت، ويحكي لها في الوقت ذاته عن زميله في حجرة النوم بأنه ابتلع زجاجة أسبرين كاملة وكاد يموت. وفتاته تردد طيلة الوقت "فظيع.. لا تفعل هذا يا حبيبي، أرجوك لا تفعل. ليس هنا". تصور، إنه يحسس عليها، ويحكي لها في الوقت ذاته عن فتى أقدم على الانتحار! لقد قتلاني.

أخذت اشعر وأنا جالس وحدي كأنني عجيزة حصان سباق. لم يكن

هناك ما أفعله سوى التدخين والشرب. ولهذا قلت للنادل أن يطلب من أرني أن يشاركني كأسا ويقول له إنني شقيق د. ب. لا أعتقد أنه أبلغه رسالتي. أولاد الزواني هؤلاء لا يبلغون رسالتك لأحد.

وفجأة جاءت إلي تلك الفتاة وقالت: "هولدن كولفيلد" كان اسمها ليليان، وكان لها علاقة بأخي لبعض الوقت، ولها ثديان كبيران جدا. قلت:

"هاي".

نهضت بالطبع، ولكن النهوض كان مشكلة صعبة في هذا المكان. وكان معها ضابط بحري يبدو وكأن عصا قد غرست في مؤخرته.

قالت ليليان سيمونز بتحبب زائف:

"ما أروع أن أراك. كيف حال أخيك الأكبر!".

كان هذا فقط ما تريد أن تعرفه، في حقيقة الأمر.

"في أحسن حال. إنه في هوليود".

"في هوليود! رائع! ماذا يعمل هناك؟".

قلت:

"لا أعلم. يكتب".

لم أشعر برغبة في التحدث عن ذلك. كان واضحا أنها ترى في ذلك شيئا كبيرا. أي أن يكون المرء في هوليود. الكل يعتقدون هذا. وأكثرهم لم يقرؤوا قصصه، وكان ذلك يبعث في الجنون.

قالت ليليان:

"إن ذلك مثير".

ثم قدمتني إلى الضابط البحري وكان اسمه كوماندر بلوب أو شيئا

كهذا. وكان أحد هؤلاء الأولاد الذين يعتقدون أنك سوف تتهمهم بالتخنث إن لم يحطموا أربعين أو خمسين إصبعا من أصابعك حين يصافحونك. كم أكره مثل هذه الأشياء. سألتني ليليان:

"هل أنت وحيد يا طفلي؟". وكانت تسد طريق المرور بين الموائد، وكان واضحا أنها تحب أن تفعل ذلك. وكان هذا النادل ينتظر أن تفسح له الطريق ولكنها لم تأبه له. وكان ذلك مضحكا. من الواضح أن النادل لا يحبها كثيرا. ونفس الشيء كان واضحا على الضابط البحري، رغم أنه في صحبتها. وأنا، أيضا، لا أحبها كثيرا. والجميع لديهم نفس الشعور نحوها. ولا تستطيع إلا أن ترثي لها بشكل ما.

سألتني:

"أليس معك فتاة يا طفلي؟".

وكنت ما أزال واقفا ولكنها حتى لم تدعوني للجلوس. كانت من النوع الذي يدعك واقفا لعدة ساعات. وقالت للضابط البحري:

"أليس وسيما؟ هولدن، إنك تزداد حلاوة في كل دقيقة".

طلب إليها الولد البحري أن تكف. قال لها إنها تسد الطريق، فقالت:

هولدن إجلس معنا هات كأسك واجلس معنا قلت:

"يجب أن أغادر المكان. عندي موعد".

من الواضح أنها تريد أن تكون لطيفة معي حتى أحكي لأخي د. ب.

"حسنا يا ابن الكذا والكذا. افعل ما شئت. قل لأخيك الأكبر، حين تراه، إنني أكرهه".

وانصرفت عني. تبادلت أنا والولد البحري كلمات تشير إلى سعادتنا بهذا اللقاء. وهذا شيء يقتلني. أي أن أقول لشخص ما إنني سعيد بلقائه، بينما أنا لست سعيدا بذلك على الإطلاق. ولكن لا بد من قول هذه الأشياء حتى تستطيع أن تواصل الحياة.

وبعد أن قلت لها أن عندي موعدا لم يكن أمامي من خيار سوى أن أغادر المكان. لم أستطع البقاء حتى ولو لسماع ارني يعزف شيئا نصف مقبول. بالتأكيد إنني لست على استعداد لأن أجلس على مائدة واحدة مع ليليان سيمونز والولد البحري وأدع نفسي لضجر قاتل. ولهذا غادرت الملهى. وشعرت بغضب وأنا أرتدي معطفي. الناس يحاولون أن يفسدوا لك كل شيء.

الفصل الثالث عشر

عدت إلى الفندق سيرا على الأقدام على امتداد واحد وأربعين عمارة ضخمة. لم أفعل ذلك لرغبة في المشي ولكنني سئمت الصعود والهبوط من سيارات الأجرة. في بعض الأحيان تمل سيارات الأجرة كما تمل من ركوب المصاعد، وهكذا تجد نفسك فجأة مضطرا للسير على الأقدام مهما كان طول المسافة أو ارتفاع السلالم. عندما كنت طفلا كنت في أحيان كثيرة أصعد الاثني عشر دورا إلى شقتنا مشيا.

لن تصدق أن الثلج كان يسقط منذ قليل. فلم يكد يكون هنالك ثلج على الأرصفة. ولكن الجو كان شديد البرودة. جذبت قبعة الصيد الحمراء من جيبي ووضعتها على رأسي، ولم أكترث بمظهري. حتى غطاء الأذنين أنزلته. وددت أن أعرف ذلك الفتى الذي سرق قفازي لأن يدي تجمدتا. ولا يعني هذا أنني كنت سأفعل شيئا لو عرفته. إنني واحد من أولئك الفتيان الجبناء، وإن كنت أخفي ذلك. فلو اكتشفت، مثلا، الشخص الذي سرق قفازي فالأغلب أنني سوف أذهب إلى حجرته وأقول له: "حسنا. ماذا لو أعطيتني ذلك القفاز؟"، والأغلب أن السارق سيرد بصوت بريء جدا: "أي قفاز؟" وأغلب الظن أنني بعد ذلك سوف أفتح خزانته وأبحث عن القفاز، الذي قد يكون مخفياً في حذاء المطر أو شيء

كهذا. ثم أتناول القفاز وأريه للفتى وأقول: "أغلب الظن أن هذا القفاز اللعين ملكك؟"، ثم، الأغلب، أن السارق سوف يلقي عليّ نظرة مصطنعة البراءة ويقول: "أنا لم أر هذا القفاز في حياتي أبدا. إذا كان لك فخذه، فأنا لست بحاجة إلى هذا القفاز اللعين"، ثم، في الغالب، سأظل واقفا لمدة خمس دقائق، ممسكا القفاز اللعين بيدي، وأنا أشعر أن عليّ أن أوجه لكمة للفتى في فكه، لتحطيم ذلك الفك اللعين، لكنني لا أملك الجرأة الكافية لأفعل ذلك ورغم ذلك أستمر في الوقوف لأبدو صعب المراس. وما قد أفعله، هو أن أوجه إليه بعض الكلمات الحادة المهينة لأسبب له بعض الكدر، بدلا من توجيه لكمة إلى فكه. وإذا كانت كلماتي حادة ومهينة جدا، فالأغلب أنه سوف ينهض ويسير نحوي ويقول: "اصغ إليّ يا كولفيلد، هل تتهمني باللصوصية؟"، وبدلا من أن أقول له: صدقت. قلت هذا "إنك لص وابن زانية فقد يكون كل ما أقوله كل ما أعلمه أن قفازي اللعين كان مخبأ في حذائك". وعلى الفور يدرك الفتى أنني لن أوجه إليه لكمة وأغلب الظن أنه سوف يقول: "اصغ إلي. دعنا نتحدث بوضوح: هل تتهمني بأنني لص؟". والأرجح أنني سوف أرد عليه: لا أحد يصف أحدا باللصوصية. كل ما أعلمه أن قفازي كان في داخل حذائك اللعين". وأستطيع أن أواصل ذلك لعدة ساعات. وفي النهاية أغادر حجرته دون أن أوجه إليه لكمة. والأغلب أنني بعد ذلك سوف أذهب إلى دورة المياه وأدخن سيجارة سرا، وأنظر في المرآة محاولا إضفاء مظهر القسوة على وجهي. هذا ما كنت أفكر فيه وأنا في طريقي إلى الفندق. أن تكون جبانا، ليس بالأمر السهل. جبان، والجزء الآخر هو أنني من ذلك النوع الذي لا يكترث إذا فقد قفازه.

واحدة من مشكلاتي أنني لا أكترث كثيرا عندما يضيع مني شيء. وكان هذا يثير جنون أمي عندما كنت صغيرا. بعض الناس يمضون أياما عدة باحثين عن شيء أضاعوه، أما بالنسبة لي فيبدو أنني لا أهتم بأي شيء أفقده. ربما كان ذلك هو السبب في كوني جبانا بعض الشيء، هذا ليس عذرا، حقيقة ليس كذلك. يجب ألا يكون الإنسان جبانا على الإطلاق. فإذا كان من المفروض أن توجه لكمة إلى شخص ما في فكه، وشعرت برغبة في أن تفعل ذلك، فافعله. ولكنني لا أستطيع ذلك. بل أفضل أن ألقي بشخص ما من النافذة، أو أن أقطع عنقه بساطور على أن ألكمه في فكه. أكره العراك. لا أبالي بأن يضربني أحد - بالطبع لست مغرما بذلك - ولكن أكثر ما يخيفني في العراك هو منظر وجه الفتى. إنني عاجز عن النظر إلى وجه الفتى المقابل، وتلك هي مشكلتي. لن يكون شيئا سيئا لو أنني أصبت بالعمى. إنه نوع غريب من الجبن عندما تتأمله. ولكنه جبن رغم كل شيء. وأنا لا أخدع نفسي.

وكلما ازددت تفكيرا في قفازي، وفي جبني، كلما زادت تعاستي. فقررت وأنا ما أزال سائرا أن أبحث عن مكان أشرب فيه كأسا. شربت ثلاثة كؤوس في ملهى ارني، ولم أنته من الثالث. وأنا أتميز بمقدرة عجيبة. فعندما أكون في مزاج ملائم فإنني أستطيع أن اشرب طول الليل دون أن يبدو عليَّ أنني شربت. ذات مرة عندما كنت تلميذا في مدرسة هوتون اشتريت أنا وهذا الولد ريموند جولد فارب زجاجة ويسكي وشربناها في الكنيسة ليلة السبت. ولم يرنا أحد ونحن نفعل ذلك. لقد فقد ذلك الولد توازنه، بينما لم يكن يبدو عليّ شيء. تظاهرت بالبرود وقلة الاكتراث. تقيأت قبل أن أذهب إلى السرير رغم أنني لم أكن

بحاجة إلى ذلك. لقد أجبرت نفسي على التقيؤ.

وعلى أية حال، فكرت أن أدخل هذا البار ذا المظهر القذر قبل أن أصل إلى الفندق، وإذا بشابين في حالة سكر شديد يسألانني عن الطريق إلى مترو الأنفاق. بدا أحدهم أنه من كوبا، وكان يزفر تنفسه الكريه في وجهي وأنا أشير إلى اتجاه القطار. ولهذا لم أدخل البار وواصلت طريقي.

كان بهو الفندق خاليا تماما، تفوح منه رائحة خمسين مليون سيجارة. وتلك حقيقة. لم أشعر بالنعاس بل شعرت بانقباض وضيق. تمنيت لو مت.

ثم فجأة وجدت نفسي في ورطة كبيرة.

بدا ذلك عندما دخلت المصعد. قال لي صبي المصعد:

"هل تحب أن تقضي وقتا طيبا؟ أم أن الوقت متأخر؟".

قلت:

"ماذا تعني؟".

لم أفهم غرضه.

"هل تريد فتاة صغيرة الليلة؟".

قلت:

"أنا؟".

وكانت إجابة بلهاء، ولكنه وضع محرج عندما يأتي إليك شخص ويلقي عليك سؤالا كهذا. قال صبي المصعد:

"كم عمرك يا رئيس؟".

قلت:

"لماذا؟ اثنان وعشرون عاما".

"آه، كيف ترى ذلك؟ هل تريد؟ خمسة دولارات للمرة الواحدة، وخمس عشرة دولارا لليلة بطولها".

نظر إلى ساعته وأضاف:

"حتى الظهر، خمسة دولارات للمرة الواحدة، وخمس عشرة لظهر الغد".

"موافق".

كان ذلك الصبي ضد مبادئي، ولكنني أشعر بانقباض فلم أفكر حتى في مبادئي. وتلك هي المشكلة. حين تكون منقبضا فلا تستطيع التفكير بوضوح.

"موافق على ماذا؟ مرة واحدة، أم حتى الظهر؟ يجب أن أعرف".

"مرة واحدة".

"حسنا، ما رقم حجرتك؟".

نظرت إلى الميدالية الحمراء المعلقة بالمفتاح وقلت:

"١٢٢٢".

أخذت أشعر بالندم إنني وافقت على ذلك ولكن وقت التراجع فات.

"سوف أرسل لك فتاة خلال خمس عشرة دقيقة".

وفتح باب المصعد وخرجت. سألته:

"هل هي جميلة؟ لا أريد عجوزا".

"ليست عجوزا، لا تقلق يا سيد".

"لمن الدفع؟".

قال:

"لها. هيا بنا يا سيد".

أغلق الباب في وجهي في حقيقة الأمر.

دخلت حجرتي وبللت شعري ببعض الماء. ولكنك لا تستطيع بالفعل، أن تسرح الشعر القصير. ثم أجريت اختبارا لأعرف إن كانت رائحة فمي كريهة لكثرة ما دخنت من السجائر وشربت من الويسكي، بسطت كفي أمام فمي ونفخت لأجعل زفيري يصل إلى أنفي. لم يكن كريها ولكنني غسلت أسناني بالفرشاة. ثم لبست قميصا نظيفا. كنت أعلم أنه لا داعي للتزين لاستقبال مومس، ولكنني فعلت ذلك لأنه شغلني لبعض الوقت. إذ كنت عصبيا إلى حد ما. وأخذت أحس بالرغبة ولكنني كنت عصبيا على أية حال. وللحقيقة، فإنني ما زلت بكرا. لقد أتيحت لي فرص كثيرة، ولكنها عندما كانت تتاح لم أكن مستعدا. كان شيء ما يحدث دائما. مثلا، عندما تكون في بيت فتاة ما، فإن أبويها يأتيان في وقت غير مناسب، أو أخاف أن يأتيا في وقت غير مناسب. وإذا كنت في الكرسي الخلفي للسيارة مع فتاة، فهنالك دائما فتاة في الكرسي الأمامي تظل تتلفت خلفها لترى ما يحدث. شيء ما دائما يحدث. وكدت أن أفعل ذلك مرتين رغم ذلك. وأذكر مرة على وجه التحديد أنني كدت أن أفعل ذلك ولكن شيئا، لم أعد أذكره منعني، الأمر السخيف، أنه عندما يصبح كل شيء ممهدا مع الفتاة - أعني فتاة لا مومسا - فإنها تطلب إليك أن تتوقف. ومشكلتي أنني أتوقف بالفعل. معظم الفتيان لا يتوقفون، ولكنني عاجز عن فعل أي شيء آخر. وأنت لا تستطيع أن تتأكد إن كن يرغبن بالفعل في أن تتوقف إما هن خائفات وحسب، أو أنهن يقلن ذلك حتى إذا أنت مضيت في ذلك

فإن اللوم يقع عليك، لا عليهن. على أية حال فإنني أتوقف دائماً لأنني أشعر بالشفقة عليهن. أعني أن معظم الفتيات حمقاوات. فبعد عناق قصير تستطيع أن ترى أنهن قد فقدن عقولهن. والفتاة عندما تكون مستهامة ومستثارة بالفعل فإنها تفقد عقلها تماما. لست أدري. ولكنهن يطلبن إليّ أن أتوقف فأتوقف. وأود دائما أنني لو كنت لم أتوقف. أشعر بذلك بعد أن أوصلهن إلى بيوتهن. ورغم ذلك لا أكف عن التوقف.

على أية حال. بينما كنت أقوم بارتداء قميص نظيف قلت لنفسي: هذه هي فرصتك الكبرى. وما دامت مومسا أستفيد منها بعض الخبرة التي أحتاجها إذا ما تزوجت. إنني أقلق لمثل هذا الشيء أحيانا. قرأت هذا الكتاب مرة عندما كنت في مدرسة هوتون. إنه يحكي عن هذا الفتى المرهف، اللطيف، ذي الرغبة الجنسية الجامحة. كان اسمه مسيو بلانشار. ما زلت أتذكر ذلك. أتذكر كل كتاب تافه ولكن هذا الفتى بلانشار أعجبني جدا. كان يملك هذا القصر الكبير في الريفيريا في أوروبا، وكان كل ما يفعله في أوقات فراغه أن يضرب النسار بعصا كبيرة وكان خليعا حقيقيا ولكنه كان يضرب النساء. وقال في أحد أجزاء الكتاب أن جسد المرأة كالكمان وهي تحتاج إلى موسيقار عظيم يحسن العزف عليها. كان كتابا تافها، تحققت من هذا، ولكنني لم أستطع أن أتخلص من حكاية الكمان هذه. وكان هذا أحد الأسباب الذي جعلني أرغب في تحصيل بعض الخبرة في حالة إذا ما تزوجت: كولفيلد وكمانه السحري. أعلم أن هذا شيء تافه ولكنه ليس شديد التفاهة. وأنا لا أمانع أن أتقن هذا الشيء. وإذا أردت الحقيقة فإن نصف الوقت الذي أمضيه في معابثة الفتيات يمضي في محاولة النجاح معهن ، بحق الله،

إن فهمت ما أعنيه. هذه الفتاة، مثلا، التي أضعت فرصة إقامة علاقة جسدية معها، تلك التي حدثتك عنها. احتجت إلى ساعة كاملة لأقنعها بخلع مشد الصدر. وعندما نجحت كانت قد وصلت إلى حالة كانت فيها مستعدة أن تبصق في عيني.

رحت أتجول في الحجرة منتظرا قدوم المومس، مؤملا أن تكون جميلة، وليس معنى هذا أن ذلك كان يهمني كثيرا، إذ كنت أرغب في أن أنتهي منها بسرعة. وفي النهاية سمعت طرقا على الباب وعندما ذهبت لأفتحه كانت حقيبتي تعترض الطريق فتعثرت بها وكدت أن أهشم ركبتي. إنني أختار أروع الأوقات للتعثر بحقيبتي أو بغيرها.

وعندما فتحت الباب كانت هذه المومس واقفة أمام الباب ترتدي معطف بولو، ولا تضع قبعة. كانت شقراء، ولكن الواضح أنها صبغت شعرها. لم تكن عجوزا. قلت:

"كيف حالك؟".

بلطف شديد. سألتني:

"هل أنت الفتى الذي ذكره موريس؟".

لم تكن ودودة.

"صبي المصعد؟".

قالت:

"أجل".

قلت:

"أنا هو. ألا تتفضلين؟".

وأخذت أشعر بمزيد من الاستهانة كلما مضى الوقت. وذلك حقيقي.

دخلت وخلعت معطفها وألقته على السرير. كانت ترتدي ثوبا أخضر تحته. ثم جلست بجانبه على الكرسي الذي أمام المكتب وأخذت تهز قدمها صعوداً وهبوطاً ثم وضعت ساقاً فوق ساق ومضت تهز قدمها. كانت شديدة العصبية، خلاف البغايا عامة. أعتقد أن ذلك يعود لكونها صغيرة جدا، إذ كانت في مثل سني تقريبا.

جلست أنا على الكرسي بجوارها وقدمت لها سيجارة. قالت:

"لا أدخن".

بصوت صغير. ناحب، وبالكاد تسمعها. ولم تكن تقول شكرا عندما تقدم إليها شيئا. كانت جاهلة. قلت:

"اسمحي لي أن أقدم لك نفسي. اسمي جيم ستيل".

قالت:

"هل معك ساعة؟".

لم يكن بالطبع يهمها أمر اسمي. قالت:

"بالمناسبة، كم سنك؟".

"أنا؟ اثنتان وعشرون".

"بحق المتعة إن عمرك لكذلك".

كان شيئا مضحكا أن تقول شيئا كهذا. كان ذلك شبيها بأسلوب الأطفال في الكلام. إنك تتصور أن البغي سوف تقول:

"بحق الجحيم أن عمرك لكذلك". أو "توقف عن الكذب". بدلا من قولها "بحق المتعة أن عمرك لكذلك". سألتها:

"كم عمرك؟".

قالت:

"كبيرة إلى حد يمنعني من ذكر سني".
كانت خفيفة الظل فعلا، سألتني:
"هل معك ساعة؟".
ثم توقفت فجأة وجذبت ثوبها في اتجاه رأسها.
أحسست بشعور غريب حين فعلت ذلك. إذ فعلته بشكل مفاجئ.
أنا أعلم أنه مفروض أن تهتاج عندما تنهض فتاة وترفع ثوبها عن جسدها. ولكنني لم أشعر بأية رغبة. كانت الرغبة هي آخر شيء أحسست به ساعتها، وتولاني شعور بالضيق.
"هل معك ساعة، هاي؟".
قلت:
"لا، ليس معي".
كنت أشعر باستغراب شديد. سألتها:
"ما اسمك؟".
لم تكن ترتدي تحت ثوبها سوى ذلك السروال القرنفلي اللون.
كان ذلك مربكا للغاية. حقا لقد كان كذلك. قالت:
"هيا بنا يا ابني..! هيا؟".
سألتها:
"ألا ترغبين في أن نتحدث قليلا؟".
من السذاجة أن قلت لها ذلك، ولكنني شعرت ساعتها بغرابة وانزعاج.
قلت:
"هل أنت مستعجلة؟".
نظرت إلي وكأنها تنظر إلى مجنون. قالت:

"عما تريد أن تتحدث بحق الجحيم؟".

"لست أدري. لا شيء على وجه التحديد. ظننت أنك ترغبين في أن نتحدث قليلا".

جلست الفتاة على الكرسي الذي أمام المكتب. وكان واضحا أنها تضيق بهذا. راحت تهز قدمها مرة أخرى. كانت عصبية بالفعل. قلت:

"هل تحبين أن تدخني سيجارة الآن؟".

نسيت أنها لا تدخن.

"لا لا أدخن. اصغ إلي. إذا كنت تريد أن نتحدث فافعل. لأن عندي أعمالا أخرى".

لم أجد موضوعا للحديث. فكرت أن اسألها كيف أصبحت مومسا ولكنني خفت. أغلب الظن أنها لم تكن تخبرني على أية حال بحقيقة الأمر. في النهاية قلت:

"لست من نيويورك. أليس كذلك؟".

قالت:

"هوليود".

وقفت وسارت إلى حيث وضعت فستانها على السرير.

"هل عندك شماعة؟ لا أحب أن يتكرمش ثوبي فهو جديد".

وقلت:

"طبعا".

كنت سعيدا أن أنهض وأفعل أي شيء. أخذت ثوبها وعلقته في الخزانة. وكان أمرا غريبا أنني شعرت بحزن وأنا أعلقه. تصورتها وهي ذاهبة إلى السوق لتشتري هذا الثوب، ولا أحد في المحل يعرف أنها

مومس. الأرجح أن البائع ظنها فتاة عادية عندما باعها الثوب. وجعلني ذلك حزينا للغاية لسبب لا أدريه.

عاودت الجلوس محاولا مواصلة الحديث الذي لم تكن تجيده.

سألتها:

"هل تعملين كل ليلة؟".

بدا لي سؤالي بشعا بعد أن ألقيته.

"أجل".

كانت تتجول في الحجرة. تناولت قائمة الطعام من فوق المكتب. وأخذت تقرؤها.

"وماذا تفعلين أثناء النهار؟".

هزت كتفيها. كانت نحيلة جدا.

"أنام. أذهب إلى السينما".

ألقت بقائمة الطعام ونظرت إلي:

"هاي، هيا بنا. لا أملك كل..".

قلت:

"اصغ إلي. لست في حالة طيبة هذه الليلة. ليلتي مرهقة. أقسم بالله. سوف أدفع لك. ألن يضايقك إن لم نفعل ذلك؟ هل يضايقك؟".

المشكلة أنني لم أعد أشعر برغبة. كان ضيقي أشد من رغبتي في حقيقة الأمر. والفتاة كانت مثيرة للضيق بثوبها الأخضر المعلق في الخزانة وكل شيء. ثم لا أظن أنني مستطيع فعل ذلك مع فتاة تمضي يومها كله تشاهد أفلاما سخيفة. حقيقة لا أظن أنني قادر على ذلك.

اقتربت وهذا التعبير المضحك على وجهها فبدت وكأنها لا تصدقني. قالت:

"ماذا بك؟".

"لا شيء".

أصبحت عصبيا، بالفعل. قلت:

"المشكلة أنني أجريت جراحة منذ مدة قصيرة".

"حقا؟ أين؟".

قلت:

"في ماذا يسمونه.. في البيانو الصغير".

"وأين يقع ذلك بحق الجحيم؟".

قلت:

"البيانو الصغير؟ إنه، في حقيقة الأمر، في قناة عمودي الفقري. أعني أنه في نهاية القناة".

قالت:

"حقا؟ إن ذلك صعب".

ثم جلست على حجري اللعين وقالت:

"أنت لذيذ".

جعلتني عصبيا حتى أنني أخذت أبعد رأسي عنها. قلت لها:

"ما زلت في طور النقاهة".

"أنت تشبه أحد ممثلي السينما. تعرفه. أنت تعرف ما أعني. ما اسمه بحق الجحيم؟".

قلت:

"لا أعرف".

وظلت جالسة على حجري.

"تعرفه بالتأكيد. كان في ذلك الفيلم مع (مل ـ فين دوغلاس)؟ كان أخو مل ـ فين دوغلاس الصغير؟ الذي سقط من المركب؟ أنت تعرف من أعني".

"لست أعرفه. نادرا ما أذهب إلى السينما".

ثم أصبحت مضحكة وسخيفة.

قلت:

"ألا تتوقفين عن هذا؟ لقد قلت لك إنني لست في حالة مناسبة. لقد أجريت جراحة".

لم تغادر حجري، ولكنها ألقت عليَّ تلك النظرة البشعة وقالت:

"اسمع، كنت نائمة عندما أيقظني ذلك المأفون موريس. إذا كنت تعتقد أنني..".

"لقد قلت لك إنني سأدفع، حقيقة سوف أدفع. عندي نقود كثيرة. إنني في طور النقاهة من..".

"لماذا قلت، إذن، لذلك المجنون موريس إنك تريد فتاة؟ لماذا قلت له ما دمت قد أجريت عملية جراحية لعينة في ماذا يسمونه اللعين، هه؟".

"ظننت أنني سوف أكون أحسن حالا. ولكن تقديري كان خاطئا. دون مزاح، أنا آسف. لو نهضت لحظة عن حجري فسوف أخرج محفظتي إنني أعني ما أقول. كانت غاضبة جداً ولكنها نهضت عن حجري واستطعت أن أخرج محفظتي من (الشوفنيرة). أخرجت خمسة دولارات وأعطيتها لها. قلت لها:

"شكرا. شكرا جزيلا".

"هذه خمسة دولارات. أريد عشرة".

من الواضح أنها أصبحت مثيرة للمتاعب. منذ البداية كنت أتوقع حدوث شيء كهذا ـ بالفعل كنت أتوقع ذلك.

قلت لها:

"موريس قال خمسة. أنا آسف، حقا إنني آسف ولكنني لا أستطيع أن أدفع أكثر من هذا".

هزت كتفيها، كما فعلت من قبل. ثم قالت ببرود شديد:

"هل تسمح أن تأتي لي بثوبي؟ أم أن ذلك سوف يزعجك كثيرا؟".

كانت طفلة مخيفة. تستطيع إخافتك رغم ذلك الصوت النحيل. لو كانت مومسا ضخمة، وكبيرة في السن، وعلى وجهها الكثير من الأصباغ لما أخافتني نصف ما أخافتني هذه الطفلة.

نهضت وأتيت لها بثوبها. لبسته ثم تناولت معطفها وقالت:

"إلى اللقاء يا حثالة".

قلت:

"إلى اللقاء".

لم أشكرها، وأنا سعيد لذلك.

الفصل الرابع عشر

جلست على الكرسي، بعد انصرافها، ودخنت سيجارتين. ضوء النهار أخذ ينتشر في الخارج، وشعرت بتعاسة وانقباض لا يمكنك تصور مداهما. أخذت أتحدث بصوت مرتفع إلى (آلي). أفعل ذلك أحيانا عندما أكون في حالة تعسة. قلت له اذهب إلى البيت وهات دراجتك وقابلني أمام بيت بوبي فالون. كان بوبي فالون يسكن قريبا منا حين نكون في مين، وكان ذلك منذ عدة سنين. على أية حال. حدث أنه في أحد الأيام ذهبت أنا وبوبي إلى بحيرة سد بيجو على دراجتينا. قررنا أن نأخذ غذاءنا وبندقيتي الرش. كنا صغيرين واعتقدنا أننا نستطيع أن نصيد شيئا. سمعنا (آلي) ونحن نتحدث عن ذلك وأراد أن يرافقنا ولكنني منعته. قلت له إنه لا يزال طفلا. ولهذا فإنني عندما أكون في حالة نفسية تعسة فإنني أقول له: "حسنا. اذهب إلى البيت وهات دراجتك. وقابلني أمام بيت بوبي. هيا أسرع". وليس معنى هذا أنني لم أكن أصحبه عندما كنت أذهب إلى مكان ما. كنت أصحبه معي دائما، ولكنني منعته في ذلك اليوم من مرافقتنا. لم يغضب لذلك، لم يكن يغضب من شيء أبدا، ولكنني أستعيد تلك الحادثة كثيرا عندما أكون في حالة ضيق.

وفي النهاية نهضت وخلعت ملابسي ودخلت السرير. شعرت بشيء يشبه الرغبة في الصلاة. ولكنني لم أستطع أن أصلي. لا أستطيع أن أصلي عندما أشعر برغبة في الصلاة. أول سبب لذلك أنني ملحد إلى حد ما. أحب المسيح لكنني لا أحب الأشياء الأخرى التي في التوراة. خذ الرسل، مثلا، إنهم يضايقونني كثيرا، في حقيقة الأمر. لا بأس بهم بعد موت المسيح، أما في حياته فلم يكن نفعهم له إلا كنفع ثقب في الرأس. كل ما كانوا يفعلونه له أن يتخلوا عنه. أحب كل إنسان في التوراة أكثر من تلاميذ المسيح. الشخص الآخر الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد المسيح بالنسبة لي هو ذلك المهتاج الذي كان يعيش بين القبور ويجرح نفسه بالأحجار. أحب ذلك المسكين عشرات المرات أكثر مما أحب الرسل. كنت أتناقش في هذا الموضوع عندما كنت في مدرسة هوتون مع ذلك الولد آرثر تشايلدز الذي كان يعيش في نهاية الممر. كان من الكويكرز ويقرأ التوراة طيلة الوقت. كان فتى طيبا، وكنت أحبه ولكننا لم نكن على اتفاق حول كثير من الأمور التي في التوراة، خاصة تلاميذ المسيح. كان يقول دائما إنني إذا كنت لا أحب الرسل فمعنى هذا إنني لا أحب المسيح. كان يقول أنه ما دام المسيح قد اختار تلاميذه فلابد لي أن أحبهم. كنت أقول إنني أعرف أنه اختارهم ولكنه اختارهم دون تدقيق، فالمسيح لم يكن يملك الوقت الكافي لتحليل كل إنسان. وكنت أقول إنني لا ألوم المسيح أو ما شابه هذا. لم يكن خطؤه أن ليس لديه الوقت الكافي. أذكر أنني سألت تشايلدز إن كان يعتقد أن يهوذا الذي خان المسيح قد ذهب إلى جهنم بعد انتحاره. قال تشايلدز إن ذلك مؤكد. وأنا أختلف معه في هذا تماما. قلت له إنني أراهن بألف دولار أن المسيح لم

يرسل يهوذا إلى الجحيم. وما زلت على استعداد حتى الآن لأن أراهن على ذلك لو كنت أملك ألف دولار. وأعتقد أن أي واحد من الرسل كان سيرسل بيهوذا إلى جهنم، وبسرعة أيضا، ولكنني أعتقد أن المسيح لن يفعل ذلك. وقال لي تشايلدز إن مشكلتي أنني لا أذهب إلى الكنيسة، وكان محقا في ذلك، إلى حد ما. أنا لا أذهب إلى الكنيسة. أولا، والداي يعتنقان ديانتين مختلفتين، ولهذا نشأ أطفال العائلة ملحدين. وإذا أردت الحق فأنا لا أطيق القسس خاصة القسس الذين يعملون في المدارس التي درست فيها. فكلهم يتحدثون بهذا الصوت القدسي حين يلقون مواعظهم. وأنا أكره ذلك. ولا أرى سببا يمنعهم من الحديث بصوتهم الطبيعي. يبدون مزيفين حين يتحدثون إلينا.

على أية حال، لم أستطع أن أصلي وأنا في السرير. كلما بدأت برزت أمامي صورة الفتاة وهي تقول لي "يا حثالة". وفي النهاية جلست في السرير ودخنت سيجارة أخرى. كان طعمها رديئا. يبدو أنني دخنت ما يزيد على علبتين منذ أن غادرت بنسي.

وفجأة، وأنا جالس أدخن، طرق أحدهم الباب. وددت ألا يكون بابي هو الذي طرق، ولكنني كنت أعرف تماماً أنه بابي، لا أردي كيف عرفت ولكنني كنت أعرف. وكنت أعرف الطارق، أيضا. عندي قدرة على الحدس.

قلت:

"من هناك؟".

كنت خائفا جدا. وأنا جبان جدا في مثل هذه الأحوال. طرق الباب مرة ثانية بقوة أكبر.

نهضت. لم أكن أرتدي شيئا غير البيجامة وفتحت الباب. لم أحتج لإشعال الضوء لأن النهار كان قد طلع. الفتاة وصبي المصعد القواد موريس كانا هناك أمام الباب.

قلت:

"ما الحكاية؟ ماذا تريدان؟".

كان صوتي يرتعش بعنف.

قال موريس:

"لا نريد شيئا كثيرا. خمسة دولارات فقط".

كان وحده الذي يتكلم. والفتاة بجواره تقف وفمها مفتوح.

قلت:

"لقد دفعت، أعطيتها خمسة دولارات. اسألها".

كم كان صوتي يرتعش.

"عشرة دولارات يا سيد. لقد قلت لك ذلك. عشرة دولارات للمرة الواحدة، وخمسة عشر دولارا حتى الظهر. ذلك ما قلته لك".

"لم تقل ذلك. بل قلت خمسة دولارات للمرة الواحدة وقلت خمسة عشر دولارا حتى الظهر. لقد سمعتك بوضوح..".

"افتح يا سيد".

قلت:

"ماذا؟".

يا إلهي كان قلبي يدق بشكل كاد يلقيني خارج الحجرة. وددت لو كنت مرتديا ملابسي. إنه لأمر مزعج أن يحدث لك شيء كهذا وأنت لابس بيجامتك فقط.

قال موريس:

"دعنا ندخل يا سيد".

ثم دفعني دفعة قوية بيده القذرة، فكدت أسقط لأنه كان ابن زانية ضخما، ثم رأيته هو والفتاة داخل الحجرة، وقد أخذا يتصرفان وكأنهما في بيتهما. جلست الفتاة على حافة النافذة، بينما جلس موريس على الكرسي الكبير وقد فك ياقته. إذ كان لا يزال يلبس يونيفورم صبي المصعد. ولكم كنت عصبيا.

"حسنا، يا سيد، ادفع. يجب أن أعود إلى عملي".

"لقد قلت لك عشر مرات أنني لا أدين لك بسنت واحد. لقد أعطيتها الخمسة..".

"دعك من هذا اللغو وادفع".

قلت:

"لماذا أعطيها خمسة دولارات أخرى؟".

كان صوتي يسرسع عبر الفندق كله. أضفت:

"أنت تحاول أن تبتزني".

فك موريس أزرار ردائه كلها. كل ما كان تحت الرداء هو الياقة فقط، لا قميص أو أي شيء آخر. كان له بطن سمينة، غزيرة الشعر.

قال:

"لا أحد يبتز أحدا. هات النقود يا سيد".

"لا".

عندما قلت ذلك نهض من كرسيه واتجه نحوي. وبدا كأنه ضجر للغاية أو متعب جدا، جدا. كنت خائفا، وأذكر أنني كنت أطوي ذراعي

على صدري. لا أعتقد أن الأمور كانت ستسوء هكذا ولم أكن أرتدي سوى بيجامتي اللعينة.

"هيا ادفع يا سيد".

سار حتى توقف أمامي، وكل ما كان يستطيع قوله:

"هيا، ادفع يا سيد". إنه أبله حقيقي.

"لا".

قال:

"يا سيد، أنت تضطرني أن أكون فظا معك. لا أحب أن أفعل هذا، ولكن يبدو أن ذلك لا بد منه. أنت تديننا بخمسة دولارات".

قلت:

"لست مدينا بخمسة دولارات. لو مددت يدك فسوف أملأ المكان صراخا، وأوقظ كل إنسان فيه والبوليس وكل إنسان".

كان صوتي يرتعش بشكل مخيف.

قال موريس:

"هيا اصرخ، حتى ينفجر رأسك اللعين. هل تحب أن يعلم والداك أنك أمضيت ليلتك مع مومس؟ ولد من الطبقة الراقية مثلك؟".

كان ذكيا بطريقته القذرة. كان كذلك حقيقة.

"دعني. لو كنت قلت عشرة دولارات لاختلف الأمر، ولكنك قلت بوضوح..".

"هل ستدفع؟".

كان قد دفعني إلى الباب، يطل عليّ ببطنه المشعرة وجسده كله.

قلت:

"دعني، وأخرج بحق الجحيم من حجرتي".
وتكلمت الفتاة لأول مرة، قالت:
"يا موريس، أتريدني أن أخرج محفظته؟ إنها فوق ماذا يسمونه مباشرة".
"أجل هاتها".
"دعي محفظتي وشأنها".
قالت الفتاة:
"إنها معي".
ثم أخذت تلوح بخمسة دولارات. وقالت:
"أترى؟ إنني أخذت خمسة دولارات التي لي عندك. لست لصة".
وفجأة بكيت. كنت على استعداد لدفع أي شيء لو لم أبك ولكنني بكيت.
قلت:
"إنكم لصوص تسرقان خمسة.."؟
قال موريس:
"اخرس".
ودفعني بيده.
قالت الفتاة:
"هاي، دعه، هاي، هيا بنا. أخذنا نقودنا. فلنذهب، هيا بنا".
قال موريس:
"إنني قادم".
ولكنه لم يفعل.

"إنني أعني ما أقول يا موريس، دعه وشأنه".

قال ببراءة مصطنعة:

"هل آذيت أحدا؟".

ثم إذا به يغرس إصبعه في بيجامتي في مكان لن أذكره لك.

آلمني ذلك جدا. قلت له إنه أبله لعين. قال:

"ماذا قلت؟".

وهو يضع يده خلف أذنه كأنه أصم. ردد قائلا:

"ماذا قلت؟ أي شيء أنا؟".

كنت ما أزال أبكي. كنت مغتاظا ومهتاجا. قلت:

"أنت أبله قذر، نصاب، غبي، أبله، وفي خلال سنتين ستكون واحدا من أولئك المصابين بالشذوذ الذين يعترضون الطريق يسألون حسنة لله، ثمن فنجان قهوة. سيكون معطفك شديد القذارة، وسوف تكون..".

ثم صفعني. لم أحاول أن ابتعد أو أتفادى الصفعة. كل ما شعرت به هو هذا الألم في معدتي الذي نتج عن غرس إصبعه.

لم أفقد وعيي أو ما شابه، لأنني أتذكر أنني رأيتهما، وأنا واقع على الأرض، وهما يغادران الحجرة ويغلقان الباب خلفهما. ظللت ممددا على الأرض وقتا طويلا، كما فعلت عندما ضربني ستراد ليتر. اعتقدت أنني سوف أموت بالفعل. خيل إليّ أنني أغرق، وأخذت أتنفس بصعوبة. وعندما اتجهت نحو الحمام سرت محنيا وأنا أضغط على معدتي.

لكنني مجنون، أقسم على هذا بالله. فبعد أن سرت نصف المسافة إلى الحمام تظاهرت بأنني أصبت برصاصة في معدتي. لقد أطلق عليّ

موريس النار وأنا أسير نحو الحمام لأشرب كأسا من الكونياك يهدئ أعصابي ويساعدني على أن ابدأ العمل. وتخيلت نفسي وأنا خارج من الحمام اللعين، مرتديا ملابسي، ومسدسي في جيبي، أتعثر في سيري بعض الشيء. ثم أنزل على السلالم بدلا من استعمال المصعد، وأهبط وأنا أتشبث بالدرابزين، والدم يتسرب في قطرات صغيرة. ما سوف يحدث هو أنني سأنزل بضعة أدوار وأنا أضغط بيدي على بطني والدم يتسرب على الأرض. ثم سوف أضغط على الزرار طالبا المصعد. وفي اللحظة التي سوف ينفتح فيها باب المصعد سوف يراني موريس والمسدس في يدي وسيأخذ في الصراخ، بهذا الصوت الحاد المرتفع، الفزع، طالبا مني أن أدعه وشأنه. ولكنني سوف أطلق عليه النار، رغم ذلك، ست رصاصات سوف تخترق كرشه السمين، الغزير الشعر. وبعد ذلك سوف ألقي مسدسي في بئر المصعد، بعد أن أزيل بصمات أصابعي، ثم سوف أعود إلى حجرتي وأطلب جين بالتليفون لتأتي وتضمد معدتي. وتصورتها وهي تمسك سيجارة بيدها لأدخنها وأنا أنزف.

الأفلام اللعينة تدمر الإنسان وأنا لا أمزح. بقيت في الحمام لمدة ساعة، واستحممت وعدت إلى سريري. أمضيت وقتا طويلا قبل أن أنام. لم أكن حتى أشعر بالتعب. نمت في النهاية. كنت اشعر برغبة في الانتحار، في إلقاء نفسي من الشباك. الأغلب أنني كنت سوف أفعل ذلك لو كنت متأكدا أن أحدا سوف يغطي جثتي عندما أصل إلى الأرض. لا أحب أن أكون عرضة للأنظار وأنا مغطى بالدم.

الفصل الخامس عشر

لم أنم طويلا. أظنني استيقظت في حوالي العاشرة بعد أن دخنت سيجارة شعرت بجوع شديد. آخر مرة أكلت فيها كانت عندما تناولت قطعتين من الهامبورغر، أنا وبروسارد وأكلي، حين كنا في أجر ستاون. مضى وقت طويل على هذا يبدو أنه امتد خمسين عاما. كان التليفون بجواري. فكرت أن أطلب إفطارا ولكنني خفت أن يرسلوه لي مع موريس. المأفون وحده هو الذي يمكنه أن يتصور أنني شغوف برؤيته مرة أخرى. ولهذا عدت للاسترخاء في السرير ودخنت سيجارة أخرى. عزمت أن أكلم جين بالتليفون لأرى إن كانت قد عادت إلى البيت، ولكنني لم أكن في حالة مناسبة.

لهذا طلبت سالي هيز بالتليفون. كانت ملتحقة بمدرسة ماري أ. وودرف، وأنا أعلم أنها في البيت لأنني استلمت رسالة منها منذ أسبوعين لم أكن مغرماً بها ولكنني أعرفها منذ عدة سنين. ونظرا لغبائي كنت أعتقد أنها ذكية، وسبب اعتقادي هذا أنها كانت تعرف الكثير عن المسرح والمسرحيات والأدب وأمثال هذه الأشياء. إذا لقيت أحدا يعرف الكثير عن مثل هذه الأشياء فأنت تحتاج إلى بعض الوقت لتكشف إن كانوا فعلا أذكياء أم أغبياء. وقد احتاج هذا مني عدة سنين بالنسبة

لسالي. أعتقد أنه كان بإمكاني اكتشاف ذلك في وقت أقل لولا أننا كنا نتعانق كثيرا. ومشكلتي الكبرى هو أنني أعتقد أن كل شخص أعانقه وألهو معه هو إنسان شديد الذكاء. رغم أنه لا يوجد علاقة بين الأمرين، ولكنني ظللت أعتقد هذا.

على أية حال، كلمتها بالتليفون. ردت الخادمة، ثم رد أبوها ثم جاءت هي، قلت:

"سالي؟".

قالت:

"أجل. من هذا؟".

كانت مزيفة بعض الشيء، لأنني ذكرت اسمي لوالدها. قلت:

"هولدن كولفيلد. كيف حالك؟".

"هولدن! على أحسن حال. وكيف حالك أنت؟".

"حسن جدا. استمعي إلي. بالمناسبة كيف حالك، أعني المدرسة؟".

قالت:

"لا بأس. أعني، أنت تعرف".

"حسن جدا. اصغي إلي، أتساءل إن كنت مشغولة اليوم. إنه يوم الأحد وهناك حفلة أو حفلتان ماتينيه للأعمال الخيرية أو ما شابه. هل تحبين أن تأتي؟".

"أحب ذلك. عظيم".

إذا كنت أمقت كلمة فهي كلمة عظيم. إنها مزيفة جدا. ترددت لحظة وفكرت أن ألغي موعدي معها. ثم أخذنا نثرثر، أعني، هي التي راحت تثرثر. لا تستطيع أن تخرج بكلمة واحدة مفهومة منها. كلمتني،

أولا، عن أحد طلبة جامعة هارفارد، وهو على الأرجح في سنته الدراسية الأولى، ولكنها لم تقل لي ذلك. قالت إنه يطاردها بجنون. يطلبها بالتليفون ليل نهار، لقد قتلني ذلك. ثم حدثتني عن طالب آخر في الكلية الحربية، كاد أن يجز عنقه غراما بها. شيء عظيم. طلبت منها أن تقابلني تحت الساعة في بالتيمور في الثانية، ولا تتأخر، لأن العرض سوف يبدأ، على الأرجح، في الثانية والنصف. كانت دوما تتأخر عن الموعد. ثم وضعت السماعة مكانها. كانت تغيظني غير أنها كانت جميلة.

بعد أن اتفقت على الموعد مع سالي، نهضت من السرير وحزمت أمتعتي. نظرت من الشباك، قبل مغادرة الحجرة، لأرى إن كان المصابون بالشذوذ الجنسي ما زالوا يمارسون شذوذهم، غير أن شيش حجراتهم كان مغلقا. أصبحوا مثال الخلق الكريم في الصباح. هبطت بالمصعد. لم يكن موريس فيه. ولم أقتل نفسي بالطبع بحثا عن ابن الزانية.

ركبت سيارة أجرة دون أن يكون عندي أدنى فكرة عن وجهتي. ليس من مكان اذهب إليه. كان يوم أحد، وأنا لا أستطيع الذهاب إلى البيت حتى يوم الأربعاء - أو الثلاثاء على أقل تقدير - وبالطبع لم أذهب إلى فندق آخر يضربونني فيه مرة أخرى. ولهذا طلبت إلى السائق أن يذهب بي إلى المحطة المركزية الكبرى. كانت قرب بالتيمور، حيث موعدي مع سالي. قررت أن أودع حقائبي في أحد صناديق الأمانات هناك، ثم أذهب لأتناول إفطاري. كنت جائعا. أخرجت محفظتي وأنا في السيارة وعددت نقودي. لا أذكر كم كانت. ولكنها لم تكن كثيرة جدا. لقد أنفقت خلال أسبوعين مبلغا يكفي فدية لإطلاق سراح ملك من

الأسر. وهذه حقيقة. وأنا في حقيقة الأمر مبذر، وما لا أبذره يضيع مني. نصف الوقت أنسى أن آخذ باقي ما دفعت في المطاعم والملاهي، وكان هذا يثير جنون والدي. ورغم أن أبي شديد الثراء فأنا لا ألومهم. لا أعرف مقدار دخله، فهو لم يحدثني عن ذلك، ولكنني أعتقد أنه يدخله الكثير. ووالدي يعمل محامي شركات وأمثاله يكسبون الكثير. سبب آخر يجعلني أعتقد أنه ثري وهو أنه كان يوظف كثيرا من النقود في برودوي. وكانت مشروعاته في هذا المجال تفشل دائما، وهذا ما كان يثير جنون أمي، أمي التي لم تكن بصحة جيدة منذ أن مات أخي آلي. كانت عصبية جدا، وهذا سبب آخر يجعلني أخاف أن تعلم أنهم طردوني من المدرسة مرة أخرى.

بعد أن أودعت حقائبي في قسم الأمانات بالمحطة ذهبت إلى هذا البار الذي يبيع السندويتشات وتناولت إفطاري. كان إفطارا فخما بالنسبة لي: عصير برتقال، لحم خنزير وبيض وتوست وقهوة. في العادة يتكون إفطاري من عصير البرتقال، وأنا لست أكولا. وهذه حقيقة، ولهذا السبب أنا نحيل. من المفروض أن آكل الكثير من النشويات حتى يزداد وزني، ولكنني لا أفعل ذلك أبدا. عندما أكون خارج البيت فأنا أتناول في العادة سندويتش جبنة سويسري ولبن رائب. وليس هذا كثيرا ولكنك تحصل على بعض الفيتامينات من اللبن. هـ. ف. كولفيلد أي هولدن فيتامين كولفيلد.

وأنا أتناول إفطاري دخلت البار راهبتان تحملان حقائبهما. أعتقد أنهما سوف تنتقلان إلى دير آخر أو شيء كهذا، وهما في انتظار وصول القطار. جلستا على البار بجواري. لم يكن يبدو أنهما تعرفان ماذا

تفعلان في الحقائب. ولهذا ساعدتهما. كانت الحقائب مصنوعة من النوع الرخيص، من الجلد الصناعي. أعرف أن هذا لا أهمية له، ولكنني لا أحب أن أرى أحدا يحمل حقيبة من النوع الرخيص، إن قولي هذا يبدو سيئا للغاية، ولكنني، بالفعل، أنفر من الشخص الذي يحمل حقيبة رخيصة. وقد حدث مرة وأنا في مدرسة الكتون هلز وأنا ساكن مع هذا الفتى (دك سلاجل) وكانت حقائبه رخيصة جدا. وكان يضعها تحت السرير بدلا من وضعها على الرف حتى لا يراها أحد وهي بجوار حقائبي. وكان ذلك يضايقني كثيرا فكنت أقرر أحيانا أن أرمي حقائبي من الشباك، أو أن أبادلها بحقائبه. كنت قد اشتريتها من محل (مارك كروس) وكانت من جلد البقر الحقيقي، وأعتقد أنها تساوي كثيرا من النقود. ولكن ما حدث بعد ذلك كان غريبا مضحكا. إذ وضعت حقائبي تحت السرير بدلا من الرف المخصص لها. وذلك حتى لا يصاب سلاجل بعقدة نقص. وبعد أن وضعت حقائبي تحت السرير وضع هو حقائبه على الرف. والسبب الذي جعله يفعل ذلك هو أنه كان يريد أن يقنع الآخرين أن حقائبه هي حقائبي. اكتشفت هذا في ما بعد. كان ذلك هو هدفه بالفعل. كان فتى غريبا في مثل هذه الأمور. فقد كان، مثلا، دائم الذم لحقائبي، فيقول إنها جديدة أكثر مما ينبغي وبورجوازية أيضا. وكانت تلك كلمته المفضلة، ويبدو أنه قرأها أو سمعها في مكان ما، فأصبح كل ما أملك بورجوازيا، حتى قلم الحبر أصبح بورجوازيا، رغم أنه كان يستعيره مني طيلة الوقت، ولكن القلم كان بورجوازيا في كل الأحوال.

سكنا سويا في حجرة واحدة لمدة شهرين فقط. ثم طلبنا سويا أن ينتقل كل منا إلى حجرة مختلفة. والأمر المضحك أنني افتقدته بعد

افتراقنا، لأنه كان يملك حسا فكاهيا ممتازا، ولأننا كنا نمضي وقتا طيبا معا. ولن أستغرب لو أنه افتقدني أيضا. في البداية كانت نكتته الوحيدة أن يسميني بورجوازيا، ولم أكن أكترث بذلك، بل كان يضحكني. وبعد ذلك بفترة لم تعد المسألة بالنسبة له مزاحا. المشكلة الحقيقية أنه من الصعب أن تسكن في حجرة واحدة مع أناس حقائبك أجود من حقائبهم، أي أن تكون حقائبك من النوع الجيد وألا تكون حقائبهم كذلك. وأنت ترى أنهم إن كانوا أذكياء، وكانوا يتمتعون بحس فكاهي جيد فلن يعيروا هذه المسألة اهتماما. ولكن واقع الأمر عكس ذلك، في حقيقة الأمر. وهذا الذي جعلني أسكن مع ابن زانية بليد، مثل ستراد ليتر. فحقائبه، على الأقل، كانت بنفس جودة حقائبي.

جلست الراهبتان بجواري ودار بيننا حديث. الراهبة التي كانت بجواري مباشرة كانت تحمل سلة قش من النوع الذي تستعمله الراهبات وأفراد جيش الخلاص لجمع التبرعات في أيام عيد الميلاد. تراهن واقفات على نواصي الشوارع، خاصة الشارع الخامس، أمام المحلات الكثيرة. سقطت سلة الراهبة الجالسة بجواري فانحنيت والتقطتها لها. سألتها إن كانت تجمع تبرعات لبعض مشروعات الإحسان. نفت ذلك، وقالت إنها تحمل السلة لأنها لم تجد مكانا للسلة في حقيبتها. كان لها ابتسامة حلوة عندما تنظر إليك، وأنف كبير، وكانت تلبس نظارات طبية بإطار حديدي. وكانت النظارة قبيحة ووجهها قبيحاً. قلت لها:

"ظننت أنك تجمعين تبرعات، وأنا أستطيع التبرع بقليل من النقود. بإمكانك أن تحتفظي بهذه النقود وأن تضعيها في السلة عندما تقومين بجمع التبرعات".

قالت:

"كم أنت طيب".

ونظرت إلى زميلتها التي كانت تقرأ كتابا صغيرا أسود وهي تشرب قهوتها. كان الكتاب شبيها بالتوراة ولكنه أصغر منها حجماً لكن الكتاب كان شبيهاً بالتوراة. كان إفطار الراهبتين يتكون من التوست مع القهوة. ضايقني ذلك لأنني لا أحب أن آكل لحم الخنزير والبيض بينما يأكل آخرون التوست مع القهوة فقط.

سمحتا لي بأن أدفع لهما عشرة دولارات كتبرع وألحتا في السؤال إن كنت فعلا قادرا على الاستغناء عنها. قلت لهما إن معي مقدارا لا بأس به من النقود ولكن لم يبد عليهما أنهما صدقتاني. غير أنهما قبلتا التبرع، وشكرتاني كثيرا إلى حد أنهما أربكتاني. حولت الحديث إلى الموضوعات العامة وسألتهما عن وجهتهما، قالتا إنهما مدرستان، وهما قادمتان من شيكاغو وسوف تدرسان في أحد الأديرة الواقع في شارع ١٦٨ أو ١٧٦ أو شارع آخر من شوارع المدينة الأخرى. الراهبة التي كانت تجلس بجواري مباشرة والتي تلبس نظارات ذات إطار فولاذي قالت إنها تدرس اللغة الإنكليزية وإن صديقتها تدرس التاريخ العام ونظام الحكومة الأمريكية. ورحت أتساءل ـ كأي ابن زانية ـ عن مشاعر المرأة الجالسة بجواري، وهي راهبة، حين تقرأ بعض كتب اللغة الإنكليزية. لا أعني، بالضرورة، كتبا مليئة بالمشاهد الجنسية، بل تلك الكتب التي تحكي عن العشاق، مثلا، مثل (استاكيا فاي) في رواية (عودة ابن البلد) التي كتبها توماس هاردي. ورغم أن استاكيا لم تكن شبقة، فلا بد أن تتساءل عما يخطر في ذهن راهبة عندما تقرأ عن

استاكيا. لم أقل شيئا من هذا، بالطبع. كل ما قلته أن مادة اللغة الإنكليزية هي أفضل المواد بالنسبة لي.

قالت ذات النظارة التي تدرس مادة اللغة الإنكليزية.

"أوه، حقا؟ أوه إنني سعيدة. ماذا قرأت هذه السنة، فذلك تهمني معرفته؟".

كانت طيبة بالفعل.

"حسنا، معظم الوقت كنا ندرس الملحمة الأنجلو - سكسونية بيوولف. جرندل العجوز. لورد راندال ولدي، ومثل هذه الأشياء. ولكن كان علينا أن نطالع بعض الكتب غير المقررة للحصول على مزيد من الدرجات. قرأت (عودة ابن البلد) لتوماس هاردي، وروميو وجولييت، ويوليوس...".

"اوه. روميو وجولييت! رائعة! هل أحببتها؟".

لا يبدو عليها أنها راهبة حقيقية.

"أحببتها جدا. هناك بعض الأشياء التي لم أحبها فيها. ولكنها كانت مؤثرة بشكل عام".

"ما الذي لم يعجبك فيها؟ هل تتذكر؟".

وبصراحة، فإنه كان شيئا مربكا أن أتحدث معها عن روميو وجولييت. ولاسيما أن المسرحية فيها جنس في بعض المواضع، وهي راهبة. ولكنها ما دامت قد سألت فقد أخذت أتناقش معها حول روميو وجولييت لبعض الوقت.

قلت:

"في واقع الأمر لست مشغوفا بروميو وجولييت. أعني أحبهما،

ولكن لا أعرف. يصبحان مزعجين في بعض الأحيان. حزنت لمقتل مير كوشيو أكثر من حزني لموت روميو وجولييت. المسألة أني لا أحب روميو كثيرا خاصة بعد طعن مير كوشيو بيد الرجل الآخر، ابن عم روميو، ماذا كان اسمه؟".

"تايبولت".

دائما أنسى اسم هذا الولد. قلت:

صحيح تايبولت. كانت غلطة روميو. أعني أكثر شخص أحببته في المسرحية كان مير كوشيو. لست أدري. إن أفراد عائلتي مونتاجو وكابولت لا بأس بهم، خاصة جولييت. ولكن مير كوشيو كان ـ من الصعب أن أشرح لك. لقد كان ذكيا وظريفا، ومشكلتي أنني أفقد صوابي حين يقتل إنسان، خاصة عندما يكون ذكيا وظريفا، وحين يحدث ذلك نتيجة خطأ إنسان آخر. بالنسبة لروميو وجولييت، كان موتهما نتيجة خطأهما".

سألتني :

"في أية مدرسة تدرس يا عزيزي".

الأغلب أنها كانت تريد أن تغير موضوع روميو وجولييت.

قلت لها إنني أدرس في مدرسة بنسي، فاتضح أنها سمعت عنها كثيرا. قالت إنها مدرسة ممتازة، فتنازلت عن الرد. ثم إذ بالأخرى، التي تدرس التاريخ والدولة، تقول إن عليهما أن تسرعا. حاولت دفع حسابهما ولكنهما رفضتا. أخذت الوصل مني المرأة التي تلبس النظارات. قالت:

"لقد كنت في غاية الكرم معنا. إنك ولد ظريف".

كانت طيبة بالفعل، وذكرتني بأم أرنست مورو، السيدة التي قابلتها في القطار. خاصة عندما تبتسم. قالت:

"لقد استمتعنا بالحديث معك إلى أبعد حد".

قلت وأنا أيضا استمتعت بالحديث معهما. وكنت صادقا أيضا. وكنت قادرا على الاستمتاع أكثر من ذلك لولا خوفي طيلة الوقت، وأنا أكلمهما، أن يكتشفا فجأة أنني لست كاثوليكيا. الكاثوليك يحاولون دائما أن يعرفوا إن كنت كاثوليكيا. ويحدث ذلك لي كثيرا، وبعض السبب في ذلك يعود إلى أن اسم عائلتي أيرلندي، ومعظم الذين من أصل أيرلندي هم كاثوليك. وفي الواقع كان أبي كاثوليكيا قبل أن يتزوج أمي، ولكنه تخلى عن الكاثوليكية عندما تزوج أمي. ولكن الكاثوليك يحاولون أن يعرفوا إن كنت كاثوليكيا حتى وإن لم يعرفوا اسم عائلتك. كنت أعرف هذا الولد الكاثوليكي لويس جورمان عندما كنت في مدرسة هوتون، وكان أول طالب تعرفت عليه في المدرسة. كنا أنا وهو، جالسين في العيادة، ننتظر الفحص الطبي، على كرسيين متجاورين، وكان ذلك في أول يوم من العام الدراسي. ودار بيننا حديث عن التنس. كان شغوفا بالتنس مثلي. قال إنه يذهب كل سنة إلى المباراة القومية للتنس في (فورست هلز)، وقلت إنني أفعل نفس الشيء، ثم أخذنا نتحدث عن بعض لاعبي التنس الممتازين. بالنسبة لولد في مثل سنه. كان يعرف كثيرا عن التنس، حقيقة. بعد قليل، ونحن في منتصف حديثنا، سألني:

"هل تعرف أين تقع الكنيسة الكاثوليكية؟".

من الطريقة التي ألقى بها السؤال كان واضحا أنه يحاول أن يعرف

إن كنت أنا كاثوليكيا. كان يحاول ذلك حقا. لا يعني ذلك أنه كان متعصبا. بل مجرد أنه يود أن يعرف. كان مستمتعا بالحديث عن التنس، ولكنه كان سوف يستمتع به أكثر لو أنني كنت كاثوليكيا. ومثل هذا الشيء يثير جنوني. وأنا لا أقول إن هذا أوقف حديثنا، بل إن حديثنا اتصل، ولكنه لم يضف شيئا حسنا إلى الحديث. وهذا هو سبب فرحي لأن هاتين الراهبتين لم تسألاني إن كنت كاثوليكيا. لم أكن لأقطع الحديث لو سألتاني ولكنه سيصبح مختلفا في الغالب. وأنا لا أقول إنني ألوم الكاثوليك، على العكس. الأغلب أنني كنت سوف أصبح مثلهم لو كنت كاثوليكيا. وهذا يشبه حكاية الحقائب التي حدثتك عنها. كل ما أقوله إن هذا الشيء يسيء إلى الحديث الطيب. هذا هو كل ما أريد قوله.

وعندما نهضت الراهبتان فعلت شيئا سخيفا ومربكا. كنت أدخن سيجارة، وعندما وقفت لأودعهما، نفخت، بطريق الخطأ الدخان في وجهيهما. لم أتعمد ذلك ولكنني فعلته. اعتذرت كالمجنون، كانتا مؤدبتين ولطيفتين بخصوص هذه المسألة ولكن ذلك كان مربكا على أية حال.

وبعد انصرافهما، أخذت أشعر بالندم لأنني أعطيتهما عشرة دولارات فقط. ولكنني تواعدت مع سالي هيز لحضور حفلة الماتينيه وأنا بحاجة إلى بعض النقود لحجز التذاكر وغير ذلك. كنت نادما على أية حال. ملعونة النقود، تجعلك دائما حزينا كالجحيم.

الفصل السادس عشر

حين أنهيت إفطاري كان الوقت حوالي الظهر بينما موعدي مع سالي في الثانية، لهذا بدأت تلك المسيرة. لم استطع أن أتوقف عن التفكير في هاتين الراهبتين. فكرت في سلة التبرعات التي تحملانها عندما تنتهيان من التدريس، وحاولت أن أتصور أمي، أو إنسانة أخرى مثل عمتي أو مثل أم سالي هيز المأفونة وهن يقفن أمام المحلات الكبرى، يجمعن التبرعات بتلك السلة القديمة. يصعب تصور ذلك. يمكن تصور أمي، إلى حد ما، ولكن الصعوبة كانت بالنسبة لهاتين الأخريين. كانت عمتي محبة للإحسان، فهي تقوم بأعمال كثيرة للصليب الأحمر وغير ذلك. ولكنها كانت تعتني بمظهرها. حين كانت تقوم بأعمال البر ترتدي ملابس فاخرة جدا وتضع أحمر شفاه وغير ذلك من الأشياء. لا أستطيع تصورها تقوم بأعمال البر وهي ترتدي ملابس سوداء أو وهي لا تضع أحمر شفاه. أما أم سالي هيز، فبحق يسوع المسيح، فإن الوسيلة الوحيدة التي تجعلها تحمل سلة قديمة لجمع التبرعات هو أن نلزم كل متبرع بتقبيل عجيزتها. أما إذا دفع المحسنون تبرعاتهم دون أن يقولوا لها شيئا فسوف تتوقف عن جمع التبرعات بعد ساعة واحدة. سوف تضجر وتتخلى عن سلتها وتذهب إلى مطعم فاخر وتتناول غذاءها. هذا

ما جعلني أحب الراهبتين، فأنت متأكد أنهما لا تتناولان غداءهما في مكان آخر. وأنا أعلم أن ذلك ليس مهما، ولكنه جعلني حزينا.

واصلت السير في اتجاه برودوي لمجرد تمضية الوقت، وأنا لم أذهب إلى هناك منذ عدة سنين. وبالإضافة إلى هذا كنت أريد أن أبحث عن محل لبيع الاسطوانات يكون مفتوحا يوم الأحد. فقد كان هنالك هذه الأسطوانة التي أود أن اشتريها لفيب وأسمها (شيرلي بينز الصغيرة). كان من الصعب الحصول على هذه الأسطوانة. كانت عن طفلة صغيرة ترفض أن تغادر البيت لأن سنيها الأماميين سقطا، وكانت خجلة بسبب ذلك. سمعت هذه الأسطوانة في بنسي. كانت عند طالب في الطابق الذي فوقي وحاولت أن اشتريها منه لأنني أعلم أن فيب ستحبها كثيرا ولكنه رفض أن يبيعها لي. كانت أسطوانة قديمة رائعة تغنيها تلك الفتاة السوداء ستيل فليتشر قبل اثنين وعشرين عاما. كانت تغنيها بطريقة الغناء الشائعة في البارات الرخيصة والمواخير. لو أن فتاة بيضاء هي التي غنتها لجعلتها لطيفة جدا ولكن ستيل فليتشر كانت تعرف ما تفعل تمام المعرفة. ولهذا كانت من أحسن الاسطوانات التي سمعتها. قررت أن اشتريها من أحد المحلات الذي يفتح يوم الأحد لأخذها إلى الحديقة معي. كان هذا يوم أحد وكانت فيب تذهب فيه للحديقة لتمارس الانزلاق. أنا أعرف أنها في الأغلب سوف تكون هناك.

لم يكن الجو باردا كما كان بالأمس، ولكن الشمس ما زالت محتجبة. ولم يكن الجو مناسبا للمشي، ولكن كان هناك شيء واحد جميل. وأعني تلك العائلة التي يبدو واضحا أنها خارجة من الكنيسة. ويسير أفرادها أمامي مباشرة: الأب والأم وطفل في حوالي السادسة.

كان الأب يلبس قبعة رمادية، التي يلبسها الفقراء عندما يودون أن يبدوا أنيقين. كان يسير هو زوجته يتحدثان دون أن يعيرا الطفل أي انتباه. وكان الطفل رائعا. كان يسير في الشارع بدلا من الرصيف ـ يسير قرب حافة الرصيف. يسير بإصرار على المشي في خط مستقيم كما يفعل الطفل، وطيلة الوقت كان يغني ويهمهم. اقتربت منه لأسمع الأغنية التي يغنيها، فكانت تلك الأغنية: "إذا أمسك إنسان بآخر يسير عبر حقل الشوفان". وكان له صوت حلو صغير. كان يغني دون أن يكترث لأحد. وكانت السيارات تندفع بالقرب منه وصوت الفرامل يسمع في كل لحظة. ووالداه لم يكونا يعيرانه أي اهتمام. واستمر في سيره قرب الرصيف يغني: "إذا أمسك إنسان بآخر عبر حقل الشوفان". أنعشني ذلك ولم أعد أشعر بالضيق.

كانت برودوي مزدحمة وخانقة. كان يوم أحد والساعة الثانية عشرة فقط، ولكن برودوي كانت مزدحمة. الجميع كانوا ذاهبين إلى دور السينما: بارامونت أو استور، أو ستراند أو كابيتول، أو واحدة من هذه الأماكن الجنونية. وكان الجميع قد ارتدوا أحسن ملابسهم مما جعل الأمور اشد سوءا. ولكن أسوأ ما في الأمر أنك تستطيع أن تدرك أن الجميع ذاهبون إلى السينما ولهذا أضيق برؤيتهم. أنا أفهم أن يدخل أحدهم السينما لأنه لا يجد شيئا آخر يفعله، ولكن عندما يكون هناك شخص يرغب فعلا في الذهاب إلى السينما، ويسير لهذا بسرعة كبيرة فإن هذا يجعلني منقبضا جدا. خاصة عندما أرى الملايين واقفين في تلك الطوابير المزعجة على امتداد عمارة ينتظرون بصبر عجيب حتى يخلو مكان. لم استطع التخلص من برودوي بالسرعة التي أريدها.

كنت محظوظا، ففي أول محل مفتوح للأسطوانات وجدت "شيرلي بينز الصغيرة". طلبوا خمسة دولارات ثمنا لها لأنها أسطوانة نادرة ولكن ذلك لم يمنعني من شرائها. جعلني ذلك سعيدا فجأة. ما كنت قادرا على امتلاك نفسي والصبر حتى أصل الحديقة لأرى إن كانت فيب هناك وأعطيها الأسطوانة.

بعد أن غادرت محل الاسطوانات مررت أمام هذه الصيدلية، فدخلت. عزمت أن أخابر جين لأعرف إن كانت قد عادت إلى البيت في إجازتها. دخلت كشك التليفون وطلبتها، ولكن أمها هي التي ردت فقطعت الاتصال. لم أحب أن أنجر معها في حديث. وأنا لست شغوفا بالحديث مع أمهات الفتيات بالتليفون. كان يتوجب عليّ أن أسألها إن كانت جين قد عادت إلى البيت. لم يكن ذلك ليقتلني، لكنني لم أشعر برغبة فيه. على المرء أن يكون في حالة مناسبة في مثل هذه الحالات.

ما زال عليّ شراء تذكرتين للمسرح ولهذا اشتريت جريدة لأعرف المسرحيات المعروضة. ونظرا لكونه يوم أحد لم يكن هناك إلا ثلاثة عروض. لهذا اشتريت تذكرتين لمسرحية (أنا أعلم يا حبيبي). كانت حفلة خيرية أو ما يشبه ذلك. لم أكن مشغوفا بمشاهدة هذا العرض ولكنني أعلم أن سالي، ملكة الزيف، سوف تسعد حين أخبرها بأنني حجزت تذكرتين لهذا العرض. لأن لنت وزوجته كانا يشاركان فيه. وهي تحب العروض التي يفترض أنها راقية وجادة ويشارك فيها آل لنت. وأنا عكس ذلك. لا أحب العروض كثيرا، إذا أردت الحقيقة. رغم أنها ليست في رداءة الأفلام غير أنها لا تستحق كل هذا الحماس. فأنا، أولا، أكره الممثلين. إنهم لا يتصرفون مثل بقية الناس. رغم اعتقادهم أنهم يفعلون

ذلك. الممتازون منهم يفعلون ذلك إلى حد ما، ولكن ليس على النحو الذي يمتعك مشاهدته. وإذا كان الممثل حقيقة ممثلا جيدا فأنت تلاحظ فورا أنه يعلم ذلك، فيشوه كل شيء. خذ سير لورنس أوليفييه مثلا، رأيته يمثل هاملت. كان د. ب. قد أخذني أنا وفيب لمشاهدته في السنة الماضية. دعانا للغداء ثم أدخلنا السينما. كان د. ب. قد رآه قبل ذلك، ومن طريقته في الحديث عنه ساعة الغداء جعلني شديد التشوق لمشاهدته. ولكنني لم أستمتع كثيرا. فأنا لا أستطيع أن أتبين الشيء الرائع في لورنس أوليفييه. هذا كل ما في الأمر. كان له صوت جميل، وكان وسيما جدا، واستمتعت بمشاهدته وهو يمشي أو يبارز، ولكنه لم يكن شبيها بهاملت الذي وصفه لنا د. ب.، بل أشبه بجنرال لعين بدلا من الفتى الحزين المظلوم. أحسن جزء في الفيلم هو عندما كان أخو أوفيليا يستعد للسفر. ذلك الأخ الذي تبارز مع هاملت في نهاية الفيلم، وأخذ أبوه يلقي إليه عددا كبيرا من النصائح، إذ في الوقت الذي كان الأب يلقي نصائحه كانت أوفيليا تعابث أخاها، فتستل خنجره من قرابه وتعابثه طيلة الوقت الذي كان يحاول أن يبدو شديد الاهتمام بلغو أبيه. كان ذلك لا بأس به فقد أمتعني. ولكن هذا لا يتكرر كثيرا. المشهد الوحيد الذي أحبته فيب هو عندما ربت هاملت على كلبه. كانت تعتقد أن ذلك مضحك ولطيف. يجب أن أقرأ تلك المسرحية. المشكلة أنه عليّ دائما أن اقرأ مثل هذه الأشياء بنفسي. أما إذا مثلها ممثل فمن النادر أن أصغي. أظل قلقا على الدوام من أن يفعل شيئا زائفا. بعد أن حجزت التذكرتين ركبت سيارة أجرة إلى الحديقة. كان عليّ أن أركب قطار الأنفاق وشيئا كهذا لأن نقودي أصبحت قليلة، ولكنني كنت راغبا بشدة في مغادرة برودوي بأسرع ما يمكن.

كان كل شيء قبيحا في الحديقة. لم يكن الجو شديد البرودة. ولكن الشمس ما زالت محتجبة، وبدا أن ليس هناك من أحد في الحديقة سوى قاذورات الكلاب وبصقات رجال متقدمين في السن وأعقاب السيجار، كما بدت دكك الجلوس مبلولة. وقد جعلني ذلك كئيبا، وبين آن وآخر، ودون سبب واضح كنت أحس بقشعريرة. لم يكن هنالك ما يدل على أن عيد الميلاد أو أي شيء آخر قادم قريبا. لكنني واصلت السير حيث يمكن أن أجد فيب. كانت تحب الانزلاق قرب المنصة التي تعزف فوقها الفرقة الموسيقية حيث كنت أحب الانزلاق وأنا طفل.

حين وصلت هناك لم أعثر لها على أثر. كان هنالك بعض الأطفال يتزحلقون واثنان منهم يلعبان بكرة يتقاذفانها فيما بينهما. ولكنني لم أجد فيب. رأيت طفلة في مثل سن فيب تجلس على الدكة وتشد حذاء الانزلاق. قدرت أنها قد تعرف فيب وتدلني عليها، ولهذا سرت وجلست بجوارها وسألتها: "هل تعرفين فيب كولفيلد؟".

قالت: "من؟".

كانت تلبس بنطلون جينز وحوالي عشرين كنزة. وكان واضحا أن أمها هي التي صنعت كنزات الصوف لأنها كانت خشنة.

"فيب كولفيلد التي تسكن في شارع ٧١، وهي في السنة الرابعة، وهي..".

"أنت تعرف فيب؟".

"أجل، فأنا أخوها. هل تعرفين أين هي؟".

قالت الطفلة: "هي في فصل مس كالون، أليس كذلك؟".

"لا أعلم. أجل، أعتقد أنها فيه".

قالت: "الأغلب أنها في المتحف، إذن. لقد زرناه يوم السبت الماضي".

سألتها: "أي متحف؟".

هزت كتفيها وقالت: "لا أدري. المتحف".

"إنني أسأل هل هو المتحف الذي فيه الصور أم ذاك الذي فيه الهنود ؟".

"ذاك الذي فيه الهنود".

قلت: "أشكرك كثيرا".

نهضت استعدادا للانصراف ثم تذكرت فجأة أن اليوم الأحد. قلت للطفلة: "اليوم الأحد" نظرت إليّ وقالت: "أوه، إذن، فهي ليست هناك".

كانت تجهد نفسها في ربط حذاء الانزلاق. ولم تكن تلبس قفازا فلهذا كانت يداها باردتين وحمراوين. ساعدتها على ربط الحذاء. ورغم أني لم أفعل ذلك منذ سنين ولكنه لم يبد غريبا عليّ. بإمكانك أن تضع في يدي مفتاح حذاء الانزلاق بعد خمسين سنة وفي ظلام دامس وثق أنني سوف أعرفه. شكرتني عندما انتهيت من ربط الحذاء. كانت طفلة لطيفة ومؤدبة جدا. وأنا شغوف بكل طفلة تكون لطيفة ومؤدبة حين تربط لها حذاء الانزلاق. ومعظم الأطفال كذلك، حقيقة. سألتها إن كانت تحب أن تتناول معي قدحا من الشوكولاتة الساخنة، فرفضت وشكرتني. قالت إنها ستقابل صديقتها، الأطفال دائما على موعد مع أصحابهم، وهذا يقتلني.

ورغم أنه كان يوم أحد، وفيب لن تكون هناك مع فصلها، ورغم أن الجو رطب وكئيب سرت عبر الحديقة إلى متحف التاريخ الطبيعي لأنني

أعرف أنه المتحف الذي تعنيه الطفلة. وأنا أعرفه كأنني أقرأ في كتاب. إن فيب تدرس في نفس مدرستي عندما كنت طفلا ولهذا كنت قد ذهبت كثيرا إلى هذا المتحف. كانت هناك هذه المدرسة مس ايجلتنجر التي كانت تأخذنا كل سبت إلى المتحف. كنا أحيانا نتفرج على الحيوانات وأحيانا أخرى على الأدوات التي كان يصنعها الهنود في الأزمنة القديمة، مثل الفخار وسلال القش وما شابهها. وأحس بسعادة كبيرة حتى الآن عندما أستعيد ذلك. أذكر أننا كنا بعد مشاهدة الأدوات التي صنعها الهنود، نذهب لمشاهدة فيلم عن كولومبوس في تلك القاعة الكبيرة كانوا دائماً يعرضون لنا كولومبوس وهو يكتشف أمريكا، بعد أن بذل مجهودا خارقا لإقناع فردناند وايزايل لمنحه النقود لشراء السفن ثم يروننا كيف كان البحارة يثورون عليه. ولم يكن أحد منا يعير كولومبوس اهتماما كبيرا لأن الواحد منا كان معه الكثير من الحلوى واللبان كما كانت رائحة القاعة لطيفة للغاية، رائحة تجعلك تشعر أن الجو ممطر في الخارج. حتى لو لم يكن ممطرا، وتشعرك أيضا أنك تجلس في المكان الوحيد اللطيف، الجاف والمريح في العالم. كنت أحب ذلك المتحف اللعين. وأذكر أنه كان عليك أن تمر عبر صالة الهنود حتى تصل إلى قاعة العرض، وكانت قاعة طويلة جدا، وكان المفروض ألا تتحدث إلا همسا. كانت المدرسة تدخل أولا ثم يتبعها الفصل، على شكل صفين، ولكل واحد منا زميل يقف بجواره. ومعظم الأحيان كانت الفتاة التي تقف بجواري هي جيرترود ليفين، وكانت تحب أن تمسك يدي، وكانت يدها دائما دبقة وعرقانة. أرضية المكان كانت من الحجارة، وإذا كان معك بعض العلب وأسقطتها على الأرض فإنها تندفع في كل اتجاه

كالمجانين، محدثة ضجة مزعجة. وحين يحدث ذلك فإن المدرسة تأمرنا بالتوقف وتستدير عائدة لترى ما حدث. وهي لا تغضب أبدا. ثم نمر بذلك القارب الطويل جدا، طول ثلاث سيارات كاديلاك واقفة وراء بعضها، وفي داخل القارب حوالي عشرين هنديا، بعضهم يجدف وبعضهم يقف فقط ينظر بصرامة وتحد. وكلهم قد طليت وجوههم بطلاء الحرب. في نهاية القارب كان هنالك هندي أشبه بالشبح، يغطي وجهه بقناع. كان هذا هو الطبيب الساحر. كان يخيفني ولكنني كنت أحبه. شيء آخر: إذا لمست أحد المجاديف أو أي شيء آخر في القارب وأنت مار من هناك يقول لك أحد الحراس: "لا تلمسوا شيئا أيها الأطفال". ولكنه كان يقول ذلك بصوت لطيف، ليس كأصوات رجال الشرطة. ثم كنا نمر بجوار ذلك المكعب الزجاجي الذي في داخله هنود يفركون عصيا لاستخراج النار، وفيه امرأة نصف هندية ونصف بيضاء تنسج بطانية. وكانت منحنية وبإمكانك رؤية ثدييها. وكنا نختلس نظرة طويلة إليهما حتى الفتيات، إذ كن مثلنا صغيرات ودون أثداء. ثم قبل أن تدخل قاعة العرض، وقرب بابها مباشرة كان هنالك هذا الأسكيمو. كان يجلس فوق ثقب في تلك البحيرة الجليدية، وكان يصطاد. كان هناك حوالي سمكتين بجوار الثقب، اصطادهما منذ قليل. وكان المتحف مليئا بالمكعبات الزجاجية، كان هناك الكثير منها في الطابق الأعلى. وكان فيها وعل يشرب الماء من ثقب، وعصافير تطير إلى الجنوب بسبب الشتاء. العصافير القريبة إليك كانت محنطة ومربوطة بأسلاك، وأما تلك التي كانت في الخلف فقد كانت مرسومة ولكنها تبدو وكأنها تطير فعلا في اتجاه الجنوب. أكثر ما أعجبني في المتحف أن كل شيء يظل في مكانه.

لا شيء يتحرك. تستطيع أن تزور المتحف مئة ألف مرة فتجد ذلك الأسكيمو في كل مرة وقد انتهى لتوه من صيد هاتين السمكتين، ترى العصافير في طريقها إلى الجنوب، والوعول تشرب الماء من ثقب بقرونها الجميلة وأرجلها النحيلة اللطيفة، والمرأة نصف الهندية ذات النهد العاري تراها تنسج نفس البطانية، لا شيء يتغير، عداك أنت، وأنا لا أعني أنك سوف تكبر في السن، ليس ذلك بالضبط. كل ما هنالك أنك تتغير، كأن تكون لابسا معطفا مرة، وأخرى لا تكون، أو أن يكون زميلك في الصف مصابا بحمى قرمزية ويقف بجوارك آخر. أو قد تكون مدرسة غير مس ايجلتنجر هي التي تأخذ الفصل إلى المتحف، أو أنك قد سمعت والديك يتشاجران في الحمام، أو قد تكون شاهدت إحدى تلك البقع الزيتية في الشارع فوقها قوس قزح من الألوان. أعني أنك تصبح مختلفا بشكل ما، لا أعرف كيف اشرح ذلك. وحتى لو شرحت ذلك لما كان شرحي هو ما أشعر به بالفعل.

أخرجت قبعة الصيد من جيبي ولبستها وأنا أمشي. كنت متأكدا أنني لن أصادف أحدا يعرفني ما دام الجو رطبا في الخارج. واصلت سيري وأنا أفكر في فيب وهي تذهب إلى ذلك المتحف في أيام السبت كما تعودت أن أفعل، وكيف أنها سترى نفس الأشياء التي كنت أراها، وكيف أنها ستكون مختلفة في كل مرة ترى فيها هذه الأشياء. لم يضايقني التفكير في ذلك ولم يفرحني. بعض الأشياء يجب أن تبقى كما هي، حيث يمكن وضعها في أحد الصناديق الزجاجية وتركها هناك. وأنا أعلم أن ذلك مستحيل، وهذا شيء يؤسف له على أية حال. ومضيت أفكر في هذه الأمور وأنا أسير.

ومررت بجوار ذلك الملعب ورايت طفلين يجلس كل منهما على أقصى طرفي لوح خشبي يستقر على حامل ويتأرجحان. كان أحدهما سمينا فوضعت يدي على الطرف الذي يجلس عليه الطفل النحيل ليتعادلا. إلا أنه كان واضحا أنهما لا يريدان تدخلي فانصرفت عنهما.

ثم حدث شيء مضحك وذلك أنني عندما وصلت إلى المتحف شعرت أنني لا أحب دخوله حتى ولو دفعوا لي مليون دولار. مجرد لم يرق لي الدخول، فسرت بجوار الحديقة اللعينة أتطلع إليها. لو كانت فيب في الداخل فلربما دخلت، ولكنها لم تكن. كل ما فعلته أنني ركبت سيارة أجرة من أمام المتحف واتجهت إلى بالتيمور. لم أكن شديد الرغبة في الذهاب، ولكنني ارتبطت بذلك الموعد اللعين مع سالي.

الفصل السابع عشر

وصلت مبكرا ولهذا جلست على إحدى تلك الكنبات الجلدية بجوار الساعة، في البهو، وأخذت أراقب الفتيات. عدد كبير من المدارس في إجازة ولهذا كان هناك حوالي مليون فتاة جالسات أو واقفات في انتظار أصدقائهن. فتيات يجلسن واضعات ساقا فوق ساق، وأخريات لا يضعن ساقا فوق ساق، فتيات لهن سيقان رائعة وأخريات لهن سيقان قبيحة، فتيات يبدو عليهن أنهن ممتازات، وأخريات سوف يتكشفن عن عاهرات عندما تعرفهن. كان مشهدا لطيفا إن كنت تعرف ما أعنيه. وكان المشهد من الناحية الأخرى مثيرا للضيق لأنك سوف تتساءل: ماذا سوف يحدث لهن في المستقبل بحق الجحيم. أعني عندما يتخرجن من المدرسة والكلية. وتقدر أن معظمهن سوف يتزوجن أولادا بلهاء، أولادا من النوع الذي يتحدث عن عدد الأميال التي تقطعها سيارته بجالون البنزين الواحد. أولادا يفقدون أعصابهم كالأطفال عندما تنتصر عليهم في الجولف، أو في لعبة سخيفة مثل تنس الطاولة، أولادا أدنياء جدا، لا يقرؤون كتبا، أولادا مضجرين. ولكن عليّ أن أكون حذرا في إطلاق أحكامي، أعني فيما يتصل بكون بعض الناس مضجرين. أنا عاجز بالفعل عن فهم الفتيان المضجرين. عندما كنت في مدرسة الكتون هلز

سكنت في حجرة واحدة لمدة شهرين مع هذا الولد هاريس ماكلين. كان ذكيا جدا ولكنه من أكثر من قابلت إثارة للضجر. كان له صوت مشروخ ولا يتوقف عن الكلام أبدا. كان لا يكف عن الكلام ولا يتحدث أبدا عن موضوع يثير اهتمامك. غير أنه كان قادرا على شيء واحد: كان ابن الزانية قادرا أن يصفر أحسن من أي إنسان رأيته. يصفر مثلا وهو يعلق ملابسه في الدولاب. دائما يعلق ملابسه في الدولاب وكان ذلك يثير جنوني، ويصفر عندما يكف عن الحديث بصوته المشروخ. كان يستطيع أن يصفر ألحانا كلاسيكية، ولكنه كان معظم الوقت يصفر ألحان الجاز، فيختار لحنا مثل بلوز السطح الصفيح ويصفره بحلاوة ويسر قاتلين وهو لا يزال يعلق ملابسه في الخزانة. وبطبيعة الحال لم أقل له أن تصفيره رائع. أعني أنك لا تتوجه إلى أي كان وتقول له ببساطة: "إن تصفيرك رائع". ولكنني رغم هذا سكنت معه في حجرة واحدة لمدة شهرين كاملين رغم أنه أضجرني إلى حد أصبحت معه نصف مجنون، وقد احتملته بسبب كونه مصفرا رائعا، أروع من سمعت. وهذا يجعلني عاجزا عن فهم المضجرين. ربما كان من الخير لك ألا تأسف كثيرا إذا فتاة ممتازة تزوجت واحداً منهم. معظمهم غير مؤذ، وربما كانوا سرا مصفرين ممتازين أو شيئا كهذا. من، بحق الجحيم، يستطيع أن يعرف؟ لست أنا على أية حال.

وفي النهاية رأيت سالي تصعد السلم فهبطت للقائها. كانت رائعة حقيقة. كانت ترتدي جاكتة سوداء وبيريه أسود. ومن النادر أن تلبس قبعة ولكن البيريه كان لطيفا. الأمر المضحك أنني عزمت على الزواج منها بمجرد أن وقع عليها نظري. إنني مجنون، فأنا لا أحبها كثيرا. ثم

فجأة شعرت أنني متيم بها وأريد أن أتزوجها. أقسم بالله، وأعترف بأنني مجنون.

قالت: "هولدن! رائع أن أراك! مر وقت طويل لم أرك فيه".

كان لها هذا الصوت العالي المربك تستقبلك به عندما تقابلها في مكان ما. وأنا أتغاضى عن ذلك لكونها جميلة، ولكن الصوت كان أزعجني.

قلت وأنا أعني ما أقول: "رائع أن أراك، كيف حالك؟".

"في أحسن حال. هل تأخرت؟".

قلت لها إنها لم تتأخر، رغم أنها، في حقيقة الأمر تأخرت حوالي عشر دقائق. ولكنني لم أعر ذلك اهتماما. كل هذا اللغو الذي يصورونه في كاريكتير صحيفة (ساترديه ايفننغ بوست) عن فتيان يقفون على نواصي الشوارع والغضب باد عليهم لأن صديقاتهم تأخرن - لغو كل هذا. إذا كانت الفتاة التي ستقابلها حلوة فمن ذا الذي يكترث لمجيئها متأخرة؟ لا أحد. قلت:

"خير لنا أن نسرع لأن العرض يبدأ في الساعة الثانية وأربعين دقيقة".

وهبطنا الدرجات إلى حيث تقف سيارات الأجرة. قالت:

"إلى أي عرض نحن ذاهبان؟".

"لست أدري. اللنت هو المكان الوحيد الذي استطعت أن أجد فيه تذاكر".

"لنت! رائع!".

لقد أخبرتك أنها سوف تفقد صوابها عندما تسمع كلمة لنت.

مارسنا بعض العبث في السيارة ونحن في طريقنا إلى المسرح. رفضت أول الأمر بسبب أحمر الشفاه الذي تضعه على شفتيها، غير أنني كنت مغويا جدا فلم يكن أمامها أي خيار. وكدت أسقط عن الكرسي مرتين عندما توقفت السيارة فجأة بسبب إشارات المرور. إن سائقي السيارات اللعينين لا يحاولون التأكد من موطئ أقدامهم. أقسم أنهم لا يحاولون. ولترى مدى جنوني فإنني ما كدت أغادر السيارة حتى قلت لها إنني أحبها. كنت كاذبا بالطبع، ولكنني كنت صادقا عندما قلته.

أقسم بالله أنني مجنون. قالت: "أوه، يا حبيبي، أنا أحبك أيضا".

وفي نفس اللحظة قالت:

"عدني أنك ستدع شعرك يطول. الشعر القصير أصبح قبيحا، وشعرك حلو جدا".

حلو. بحق عجيزتي.

لم يكن العرض برداءة بعض العروض التي شاهدتها من قبل ولكنه لم يكن ممتازا. كان العرض يدور عن حوالي نصف مليون سنة في حياة عجوزين. يبدأ العرض عندما كانا شابين، وأهل الفتاة يعارضون زواجها من الفتى، تزوجته على أية حال. ثم أخذا يتقدمان في السن. ويذهب الزوج للحرب، وللزوجة أخ سكير. ولم أستطع أن أندمج، أعني أنني لم أكن أكترث كثيرا عندما كان يموت أحد أفراد العائلة أو عندما يحدث له مكروه كانوا جميعا جماعة من الممثلين. فقد كان الزوج والزوجة لطيفين للغاية، دمهما خفيف وما شابه ذلك، ولكنني عجزت عن أن أشعر باهتمام بهما لأنهما كانا يشربان الشاي وأشياء كهذه طول مدة العرض:

في اللحظة التي يقع نظري فيها عليهما أرى على الفور خادما داخلا يضع أدوات الشاي أمامهما، أو أرى الزوجة تصب الشاي لأحد الضيوف. وخلال فترة العرض بطولها كان الجميع لا يفتؤون يدخلون ويخرجون، وقدأصبت بالدوار وأنا أرى الممثلين على المسرح يجلسون ويقفون طيلة الوقت. كان الفرد لنت ولين فونتان يقومان بدور الزوجين العجوزين، وقد أجادا دورهما ولكنني لم أحبهما كثيرا. ولا بد من القول إنهما كانا مختلفين عن الآخرين، فلم يقلدا حركات الناس العاديين، ولم يمثلا كالممثلين. من الصعب شرح ذلك. لقد مثلا كأنهما يعرفان أنهما مهمان. أعني أن تمثيلهما كان جيدا، ولكنه جيد أكثر من الضروري. فعندما ينتهي أحدهما من عبارته كان الآخر يتكلم بسرعة بعده. وكان من المفروض أن يكون هذا حال البشر في الحياة العادية حين يتحدثون ويقاطعون بعضهم. والمشكلة أنهم يشبهون الناس الذين يتكلمون ويقاطعون بعضهم أكثر من اللازم. كان تمثيلهم شبيها بعزف أرني على البيانو. إذا كنت تفعل شيئا أحسن مما يجب ولم تأخذ حذرك فإنه بعد فترة من الزمن يستولي عليك حب التظاهر والرغبة في الاستعراض. عند هذا لن يكون لك تميزك الحقيقي. غير أنهما كانا الوحيدين - أعني آل لنت - في العرض اللذين يبدو أنهما يملكان عقلا حقيقيا. عليّ أن أعترف بهذا.

بعد انتهاء الفصل الأول خرجنا إلى الاستراحة مع الحمقى الآخرين لتدخين سيجارة. وأية صفقة هي هذه. لن ترى في حياتك هذا العدد الكبير من المزيفين. الجميع كانوا يدخنون بشراهة ويتحدثون عن المسرحية بأصوات عالية حتى يدرك الحضور أنهم أذكياء جدا. كان أحد ممثلي السينما الحمقى يقف بالقرب منا يدخن سيجارة. وأنا أعرف اسمه ولكنه

يمثل في أفلام الحرب دور الفتى الذي يجبن في آخر لحظة. كان يصحب شقراء رائعة وكانا يتظاهران بأنهما مستغرقان في الاستمتاع معا، وتشعر أنه يدرك أن الناس ينظرون إليه. شديد التواضع هذا الولد. استمتعت كثيرا بهذا. أما سالي فلم تتحدث كثيرا سوى ترديد بعض عبارات الإعجاب بآل لنت، إذ كانت مشغولة بزينتها، لتبدو ساحرة المنظر. وفجأة رأت واحدا من الحمقى كانت على معرفة به. كان في الطرف الآخر من البهو، يرتدي بذلة من الفانيلا الداكنة، ويلبس أيضا صديريا. طالب في إحدى الجامعات الكبرى ودون شك شخصية هامة. كان يقف بجوار الجدار، يدخن بشراهة ويبدو ضجرا جدا. ومضت سالي تردد: "هذا الفتى رأيته في مكان ما". وهي دائما تتعرف على بعض الناس أو تظن ذلك في كل مكان تصحبها إليه. واستمرت تردد ذلك حتى سئمت، فقلت لها: "مادمت تعرفينه لماذا لا تذهبين إليه وتقبلينه قبلة كبيرة. سوف يفرح بذلك". غضبت لقولي. وفي النهاية رآها الأحمق وجاء إليها وحياها. كان عليك أن تراهما وكل منهما يحيي الآخر. سيخيل إليك أنهما لم يريا بعضهما منذ عشرين عاما، وأنهما كانا يستحمان في بانيو واحد عندما كانا طفلين. صديقان حميمان. كان ذلك مثيرا للغثيان بالفعل. والمضحك أنهما ربما تقابلا مرة واحدة في حفلة تافهة. بعد أن انتهيا من تبادل التفاهات قدمتنا سالي لبعضنا. اسمه جورج شيء ما، لا أذكره، يدرس في جامعة اندروفر. شخصية خطيرة جدا. عليك أن تراه عندما سألته سالي عن رأيه في المسرحية. كان أحد أولئك المزيفين الذين يوسعون الفراغ الذي حولهم حين يردون على سؤال وجه إليهم. عاد خطوة إلى الوراء، وداس على قدم السيدة التي تقف

خلفه، والأغلب أنه هشم كل أصابع قدميها. قال إن المسرحية ليست رائعة للغاية ولكن آل لنت كانا ملاكين. ملائكة! بحق المسيح. قتلني ذلك. ثم تحدث هو وسالي عن معارفهما المشتركين. وكان ذلك أكثر الأحاديث زيفا إذ أخذا يتذكران أسماء الأماكن بأقصى سرعة. ثم يتذكران اسم شخص يعيش في ذلك المكان ويذكران اسمه. كنت على وشك التقيؤ بالفعل عندما انتهت الاستراحة. وعندما انتهى الفصل الثاني واصلا حديثهما المضجر، يسترجعان مزيدا من أسماء الأماكن ومن الأشخاص الذين يعيشون فيها. وأسوأ ما في الأمر أن ذلك الأحمق كان له ذلك الصوت المزيف جدا، صوت طلبة الجامعات الكبرى، المجهد جدا، والمتعالي جدا. كان صوته شبيها بصوت فتاة. ولم يتوانَ ابن الزنا على إبعاد فتاتي عني والاستيلاء على اهتمامها، حتى ظننت للحظة أنه سوف يركب سيارة الأجرة معنا بعد انتهاء العرض إذ سار معنا على امتداد عمارتين، إلا أنه كان عليه أن يقابل بعض الحمقى لتناول الشراب، كما قال. وأنا أستطيع أن أتصورهم جالسين في أحد البارات بحللهم ذات الصديري وهم ينتقدون العروض المسرحية والكتب والنساء بتلك الأصوات المجهدة المتعالية. هؤلاء الفتيان يجعلونني أفقد صوابي.

حين ركبنا السيارة كنت أشعر ببعض الكره نحو سالي بعد أن أصغيت لحديث ابن الزنا طالب اندروفر لمدة عشر ساعات. كنت عازما أن أعود بها إلى البيت غير أنها قالت: "عندي فكرة رائعة". عندها دائما أفكار رائعة. قالت:

"استمع إليّ، في أية ساعة يجب أن تعود إلى البيت للعشاء؟ أعني هل أنت مستعجل؟ هل أنت مضطر للعودة إلى البيت في وقت محدد؟".

قلت: "أنا؟ لا، ليس هنالك أي وقت محدد أعود فيه. لماذا؟".

لم أكن صادقا في حياتي صدقي في تلك اللحظة.

"دعنا نذهب للتزحلق على الجليد في راديو سيتي".

"نذهب للتزحلق على الجليد في راديو سيتي! تعنين الآن؟".

"لمدة ساعة. ألا تريد؟ إذا كنت لا تريد..".

قلت: "لم أقل إنني لا أريد. سنذهب بالتأكيد إذا كنت تريدين".

"تقول الحق؟ لا تقل ذلك إن لم تكن ترغب بالفعل. أعني الأمر عندي سيان، ذهبنا أم لم نذهب".

ليس صحيحا. قالت سالي:

"نستطيع استئجار تلك الجونيلات الصغيرة، الظريفة. فعلت ذلك جانيت كلتز في الأسبوع الماضي".

هذا، إذن، سر حماسها للذهاب. تحب رؤية نفسها مرتدية إحدى تلك الجونيلات التي لا تغطي إلا جزءا صغيرا من مؤخرتها.

وهكذا ذهبنا. بعد أن لبسنا أحذية التزحلق أعطوا سالي ذلك الثوب القصير. كانت جميلة فيه بالفعل. لا بد من الاعتراف بذلك. وإياك أن تظن أنها لم تكن تعرف ذلك. كانت تتقدمني بمسافة قصيرة لتتيح لي مشاهدة جمال عجيزتها، وقد كانت جميلة بالفعل يجب أن أعترف بذلك.

المضحك أننا كنا أسوأ المتزحلقين في ذلك المكان. والمؤكد على كلمة أسوأ. كان هنالك بعض المخنثين أيضا، وكان كاحلا سالي يميلان حتى يلامسا الأرضية الجليدية. كان ذلك منظرا سخيفا، والأغلب أنه كان مؤلما. أنا شخصيا كنت أتألم من ذلك، وكان ألما قاتلا. الأغلب أننا

كنا نبدو في منتهى الروعة، وزاد الأمور سوءا أنه كان هنالك مئات المتفرجين لا يجدون شيئا أفضل يفعلونه من مشاهدة الذين يسقطون وهم يتزحلقون.

قلت لها: "هل تحبين أن نجلس في الداخل ونشرب شيئا ؟".

قالت: "هذه أروع فكرة خطرت لك اليوم".

كانت في تزحلقها تكاد تقتل نفسها، وكان ذلك وحشيا، وقد شعرت بالشفقة عليها.

نزعنا أحذية الانزلاق وجلسنا في ذلك البار حيث تستطيع تناول شرابك ومراقبة الآخرين وأنت تلبس جواربك فقط. بمجرد أن جلست سالي خلعت قفازها فأعطيتها سيجارة. لم تكن تبدو سعيدة. جاء الجرسون فطلبت لها كوكاكولا، رفضت أن تشربها، وطلبت لنفسي ويسكي مع الصودا. ولكن ابن الزانية رفض أن يأتيني به فطلبت كوكاكولا أيضا. ثم أخذت أشعل أعواد الكبريت. وأنا أفعل ذلك كثيرا عندما أكون في حالة نفسية معينة. وأنا أدع العود يحترق حتى لا يعود باستطاعتي الإمساك به فألقيه في طفاية السجاير. عادة عصبية.

ثم فجأة ودون سابق إنذار قالت سالي:

"استمع يجب أن أعرف. هل تأتي أم لا لتساعدني في إعداد شجرة عيد الميلاد ؟ يجب أن أعرف".

كانت معكرة المزاج بسبب ألم كاحليها الذي نتج عن التزحلق.

"كتبت إليك أنني سأفعل. سألتني هذا السؤال عشرين مرة وأكثر. بالتأكيد سآتي".

قالت: "أقصد أنه يجب أن أعرف".

ثم أخذت تجيل نظرها في الحجرة. فجأة توقفت عن إشعال عيدان الكبريت وانحنيت نحوها. بعض الموضوعات كانت تشغل ذهني. قلت: "هاي، سالي".

قال: "ماذا قلت؟".

كانت تنظر إلى فتاة في الطَرَف الآخر من الحجرة. قلت:

"هل تشعرين أحيانا بأنك ضقت بكل شيء ولا تستطيعين التحمل أكثر من ذلك؟ أعني هل تشعرين بخوف أن يصبح كل شيء مقيتا إن لم تفعلي شيئا ما؟ أعني هل تحبين المدرسة وكل تلك الأشياء؟".

"إنها مضجرة للغاية".

"أعني، هل تكرهينها؟ أعلم أنها مضجرة للغاية، ولكن ما أعنيه هو هل تكرهينها؟".

"حسنا، لست أكرهها بالضبط. فعليك دائما أن..".

قلت: "حسنا فأنا أكرهها، أكرهها جدا. ليس ذلك فقط بل أكره كل شيء. أكره الحياة في نيويورك وكل شيء. أكره سيارات الأجرة وباصات شارع ماديسون بسائقيها، وصراخهم الذي يأمرني أن أنزل من الباب الخلفي، أكره التعرف على فتيان مزيفين يسمون آل لنت ملائكة، وأن تصعد وتهبط في المصاعد لمجرد أنك تريد الخروج، أكره الفتيان الذين يقيسون البنطلونات في متجر بروك، والناس الذين دائما.."

قالت سالي: "أرجوك لا تكثر من الصياح".

وكان ذلك مضحكا جدا لأنني لم أكن أصرخ. قلت بصوت هادئ:

"خذي سائقي السيارات كمثال. معظم الناس مهووسون بالسيارات. يتملكهم القلق إذا خدشت السيارة خدشا بسيطا. وهم دائما يتحدثون

عن عدد الأميال التي تقطعها السيارة بالجالون الواحد، ولو اشتروا سيارة جديدة فإنهم يشغلون أنفسهم بالتفكير في استبدالها بسيارة أكثر جدة. وأنا حتى لا أحب السيارات القديمة بل أفضل عليها حصانا لعينا فالحصان، على الأقل، إنساني، بحق الله. على الأقل، فيما يختص بالحصان.. ".

قالت سالي: "لا أعرف عما تتحدث. فأنت تقفز من موضوع".

قلت: "تعرفين شيئا؟ ربما كنت أنت السبب الوحيد لبقائي في نيويورك في هذه اللحظة، أو في أي مكان آخر. لو لم تكوني هنا لكنت في مكان بعيد جدا، في الغابات أو في أي مكان لعين آخر. أنت السبب الوحيد لبقائي بالفعل".

قالت: "أنت ظريف".

غير أنه كان واضحا أنها تريدني أن أغير الموضوع. قلت:

"عليك أن تدرسي في مدرسة صبيان. جربي ذلك مرة واحدة. إنها مليئة بالمزيفين، وكل ما تفعلينه هناك هو الدراسة لتنالي قدرا من العلم يجعلك تملكين المهارة الكافية لشراء سيارة كاديلاك لعينة يوما ما. وعليك خلال ذلك بالتظاهر أنك شديدة الاهتمام إذا انهزم فريق كرة القدم، وكل ما تتحدثين عنه هو الفتيات، الجنس، والجميع يتكتلون في مجموعات قذرة. الفتيان والخمر يلعبون البيسبول يشكلون مجموعة. والكاثوليك مجموعة والمثقفون مجموعة والذين يلعبون البريدج مجموعة. حتى الفتيان الذين ينتمون إلى نادي كتاب الشهر لهم مجموعة. وإذا حاولت أن تثيري حديثا ذكيا.. ".

قالت سالي: "اسمع، كثير من الأولاد يخرجون من المدرسة بأكثر من هذه الأشياء".

قلت: "إنني أتفق معك! أتفق معك بأن بعضهم يخرجون من المدرسة بأكثر من هذا! وأما بالنسبة لي، فهذه هي كل الفائدة التي أخرج بها. أترين؟ ذلك ما كنت أود قوله. هذا ما قصدته بالضبط. إنني لا أخرج بأي شيء من أي شيء. إنني في حالة سيئة. أعني في حالة تعسة".

"إنك لكذلك بالفعل".

ثم فجأة خطرت لي هذه الفكرة. قلت:

"استمعي إلي. هذه فكرتي. ما رأيك أن نغادر هذا المكان؟ هذه هي فكرتي. أنا أعرف هذا الفتى الذي في قرية جرينوتش. يمكننا استعارة سيارته لمدة أسبوعين. لقد كان في نفس المدرسة معي وما زلت أدينه بعشرة دولارات. نستطيع أن نسافر غدا صباحا إلى ماسا تشوستس وفيرمونت، هناك كل شيء في غاية الجمال. حقيقة".

كان انفعالي يتزايد كلما زدت تفكيرا في ذلك. ومددت يدي وأمسكت بيد سالي. كم كنت أبلهاً.

قلت لها: "إنني لا أمزح. لي في البنك حوالي ١٨٠ دولارا. أستطيع سحبها في الصباح عندما يفتح البنك. ثم أذهب وأستعير سيارة ذلك الولد. لا أمزح. سوف نعيش في أماكن رخيصة حتى تنفد نقودنا. وعند ذلك أستطيع أن أجد عملا ونستطيع أن نعيش بجانب بحيرة صغيرة، ثم باستطاعتنا أن نتزوج بعد ذلك، أو نفعل أي شيء آخر. أستطيع تقطيع كل ما نحتاجه من حطب في وقت الشتاء. أقسم بالله أننا نستطيع أن نقضي وقتا ممتعا. ماذا تقولين؟ هيا! ماذا تقولين؟ ترافقينني؟ أرجوك!".

قالت سالي: "لا تستطيع أن نفعل شيئا كهذا".

وكانت تبدو غاضبة جدا.

"لماذا لا ؟ ماذا يمنعنا بحق الجحيم؟".

قالت: "توقف عن الصراخ بحق الجحيم؟".

وكان هذا كلاما فارغا لأنني لم أكن أتكلم بصوت مرتفع.

"لماذا لا نستطيع، لماذا ؟".

"لأنك لا تستطيع، هذا كل شيء. أولا ، نحن عمليا أطفال. هل فكرت ماذا سوف يحدث إذا لم تجد عملا ونفدت نقودك؟ سوف نموت من الجوع. كل ما قلته خيالي إلى حد..".

"ليس خيالا. سوف أجد عملا فلا تقلقي لهذا. ليس لك أن تقلقي في هذا الشأن. ماذا بك؟ ألا تريدين الذهاب معي؟ قولي هذا إذا كنت لا تريدين".

قالت سالي: "ليست تلك هي المشكلة. ليست تلك هي المشكلة على الإطلاق".

بدأت أكرهها. أضافت:

"سيكون لدينا الكثير من الوقت لنفعل هذه الأشياء، كل هذه الأشياء. أعني بعد أن تذهب إلى الجامعة، وإذا تزوجنا. سيكون هناك الكثير من الأماكن التي سنزورها. إنك مجرد...".

قلت وأنا أشعر بكآبة شديدة مرة أخرى.

"لن يكون. لن يكون هنالك الكثير من الأماكن التي نذهب إليها. أعني ذلك سيكون مختلفا:.

قالت: "ماذا ؟ لا أسمعك، في لحظة تصرخ في وجهي، وفي اللحظة التالية..".

"قلت لن يكون هناك أماكن رائعة نذهب إليها بعد تخرجي من الكلية. افتحي أذنيك جيدا. سوف يكون ذلك مختلفا تماما. سوف يكون علينا أن نكلم الجميع بالتليفون ونودعهم، وأن نرسل بطاقات بريدية من

الفنادق وغير ذلك. وسأشتغل في أحد المكاتب ويكون عندي نقود كثيرة، وسوف أركب سيارات أجرة وباصات شارع ماديسون حتى أصل إلى العمل. سوف أقضي الإجازة بقراءة الصحف ولعب البريدج والذهاب إلى السينما ومشاهدة الكثير من الأفلام القصيرة السخيفة، ومشاهد من العروض القادمة والجريدة السينمائية. الجريدة السينمائية بحق المسيح القدير. فيها دائما سباق خيول أبله، وفتاة تحطم زجاجة على سطح سفينة وشمبانزي يلبس بنطلونا ويركب دراجة. لا لن يكون ذلك نفس الشيء. أنت لم تدركي ما كنت أقصده".

قالت سالي: "ربما لم استطع إدراك ما تعنيه! وربما كنت أنت أيضا لا تدرك ذلك".

وعندما وصلنا إلى هذا الحد كنا أصبحنا نكره بعضنا بالفعل. كان واضحا أنه لا جدوى من محاولة إدارة حديث ذكي. وكنت شديد الندم لأنني بدأت ذلك الحديث.

قلت: "هيا بنا نخرج من هنا. إنك تسببين لي ألما في عجيزتي إذا أردت الحقيقة".

انفجرت سالي غيظا عندما قلت لها ذلك. أنا أعلم أن ذلك لا يصح قوله، والأرجح أنني لم أكن لأقول ذلك في الأحوال العادية، ولكنها سببت لي ضيقا لا يطاق. وأنا في العادة، لا أقول أشياء سخيفة كهذه للفتيات. وكم كانت غاضبة. اعتذرت لها بجنون ولكنها لم تقبل اعتذاري. بل إنها كانت تبكي. وقد أخافني ذلك قليلا لأنني خشيت أن تذهب إلى البيت وتقول لأبيها أنني قلت لها أنها تسبب لي ألما في عجيزتي. ووالدها ابن زانية ضخم وصامت، وهو ليس مغرما بي. قال لسالي مرة أنني كثير الضجيج.

أخذت أردد: "دون مزاح، أنا آسف".

قالت: "أنت آسف، أنت آسف، إن ذلك مضحك جدا".

كانت لا تزال تبكي، وفجأة شعرت بأسف حقيقي لأنني قلت لها تلك العبارة.

"هيا بنا. سوف أوصلك إلى البيت. لا أمزح"؟

"شكرا، أستطيع وحدي أن أعود للبيت. إذا كنت تظن أنني سوف أسمح لك بتوصيلي إلى البيت فأنت مجنون. لم أسمع هذه العبارة من أي كان طيلة حياتي".

كان الأمر كله مضحكا على نحو ما، حين تفكر فيه. وفجأة فعلت شيئا ما كان يجب أن أفعله. ضحكت. وضحكتي عالية جدا وسخيفة. أعني أنني لو كنت أجلس خلف نفسي في السينما وسمعت نفسي أضحك تلك الضحكة فالأغلب أنني كنت سوف أنحني وأطلب من نفسي أن تخرس. وقد جعل هذا سالي أشد غضبا.

أمضيت بعض الوقت وأنا أعتذر وأرجوها أن تقبل اعتذاري، ولكنها رفضت. وكانت تكرر القول طالبة إليَّ أن أنصرف وأدعها. وفي النهاية فعلت ذلك، دخلت وارتديت ملابسي وغادرت المكان وحدي. ما كان يجب أن أفعل ذلك، ولكن لم يعد لي، ساعتها طاقة على الاحتمال.

وإذا أردت أن تعرف الحقيقة، فأنا لا أعرف السبب الذي جعلني أبدأ معها ذلك الحديث حول السفر إلى ماساتشوستس وفيرمونت. الأغلب أنني لم أكن أوافق أن ترافقني في سفري حتى لو طلبت مني ذلك. فهي ليست رفقة طيبة. ولكن المزعج في الأمر أنني كنت صادقا.

وإذا أردت أن تعرف الحقيقة، فأنا لا أعرف السبب الذي جعلني بالله إنني مجنون.

الفصل الثامن عشر

لما غادرت المكان شعرت بالجوع، فدخلت هذه الصيدلية وطلبت ساندويتش جبنة سويسري ولبناً رائباً، ثم دخلت كشك التليفون. عزمت أن أكلم جين لأرى إن كانت قد عادت إلى البيت. أعني أنه ليس عندي ما أفعله طيلة المساء ولذا فسوف أكلمها، إن عادت، وأدعوها للذهاب إلى مكان نرقص فيه، أو إلى أي مكان آخر. لم أرقص معها أبدا منذ أن تعارفنا. ولكنني رأيتها ترقص مرة. بدت راقصة ممتازة. وذلك في الحفل الراقص الذي أقيم في النادي بمناسبة الرابع من تموز. لم تكن معرفتي بها وثيقة آنذاك، ولم أر مناسبا أن أستولي عليها من صديقها وأرقص معها. كان يرافقها ذلك الفتى المزعج آل بايك الذي يدرس في تشوت. لم أكن أعرفه معرفة جيدة ولكنك تراه دائما حول حمام السباحة. كان يرتدي مايوهاً أبيض وكان يقفز إلى الحمام من أعلى مكان معد لذلك. وكان طوال النهار يقفز قفزته السخيفة. وكانت تلك هي القفزة الوحيدة التي يجيدها ورغم ذلك كان يعتقد أنه بارع جدا. كانت عضلاته قوية ولكن رأسه فارغة. على أية حال، كان هذا هو الفتى الذي يرافق جين في تلك الليلة. أقسم إنني لا أستطيع فهم ذلك. ولما أصبحنا صديقين سألتها عن السبب الذي جعلها ترافق ابن زنا، مدعياً، مثل آل بايك.

قالت جين إنه ليس مدعياً، بل مصاب بعقدة نقص. وبدا أنها تشفق عليه حقيقة لا تظاهرا. وذلك شيء غريب في الفتيات. كلما ذكرت لهن اسم شخص لا يمكن وصفه إلا بابن زانية، دنيء جدا، ومغرور فسوف يقلن لك إنه مصاب بعقدة نقص. قد يكون مصابا بتلك العقدة ولكن ذلك، في رأيي لا يمنع كونه ابن زنا. بنات! لا تعرف أبدا ما يدور في رؤوسهن. هنالك مثلا تلك الفتاة التي تشارك روبرتا والش حجرتها، قابلت صديقا لي اسمه بوب روبنسون، وهو فعلا مصاب بعقدة نقص. كان من الواضح أنه يشعر بخزي من والديه لأنهما يقولان: "لا يجب أن يفعل هو هذا" و "لا يجب أن تفعل هي هذا". ولأن والديه لم يكونا أغنياء جدا. غير أنه لم يكن ابن زانية أو شيئا كهذا، بل شديد الطيبة. ولكن زميلة روبرتا لم تمل إليه أبدا، وقالت لروبرتا إنه مغرور للغاية، وقد كونت هذا الرأي لأنه ذكر لها أنه رئيس فريق المناظرة. شيء صغير كهذا جعلها تعتقد أنه مغرور! مشكلة البنات أن الواحدة إذا مالت إلى واحد تقول إنه مصاب بعقدة نقص رغم كونه ابن زانية، وإذا لم تمل إليه، فمهما كان طيبا ورغم أنه حقيقة مصاب بعقدة نقص فسوف يقلن عنه إنه مغرور. حتى الذكية منهن تفعل ذلك.

على أية حال، طلبت نمرة جين ولكن تليفونها لم يرد فأعدت السماعة. ثم أخرجت الأجندة من جيبي وبحثت عن تليفون شخص أقضي معه المساء. والمشكلة أن الأجندة لم يكن فيها إلا حوالي ثلاثة أسماء: جين ومستر انتوليني أستاذي في الكتون ومكتب والدي. وفي النهاية كلمت كارل لوس وهو قد تخرج من مدرسة هوتون بعد أن غادرتها. كان أكبر مني بحوالي ثلاث سنين ولم أكن أحبه كثيرا. ولكنه كان مثقفا

ومقياس ذكائه أعلى من أي طالب آخر في هوتون. قدرت أنه قد يرغب في تناول العشاء معي في أي مكان يشاء وخلال ذلك نتبادل حديثا مستنيرا. ولهذا طلبت رقمه. وهو حاليا يدرس في جامعة كولومبيا ويسكن في الشارع الخامس والستين، وأنا أعلم أنه سيكون في البيت. وعندما رد عليٌ قال إنه لا يستطيع أن يتعشى معي ولكنه سيقابلني في بار ويكز، في الشارع الرابع والخمسين، في العاشرة. أعتقد أنه اندهش لسماع صوتي. أذكر أنني قلت له مرة إنه مزيف، سمين العجيزة.

كان أمامي وقت طويل حتى العاشرة ولهذا ذهبت إلى سينما راديو سيتي. الأرجح أن هذا كان أسوأ شيء يمكنني أن أفعله. لكن المكان كان قريبا ولم أستطع التفكير في شيء آخر.

دخلت وكان العرض قد بدأ، وراقصو الروك اندرول في قمة حماسهم، وقد وقفوا صفا وأذرعهم حول خصور من يجاورونهم. وكان الجمهور يهتف لهم بجنون. وكان رجل خلفي يكرر لزوجته: "أتعرفين ما هذا؟ هذا هو الانضباط". لقد قتلني. وبعد ذلك خرج رجل يلبس بذلة السهرة التوكسيدو وفي قدميه قبقاب الانزلاق، وأخذ ينزلق تحت عدد من الطاولات الصغيرة، ويروي بعض النكات في الوقت ذاته. وكان رائعا في انزلاقه ولكنني لم أستمتع بمشاهدته كثيرا لأنني رحت أصوره لنفسي كشخص قد تدرب على الانزلاق حتى يظهر على المسرح. وبدا لي ذلك سخيفا. يبدو أنني لم أكن في حالة نفسية مناسبة. ثم بعد ذلك عرضوا لنا عرضا بمناسبة عيد الميلاد تعودوا تقديمه كل سنة، عن أولئك الملائكة الذين يخرجون من الصناديق ومن كل مكان، وهنالك فتيان يحملون صلبانا وأشياء كهذه، وآلاف تنشد بجنون: "تعالوا إلي أيها المؤمنون"

والمفروض أن ذلك شيء خطير وديني جدا، وغاية في البداعة، ولكنني وحق الله لا أرى شيئا دينيا أو بديعا في مجموعة من الممثلين يحملون صلبانا ويدورون بها على خشبة المسرح. وعندما انتهى كل شيء وغادروا أماكنهم كان واضحا أنهم ملهوفون على التدخين. لقد شاهدت هذا العرض مع سالي هيز في السنة الماضية وكانت تردد خلاله: كم هو رائع، الملابس وكل شيء. وقلت لها إن يسوع العجوز كان سوف يتقيأ، في الغالب، لو أنه شاهد هذا العرض - كل هذه الملابس الفاخرة وغير ذلك. قالت سالي إنني ملحد ومنتهك لحرمة الدين. ربما كنت كذلك بالفعل. الشيء الذي كان سيحبه يسوع هو هذا الفتى، ضارب الطبلة الصغيرة في الأوركسترا. وقد تابعت هذا الفتى مذ كان عمري ثماني سنوات. وكنت أنا وأخي آلي عندما نكون في السينما مع أبوينا نحمل كرسينا إلى المقدمة حتى نستطيع مراقبته عن قرب. كان أحسن ضارب طبلة رأيته في حياتي. وكان يضرب طبلته مرتين خلال المعزوفة، ولم يكن يبدو عليه الضجر وهو جالس ينتظر. وحين يأتي دوره ويدق الطبلة كان يفعل ذلك بحلاوة رائعة، وعلى وجهه هذا التعبير العصبي. وفي إحدى المرات عندما ذهبنا مع أبي إلى واشنطون أرسل له آلي بطاقة بريدية، ولكنني أراهن أنه لم يتسلمها. لم نكن نعرف كيف نرسلها حتى تصل عنوانه.

وبعد ذلك بدأ الفيلم، كان عفنا حتى أنني لم استطع أن أبعد عيني عنه. كان عن رجل إنكليزي اسمه (ألك) ونسيت اسمه الآخر. كان في الحرب ويفقد ذاكرته في المستشفى. ثم يخرج من المستشفى حاملا عصاه وهو يعرج. ويظل يسير في المستشفى ثم في لندن كلها وهو لا يعرف من

يكون. كان في حقيقة الأمر دوقاً، ولكنه لم يكن يعرف ذلك. ثم يقابل تلك الفتاة الطيبة والأليفة والمخلصة وهي تصعد الباص. تطير قبعتها فيمسك بها، ثم يصعدان ويجلسان ويدور بينهما حديث عن تشارلز ديكنز الذي تبين أنه كاتبهما المفضل. وهو يحمل نسخة من كتاب أوليفر تويست وكذلك هي، كدت أتقيأ. على أية حال، يقعان في حب بعضهما لهوسهما بتشارلز ديكنز. ويساعدها هو في أعمال النشر، فالفتاة ناشرة ولكنها غير ناجحة لأن أخاها سكير ويبعثر النقود كلها. والأخ رجل غاضب إذ كان طبيبا في الحرب ولا يستطيع إجراء أية عمليات جراحية حاليا، لأن أعصابه محطمة. ولهذا أدمن الخمر، ولكنه، رغم ذلك، خفيف الظل. على أية حال، يؤلف ألك كتابا وتنشره الفتاة ويأتي بربح كبير. ويعزمان على الزواج، ولكن هذه الفتاة مارسيا تظهر، وهي خطيبة ألك قبل أن يفقد ذاكرته، وتتعرف عليه في هذا المتجر وهو - يكتب كلمات تذكارية على نسخ من كتابه، وتقول لألك إنه في حقيقة الأمر دوق ولكنه لا يصدقها ويرفض أن يرافقها لزيارة أمه. وأمه عمياء كالوطواط، ولكن الفتاة الأخرى، أعني الأليفة تطلب إليه أن يذهب. إنها نبيلة وما شابه ذلك، فيذهب.

ولكنه لا يستعيد ذاكرته حتى عندما يتشبث به كلبه الدانيماركي أو عندما تمرر أمه أصابعها على وجهه وتأتي له أمه بدمية على شكل دب كان يلعب بها عندما كان صغيرا. ولكنه في أحد الأيام يشاهد أطفالا يلعبون الكريكيت، وتصيبه كرة كريكيت في رأسه، فيسترجع ذاكرته اللعينة على الفور ويندفع ليقبل أمه على جبينها وغير ذلك. ثم يصبح دوقا حقيقيا مرة أخرى وينسى كل شيء عن الفتاة الأليفة التي

تعمل بالنشر. أود أن أحكي لك بقية الفيلم ولكنني أخاف أن أتقيأ خلال ذلك. ولا أعني أنني قد أشوهه لك أو شيئا كهذا، فبحق المسيح ليس هناك ما يمكن تشويهه. على كل حال فالفيلم ينتهي بزواج ألك من الفتاة الأليفة، كما أن أخاها يستعيد أعصابه ويجري جراحة لأم ألك فيعود إليها الإبصار، ثم يقع السكير في غرام مارسيا. وينتهي الفيلم وهم جميعا يجلسون على مائدة العشاء الطويلة وهم يضحكون بجنون لأن الكلب يدخل ومعه عدد من الجراء، إذ كان الجميع يعتقدون أنه ذكر، على ما أعتقد، أو ربما اعتقدوا شيئا آخر. كل ما أريد قوله: لا تشاهد هذا الفيلم إلا إذا كنت ترغب في التقيؤ وتلويث ثيابك كلها.

الشيء الذي أثار أعصابي إلى أقصى حد هو أن سيدة كانت تجلس بجواري كانت تبكي طيلة مدة العرض. وكلما زاد الفيلم زيفا زاد بكاؤها. وإنك لتظن أنها تفعل ذلك لأنها عطوفة، ولكنني كنت أجلس إلى جوارها ولم تكن كذلك. كان معها ذلك الطفل الذي كان ضجرا ويرغب في الذهاب إلى دورة المياه ولكن كانت ترفض أن تأخذه إليها، كانت تأمره أن يجلس بهدوء ويكون مهذبا. كانت عطوفة مثل ذئبة لعينة. إن تسعة أعشار الذين يبكون عند مشاهدة أكاذيب السينما هم في حقيقتهم أولاد زواني، أدنياء، وأنا لا أمزح.

بعد انتهاء الفيلم سرت في اتجاه الويكر بار حيث سوف أقابل كارل لوس. وأنا أسير أخذت أفكر في أفلام الحرب، ومثل هذه الأفكار تأتيني عندما أشاهد أفلام الحرب. لا أعتقد أنني أستطيع تحمل فكرة الذهاب إلى الحرب، حقا لا أستطيع. لن يكون شيئا رديئا لو جروك إلى الحروب وأطلقوا النار عليك مباشرة أو شيئا كهذا، إلا أن عليك أن تبقى

في الجيش مدة طويلة. لقد أمضى أخي د. ب. أربع سنوات لعينة في الجيش. كما اشترك في الحرب أيضا، وكان ضمن الذين نزلوا في فرنسا، وأنا أعتقد أنه يكره الجيش أكثر مما يكره الحرب. كنت طفلا آنذاك، وما زلت أذكر أنه عندما كان يعود في إجازة يمضي، تقريبا معظم الوقت في السرير. ونادرا ما كان يدخل حجرة الجلوس. وبعد ذلك، عندما ذهب إلى ما وراء البحار واشترك في الحرب، لم يجرح ولم يقتل أحدا. كل ما كان يفعله هو أن يسوق سيارة جنرال من رعاة البقر. وقد قال مرة لي ولآلي إنه لو كان عليه أن يطلق النار على إنسان لما عرف كيف يفعل ذلك. قال إنه يوجد أبناء زوانٍ في الجيش بقدر ما يوجد بين النازيين. أذكر مرة أن آلي سأله إن كان وجوده في الجيش كان مفيدا له ككاتب. فطلب إلى آلي أن يأتي له بقفاز البيسبول رسالة: من أحسن شاعر حرب روبرت بروك أو إميلي ديكنسون؟

أنا شخصيا لا أعرف عن ذلك كثيرا، لأنني لا أقرأ كثيرا من الشعر، ولكنني أعرف أنه شيء يبعث على الجنون أن أكون في الجيش وأن يكون زملائي من أمثال آكلي وستراد ليتر وموريس وأن نعيش سويا ونسير سويا طيلة الوقت. كنت في فريق الكشافة لمدة أسبوع، ولم أستطع حتى أن أحتمل النظر إلى عنق الفتى الذي يسير أمامي. أقسم أنه إذا كان هناك حرب أخرى فالأفضل أن يأخذوني ويوقفوني أمام فريق تنفيذ حكم الإعدام، لن أعترض ذلك. والذي أغاظني من د. ب. أنه رغم كرهه الشديد للحرب فقد جعلني أقرأ هذا الكتاب في الصيف الماضي واسمه "وداعا للسلاح". قال عنه إنه رائع وهذا ما لا أستطيع فهمه. في الرواية ذلك الفتى المدعو هنري والذي يفترض فيه أنه ولد

طيب. وأنا أستغرب كيف يستطيع د. ب. أن يكره الحرب والجيش إلى هذا الحد ويحب رغم هذا كتابا مزيفا كهذا. أعني أنه كيف بإمكانه أن يحب كتابا مزيفا كهذا ويحب، في الوقت ذاته، الكتب التي كتبها رنج لاردنر، أو ذلك الكتاب الذي هو مشغوف به (جاتسبي العظيم). غضب د. ب. عندما قلت له ذلك وقال إنني أصغر من أن أفهم أهمية عمل كهذا، غير أنني لا أعتقد ذلك. قلت له إنني أحب رنج لاردنر وجاتسبي العظيم وكل ذلك. وهذا صحيح. كنت مشغوفا بجانسبي العظيم، جاتسبي العجوز، الصديق الطيب، لقد قتلني ذلك. على أية حال، فإنني بشكل ما سعيد لأنهم اكتشفوا القنبلة الذرية، وإذا حدثت الحرب فسوف أجلس فوق هذه القنبلة، سوف أتطوع. أقسم بالله أنني سوف أفعل ذلك.

الفصل التاسع عشر

إذا لم تكن من سكان نيويورك فاعلم أن بار ويكر في ذلك الفندق الفاخر، فندق سيتون. كنت أرتاده كثيرا ولكنني توقفت عن ذلك، توقفت تدريجيا. إنه أحد تلك الأماكن التي يفترض أنها راقية، ويرتادها الكثير من المزيفين. وكان في البار هاتان الفتاتان الفرنسيتان تينا وجانين، وكانتا تعزفان على البيانو ثلاث مرات كل ليلة. إحداهما كانت تعزف برداءة والأخرى تغني إما أغنيات بذيئة وإما فرنسية. وجانين التي تغني كانت دائما تهمس في الميكرفون اللعين قبل أن تغني. كانت تقول: "نحب أن نقدم إليكم أغنيتنا الفرنسية، عن فتاة فرنسية تأتي إلى مدينة كبيرة، تشبه نيويورك تماما، وتقع في غرام فتى صغير من بروكلين. نأمل أن نعجبكم". وبعد أن تنهي همسها واستعراض خفة دمها تأخذ في أداء أغنية بلهاء نصفها بالإنكليزية والنصف الآخر بالفرنسية، مثيرة فرحا جنونيا عند المزيفين الذين يرتادون البار. وإذا جلست هناك وقتا كافيا وسمعت المزيفين يهتفون فإنك تكره كل إنسان في العالم. أقسم على هذا، وكان البارمان سخيفا ومدعيا لا يتحدث إليك أبدا إن لم تكن شخصية هامة. وإذا كنت شخصية هامة أو بارزة فإنه يصبح أكثر إثارة للغثيان. إنه ينهض ويأتي إليك بابتسامة ساحرة

كبيرة كأنه يعلن: أنا فتى رائع لو عرفتني حق المعرفة! ويقول: "حسنا! كيف حال كونكتي كت؟". أو "كيف فلوريدا؟". كان مكانا مزعجا، وأنا لا أمزح، وامتنعت عن ارتياده تدريجيا.

نهضت من مكاني ووقفت حين طلبت الويسكي ليروا كم أنا طويل.

حتى وصلت البار قبل موعدي بكثير وجلست على البار الذي كان مزدحما جدا، وطلبت كأسين من الويسكي قبل أن يصل لوس. لا يظنوا أنني أقل من السن القانونية. ورقبت المزيفين لبعض الوقت. كان هناك فتى يمطر فتاة يجلس معها بأحاديثه التي قتلتني. كان يردد أن للفتاة يدين أرستقراطيتين. كان الطرف الآخر من البار غاصا بالشاذين وإن يكن ذلك غير واضح من مظهرهم. أعني لم يكن لهم تلك الشعور الطويلة جدا، غير أنه من الواضح أنهم كانوا شاذين. وفي النهاية أتى لوس.

وأي فتى كان لوس هذا. كان من المفروض أنه مرشدي في هوتون. وكل ما كان يفعله هو الانطلاق في تلك الأحاديث الجنسية التي كان يحكيها في آخر الليل عندما يتجمع عدد من الطلبة في حجرته. كان يملك بعض المعلومات عن الجنس، خاصة عن المصابين بالشذوذ. كان يحكي عن بعض الأولاد المقززين الذين يقيمون علاقات جنسية مع الخراف، وعن آخرين يخيطون ملابس الفتيات الداخلية داخل قبعاتهم، وعن الشاذين والسحاقيات. وكان لوس يعرف كل واحد من هؤلاء في طول أميركا وعرضها. كل ما كان عليك أن تفعله أن تذكر شخصا، أي شخص، وسيخبرك لوس إن كان شاذا أم لا. أحيانا كان يصعب تصديق تأكيداته عن الشاذين والسحاقيات إذ كان يذكر أسماء ممثلي السينما

وغيرهم. قال مرة عن شخص إنه شاذ وكان بحق الله متزوجا. وكان ذلك يجعلك تردد: "تعني أن جوبلو شاذ؟ جوبلو، ذلك الفتى القوي الجسد الذي يلعب دور رجل العصابات وراعي البقر في الأفلام؟". فيرد لوس قائلا: "بالتأكيد". كان دائما يكرر كلمة: "بالتأكيد". وكان يقول لا يهم إن كان الرجل متزوجا أو أعزب، إن نصف المتزوجين مصابون بالشذوذ دون أن يعرفوا ذلك عن أنفسهم، وقال: عمليا يمكن أن تصبح شاذا في ليلة واحدة إذا كان لك خواص الشاذ. وكان يخيفنا بحكاياته، وأخذت آنذاك أتوقع أن أتحول إلى شاذ، أو شيء كهذا. والمضحك بالنسبة للوس إنني كنت أعتقد أنه هو نفسه شاذ بشكل ما. كان يكرر: "جرب هذا الحجم" كلما مر أحد في الممر ثم يمد إصبعه ويدفعه في إست الفتى. وعندما كان يدخل دورة المياه يدع الباب مفتوحا ويكلمك وأنت تنظف أسنانك. أشياء كهذه كانت تفوح منها رائحة الشذوذ، حقيقة. عرفت بعض الشواذ الحقيقيين في المدرسة وكانوا دائما يفعلون أشياء كهذه، وهذا ما أثار شكوكي بالنسبة للوس. ولكنه كان ذكيا، حقا كان كذلك.

لم يكن من النوع الذي يحييك حين تلقاه. أول شيء قاله بعد جلوسه إنه سيمكث دقيقتين لأن عنده موعدا. ثم طلب كأس مارتيني وطلب من البارمان أن يزيد كمية الجن وألا يضع فيه زيتوناً. قلت له:

"لقد اقتنصت شاذا لك. إنه في الطرف الآخر من الحجرة لا تنظر نحوه الآن. لقد وفرته لك".

قال: "مضحك جدا. كولفيلد القديم لم يتغير، متى تكبر؟".

كنت أضجره كثيرا. حقيقة كنت. ولكنه كان مسليا، كان أحد الذين تسليني صحبتهم.

سألته: "ما هي أخبار حياتك الجنسية؟". لم يكن يحب أن توجه إليه هذه الأسئلة. قال:

"هدئ أعصابك، ضع جسدك على الكرسي وهدئ أعصابك بحق المسيح".

قلت:

"إنني هادئ الأعصاب. كيف ترى جامعة كولومبيا. هل أحببتها؟".

قال: "بالتأكيد أحبها. لو لم أكن أحبها لما درست فيها".

كان يستطيع هو أيضا أن يكون مضجرا.

سألته: "ما هو موضوع دراستك الرئيسي؟ المصابون بالشذوذ؟".

"هل تحاول أن تكون ظريفا؟".

قلت: "إنني أمزح فقط. اسمع. أنت مثقف وأنا بحاجة إلى نصيحتك. إنني في وضع شديد..".

همهم وقال: "اصغ إلي يا كولفيلد إذا كنت تريد الجلوس لنشرب بهدوء، ونتحدث بهدوء..".

قلت: "حسنا، حسنا. هدئ أعصابك".

كان من الواضح أنه لا يريد أن يتحدث معي في أي موضوع جدي، وتلك هي مشكلة هؤلاء الأولاد المثقفين فهم لا يرغبون في مناقشة أي شيء جاد إن لم يشعروا برغبة في ذلك. ولهذا أخذت أحدثه في موضوعات عامة. سألته:

"دون مزاح، كيف أخبار حياتك الجنسية؟ أما زلت مصاحبا لنفس الفتاة التي كانت صديقتك أيام مدرسة هوتون؟ الرائعة.."

قال: "يا إلهي، لا.".

"لماذا؟ ماذا حدث لها؟".

"ليس عندي أدنى فكرة. وما دمت تسأل فقد تكون قد أصبحت غانية في نيوها مبشاير".

"هذا قول سيئ. فلقد كانت تملك الكرم الكافي لأن تجعلك تستمتع جنسيا معها طيلة الوقت، فعلى الأقل يجب عليك ألا تتحدث عنها بهذه الطريقة".

قال لوس: "يا الله! هل يكون هذا حديث كولفيلد النموذجي المعتاد؟ أريد أن أعرف حالا".

قلت: "ولكن ذلك لم يكن حسنا. إذا كانت تملك من الطيبة لأن تجعلك..".

"أمصر أنت على متابعة الحديث في هذا الاتجاه المزعج؟".

لم أقل شيئا. كنت خائفا أن يغادرني إن لم أصمت. فطلبت كأسا آخر. شعرت برغبة في الوصول إلى حالة السكر. سألته:

"من تكون صديقتك الحالية؟ هل تحب أن تقول لي؟".

"لا تعرفها".

"من تكون؟ قد أعرفها".

"فتاة تعيش في القرية. نحاتة. إذا كنت مصرا أن تعرف".

"حقا؟ بجد؟ كم عمرها؟".

"لم أسألها عن ذلك بحق الله".

"تبدو في أي سن تقريبا؟".

"أعتقد أنها في أواخر الثلاثينيات".

سألته: "في أواخر الثلاثينيات؟ حقا؟ أتحب ذلك؟ أتحبهن في هذا السن؟".

سألته لأن له معرفة لا بأس بها بالجنس. كان واحدا من القلائل الذين يعرفون شيئا عن هذا الموضوع. ضاجع امرأة لأول مرة وهو في الرابعة عشرة، في نانتاكت، وتلك حقيقة.

"أحب الإنسان الناضج، إذا كان هذا ما تسأل عنه. بالتأكيد".

"حقا؟ لماذا؟ دون مزاح، هل هن أصلح للجنس وغير ذلك؟".

"اسمع، سأكون صريحا معك. سوف أرفض الإجابة عن أي سؤال كولفيدي نموذجي هذه الليلة. متى تكبر بحق الجحيم؟".

لم أقل شيئا لبعض الوقت، وأهملت الموضوع لفترة. طلب لوس كأس مارتيني آخر وقال للبارمان إنه يريده قويا، أقوى من سابقه. سألته:

"اصغ إلي. متى نشأت علاقتك بهذه النحاتة؟".

كان قد أثار اهتمامي بالفعل. أضفت:

"هل كنت تعرفها وأنت طالب في مدرسة هوتون؟".

"لا. فقد وصلت إلى هذه البلاد منذ بضعة شهور".

"حقا؟ من أي بلد أتت؟".

"من شانغهاي".

"حقا، دون مزاح، أصينية هي بحق المسيح؟".

"ذلك شيء واضح".

"لماذا؟ ذلك يثير اهتمامي، حقيقة يثيره".

"ببساطة، لقد اكتشفت أن الفلسفة الشرقية ترضيني أكثر من الفلسفة الغربية، ما دمت تسأل".

"حقا؟ ماذا تعني بفلسفة؟ هل تعني الجنس وما شاكله من الأمور؟

هل تعني أنهم يمارسونه بشكل أفضل في الصين؟ هل هذا هو ما تعنيه؟".

"ليست الصين بالضرورة، بحق الله. قلت الشرق. هل تصر على مواصلة هذا الحديث الفارغ؟".

قلت: "استمع إليّ. إنني جاد، ودون مزاح. لماذا هي أحسن في الشرق؟".

قال لوس: "المسألة معقدة ومن الصعب الخوض فيها، بحق الله. إنهم ببساطة يعتبرون الجنس تجربة روحية وتجربة جسدية في الوقت ذاته. وإذا كنت تعتقد..".

" وأنا كذلك! أنا أيضا أعتبره - ماذا تسميها - تجربة روحية وجسدية، حقيقة أعتبره كذلك. ولكن ذلك يعتمد على الشخص الذي أمارس معه الجنس. إذا كنت أمارسه مع شخص لا أرى حتى..".

"بحق الله يا كولفيلد لا ترفع صوتك، إذا لم تستطع أن تخفضه، فلندع، إذن، كل..".

قلت: "حسنا، ولكن اصغ إليّ".

أصبحت منفعلا وقد ارتفع صوتي قليلا. أحيانا، عندما أنفعل، يرتفع صوتي إلى حد ما. قلت:

"هذا ما أعنيه. أعرف أنه من المفروض أن يكون روحيا وجسديا وفنيا وغير ذلك، ولكن ذلك لا يمكن تحقيقه مع أية فتاة، مع كل فتاة تعانقها. النتيجة لن تكون كذلك دائما. أليس كذلك!".

قال لوس: "فلنغير الموضوع. هل عندك مانع؟".

"حسنا، ولكن اسمع. فلنأخذ كمثال أنت وهذه الصينية. أي شيء غير عادي يميزكما؟".

"لقد قلت فلنغير الموضوع".

وأنا أعرف أنني أخذت أتدخل في أمور شخصية. وهذا من الأشياء التي تضايقني من لوس. عندما كنا في مدرسة هوتون كان يجعلك تصف أشد الأشياء خصوصية في حياتك، ولكن ما إن تبدأ، توجيه الأسئلة عن حياته الخاصة حتى يغضب. إن هؤلاء المثقفين لا يميلون إلى الحديث معك إلا إذا كانوا هم الذين يوجهون الحديث. يريدونك دائما أن تصمت حين يصمتون، وأن تعود إلى حجرتك حين يعودون إلى حجراتهم. عندما كنت في مدرسة هوتون كان الضيق يبدو واضحا على لوس عندما نبقى في حجرته لبعض الوقت نثرثر بعد أن ينهي حديثه عن موضوعات الجنس. أعني أنه كان يضيق بالأولاد الآخرين وبي. وعندما نكون في حجرة طالب آخر كان لوس يريد أن يعود الجميع إلى حجراتهم بعد أن ينتهي دوره كمتحدث رئيسي في المجموعة. كان يخاف أن يقول أحدهم شيئا أشد طرافة من الذي قاله. كان لوس بالفعل يسليني. قلت:

"ربما كان الأفضل بالنسبة لي أن اذهب إلى الصين. إن حياتي الجنسية تعسة".

"هذا طبيعي، فتفكيرك غير ناضج".

قلت:

"فعلا، حقا إنه كذاك. وأنا أعرف هذا. هل تعرف ما هي مشكلتي؟ إنني لا أستثار جنسيا، أعني، استثارة حقيقية مع فتاة لا أحبها. أعني أنه علي أن أحبها كثيرا، وإذا لم أكن مغرما بها فإنني أفقد رغبتي فيها. إن ذلك يجعل حياتي الجنسية تعسة. إن حياتي الجنسية عفنة".

"هذا طبيعي بحق الله. لقد أخبرتك في آخر مرة رأيتك فيها ما ينبغي عليك أن تفعله".

قلت: "تعني أن أذهب إلى محلل نفسي؟".
هذا ما قال إنه يتوجب عليّ أن أفعله. كان أبوه محللا نفسيا. قال: "إنها مشكلتك بحق الله، ولا يهمني في شيء ما الذي تفعله في حياتك".
لم أقل شيئا لفترة من الزمن. كنت أفكر. قلت:
"لنفرض أنني ذهبت إلى أبيك وجعلته يحللني. ما الذي سوف يفعله لي؟ أعني ما الذي سوف يفعله من أجلي؟".
"لا شيء على الإطلاق. إنه ببساطة سوف يتحدث إليك وتتحدث أنت إليه، بحق الله. وذلك ليجعلك تتبين أساليب تفكيرك".
"ال ماذا؟".
"أساليب تفكيرك. إن عقلك يعمل ـ اصغ إليّ، لا أود أن أعطيك درسا في أوليات التحليل النفسي. إذا كان الأمر يهمك كلمه بالتليفون وخذ معه موعدا، وإذا كنت غير مهتم، فلا تفعل. فالأمر، بصراحة، عندي سيان".
وضعت يدي على كتفه. كان ممتلئا بالفعل. قلت له:
"أنت ابن زانية ودود. أتعرف ذلك؟".
كان ينظر إلى ساعة يده، قال: "يجب أن أنصرف". ثم
نهض وقال: "أمتعتني رؤيتك".
ونادى البارمان وطلب منه ورقة الحساب. قلت له قبل أن ينصرف:
"هل أجرى أبوك تحليلا لك؟".
"لي؟ لماذا تسأل؟".
"دون أي سبب. هل فعل ذلك؟ هل حللك".

"ليس بالضبط. ساعدني أن أكيف نفسي لحد ما. وأما التحليل الشامل فلم يكن ضروريا. لماذا تسأل؟".

"بلا أي سبب. كنت أتساءل فقط".

قال: "حسنا، هدئ أعصابك".

كان قد وضع البقشيش على المائدة واستدار ليذهب. قلت له:

"اشرب معي كأسا أخرى، أرجوك. اشعر بوحدة رهيبة، أقول الصدق".

قال إنه لا يستطيع. قال إنه تأخر. وانصرف.

لوس يسبب لي ألما في عجيزتي غير أنه يجيد التحدث. كانت قدرته اللغوية ممتازة، ففي اختبار أجروه لنا في مدرسة هوتون منحوه المرتبة الأولى لبراعته اللغوية.

الفصل العشرون

بقيت جالسا وقد لعبت الخمر برأسي منتظرا ظهور تينا وجانين لتؤديا نمرتهما، ولكنهما لم تظهرا. دخل رجل بدا عليه أنه شاذ جنسيا، له شعر طويل مموج وأخذ يعزف على البيانو. ثم أتت هذه الفتاة الجديدة فالنسيا وغنت. صوتها رديء ولكنها خير من تينا وجانين. كانت على الأقل تغني أغاني جيدة. كان البيانو موضوعا بجوار البار ـ الذي أجلس عليه ـ مباشرة. وكانت فالنسيا تقف بجواري تماما. أخذت أرمقها مغازلا، ولكنها تظاهرت أنها حتى لا تشعر بوجودي. الأرجح أنني ما كنت أغازلها لو لم أكن سكران. حين انتهت من الغناء غادرت الحجرة بسرعة كبيرة حتى أنني لم أجد الوقت الكافي لأن أدعوها لتتناول كأسا معي، لهذا ناديت كبير الخدم وطلبت منه أن يبلغ فالنسيا أنني أدعوها لشرب كأس معي، إذا كانت تسمح. قال إنه سيفعل، ولكن الأغلب أنه لم يبلغها رسالتي. الناس لا يبلغون رسائلك إلى أي إنسان.

ظللت جالسا على ذلك البار حتى الواحدة تقريبا. أسكر كابن زانية. اختلطت الصور أمامي فما كنت أرى بوضوح، ولكنني كنت شديد الحذر ألا أثير أي اضطراب. لم أرد أن ينتبه إليّ أحد ويسألني عن حقيقة عمري. ولكنني كنت أميز الأشياء بصعوبة. وعندما سكرت

بالفعل عاودت تلك التمثيلية السخيفة عن وجود رصاصة في أحشائي. كنت الوحيد في البار الذي تستقر في أحشائه رصاصة. ورحت أمد يدي تحت سترتي وأضغطها على بطني لأمنع النزيف من تلويث المكان. لم أرد أن يعرف أحد أنني جريح، كنت أخفي حقيقة أنني ابن زانية جريح، وفي النهاية شعرت برغبة في أن أكلم جين لأرى إن كانت قد عادت إلى البيت. ولهذا دفعت الحساب واتجهت إلى أكشاك التليفونات. كنت ما أزال أضع يدي تحت سترتي لأمنع نزيف الدم. كنت سكران بالفعل. وفي داخل الكشك لم أعد أشعر برغبة في مكالمة جين. كنت سكران أكثر مما ينبغي، على ما أعتقد، ولهذا أدرت رقم سالي هيز.

أدرته أكثر من عشرين مرة قبل أن أتمكن من العثور على الرقم الصحيح. كان السكر قد أعماني.

عندما رد أحدهم على التليفون اللعين قلت: "هالو".

كنت أصرخ لأنني كنت سكران جدا. وقال هذا الصوت لسيدة عجوز ببرود:

"من هذا؟".

"هذا أنا. هولدن كولفيلد. أريد أن أكلم سالي من فضلك".

"سالي نائمة وأنا جدتها. لماذا تكلمنا في هذه الساعة يا هولدن؟ هل تعرف كم الساعة الآن؟".

"أعرف. أريد التحدث مع سالي لأمر مهم جدا. دعيها تكلمني".

"سالي نائمة أيها الفتى. اطلبها غدا. تصبح على خير".

"صحيها، صحيها،! كوني شهمة".

ثم كان هنالك صوت مختلف. كان صوت سالي: "هذا أنا يا هولدن. ما الفكرة؟".

"سالي؟ أهذه أنت؟".

"أجل، توقف عن الصراخ. هل أنت سكران؟".

"أجل، استمعي، استمعي إلي. سوف أجيء إليكم في ليلة عيد الميلاد. حسنا؟ وسوف أشذب تلك الشجرة اللعينة. موافقة؟ موافقة يا سالي؟".

"موافقة. أنت سكران. اذهب إلى سريرك الآن. أين أنت؟ من معك؟".

سالي؟ سوف أجيء وأشذب لك الشجرة موافقة؟ هاي، موافقة؟".

"أجل، اذهب إلى سريرك. أين أنت؟ من معك؟".

"لا أحد. أنا. نفسي وأنا".

كنت سكران حتى أنني ما زلت أشد بيدي على بطني. قلت:

"أصابوني هذه المرة، أعوان روكي أصابوني. تعلمين ذلك؟ سالي. هل تعلمين ذلك؟".

"لا أستطيع سماعك. اذهب إلى سريرك. يجب أن أنصرف. كلمني غدا".

هاي سالي أتريدين أن أشذب لك الشجرة تريدين ذلك مني هه.

"أجل. تصبح على خير. عد إلى البيت، ونم في سريرك".

وأنهت الاتصال. قلت:

"تصبحين على خير، سالي يا فتاتي، سالي يا حبيبتي الحبيبة".

هل تستطيع أن تتصور مدى سكري؟ أعدت السماعة إلى مكانها. تصورت أنها ربما عادت لتوها من أحد اللقاءات، وأنها قد كانت مع آل لنت في مكان ما وذلك الأبله اندوفر، وهم جميعا يسبحون في إبريق شاي ويتبادلون كلمات متحذلقة محاولين أن يكونوا ساحرين ومزيفين وددت لو لم أتصل بها. عندما أسكر فأنا مجنون حقيقي.

بقيت في كشك ذلك التليفون وقتا طويلا. ظللت متشبثا بالتليفون حتى لا أفقد وعيي. وللحق، لم أكن أشعر بسعادة غامرة. وفي النهاية خرجت ودخلت دورة المياه وأنا أترنح كالمأفون وملأت أحد الأحواض بالماء البارد وغطست رأسي حتى الأذنين، ولم أحاول أن أجففه. تركت رأسي ابن الزانية يقطر ماء. ثم اتجهت إلى جهاز التكييف قرب الشباك وجلست عليه. كان دافئا ومريحا. وشعرت بتحسن، خاصة وأنني كنت أرتعش كابن زانية. وهو أمر غريب فأنا أرتعش بشدة عندما أسكر.

لم يكن هناك ما أفعله، فبقيت جالسا فوق جهاز التكييف ورحت أعد المربعات البيضاء في أرضية الحجرة. كانت ملابسي قد ابتلت فحوالي جالون ماء كان ينساب على عنقي ويبلل ياقتي وربطة عنقي ولكنني لم أكترث بذلك. كنت سكران إلى حد لم أعد معه أكترث لشيء. بعد قليل دخل الفتى الذي كان يعزف على البيانو لفالنسيا، هذا الفتى ذو الشعر المموج ومظهر الشاذين، وأخذ يسرح خصل شعره الذهبية. وتحدثنا وهو يسرح شعره غير أنه لم يكن ودودا.

سألته: "هل سترى فالنسيا عندما تعود للبار؟".

قال: "إن ذلك محتمل جدا".

ابن زانية ساخر. كل الذين أقابلهم أولاد زوانٍ ساخرين.

"اسمع. بلغها إعجابي، واسألها إن كان النادل اللعين قد أبلغها رسالتي. أيمكنك هذا؟".

"لماذا لا تعود إلى بيتك يا ماك؟ وبالمناسبة كم عمرك؟".

"ستة وثمانون عاما. اصغ إلي. بلغها إعجابي. موافق؟".

"لماذا لا تعود إلى بيتك يا ماك؟".

قلت له: "لا أريد. أما أنت فإنك تعرف كيف تعزف على ذلك البيانو اللعين.. أي عزف!".

كنت أتملقه. لقد كان عزفه رديئا للغاية، إذا أردت الحق.

قلت:

"يجب أن تعزف في الإذاعة، فأنت فتى جميل مع هذه الخصل الذهبية. هل تحتاج إلى مدير أعمال؟".

"عد إلى البيت يا ماك كولد طيب. عد إلى البيت ونم".

"ليس لي بيت. هل تريد مديرا لأعمالك؟ دون مزاح".

لم يجب، بل غادر المكان، فقد انتهى من تسريح شعره ومداعبته بيده. ذكرني بستراد ليتر. فكل هؤلاء الفتيان الوسيمين متشابهون. عندما ينتهون من تسريح شعورهم يداعبونها.

وعندما نهضت من فوق جهاز التكييف واتجهت إلى المدخل كنت قد أخذت في البكاء. أغلب الظن أن ذلك كان بسبب شعور الكآبة والوحدة الذي كان يسيطر عليّ. وفي حجرة المعاطف لم أستطع العثور على الوصل. ولكن الفتاة التي كانت في تلك الحجرة تغاضت عن ذلك وأعطتني معطفي واسطوانتي "شيرلي بينز الصغيرة" إذ ما زالت أحتفظ بها. منحتها دولارا لطيبتها ولكنها رفضت أن تأخذه وأخذت تكرر إن عليّ أن أعود إلى البيت وأنام. حاولت أن أحدد معها موعدا بعد أن تنتهي من عملها ولكنها رفضت. قالت إنها في سن والدتي. أشرت إلى شعري الأبيض وقلت إن سني اثنان وأربعون عاما. بالطبع كنت أمزح. كانت لطيفة رغم ذلك. أريتها قبعة الصيد اللعينة فأعجبت بها وأرغمتني على لبسها قبل مغادرة المكان. لأن شعري ما زال مبلولا. كانت امرأة طيبة.

في الخارج لم أعد أشعر بالسكر، ولكن الجو أصبح شديد البرودة وأخذت أسناني تصطك بشكل مزعج ولم أستطع إيقافها. سرت إلى شارع ماديسون وأخذت أنتظر الباص لأن نقودي كادت تنفد وعليّ أن أقتصد في سيارات الأجرة، وغيرها ولكنني لم أشعر برغبة في ركوب الباص، وبالإضافة إلى هذا فأنا لا أعرف إلى أين أتجه. ولهذا أخذت أسير نحو الحديقة. قررت أن أمر بجوار تلك البحيرة لأعرف ماذا حدث للبط وأرى إن كان لا يزال هناك. فأنا ما زلت غير متأكد إن كان ما زال في البحيرة أم هو قد غادرها. لم تكن المسافة بعيدة إلى البحيرة، ولم يكن هناك مكان آخر أذهب إليه. إذ لا أعرف حتى الآن أين سوف أنام. ولهذا توجهت إلى الحديقة. لم أكن متعبا ولكنني شعرت بكآبة شديدة.

بمجرد دخولي الحديقة حدث أمر فظيع. لقد سقطت مني أسطوانة فيب، وتحطمت حوالي خمسين قطعة. كانت موضوعة في ظرف كبير ولكنها رغم ذلك تحطمت. كدت أبكي وشعرت بتعاسة ثم جمعت الحطام ووضعته في جيب معطفي. كان الحطام عديم الفائدة ولكنني لم أرغب في التخلي عنه. دخلت الحديقة وكان الظلام كثيفا.

لقد عشت في نيويورك طول حياتي وأنا أعرف حديقة سنترال بارك كما أعرف يدي. لأنني كنت أمارس الانزلاق هناك وأركب دراجتي فيها عندما كنت طفلا. ولكنني وجدت صعوبة كبيرة في العثور على البحيرة الصغيرة في تلك الليلة. وأنا أعرف أين تقع - كانت في الجزء الجنوبي من الحديقة - ورغم ذلك لم أستطع العثور عليها. يبدو أنني كنت أشد سكرا مما ظننت. فظللت أمشي وأمشي والظلام يزداد حلكة، والحديقة راحت تبدو أكثر وأكثر كمكان تقطنه الأشباح. لم أشهد أي إنسان خلال

مسيرتي في الحديقة، وقد فرحت لذلك. والأغلب أنني لو قابلت إنسانا لقفزت ميلا كاملا بعيدا عنه. وفي النهاية وجدت البحيرة. كان جزء منها متجمدا والجزء الآخر غير متجمد. ولكنني لم أعثر على أي أثر للبط. درت حولها وكدت في إحدى اللحظات أن أسقط فيها. ولكنني لم أشاهد بطة واحدة. قدرت أنه إذا كان هناك بط فالأغلب أنه نائم عند حافة الماء قرب العشب، وتلك كانت اللحظة التي كدت أن أسقط فيها في البحيرة. ورغم ذلك لم أعثر على أية بطة.

وفي النهاية جلست على تلك الدكة، حيث كان الظلام أقل حلكة، وكنت ما أزال أرتعش كابن زانية، وأحسست بالجزء الخلفي من شعري كأنه محشو بقطع من الجليد رغم أني كنت أغطيه بقبعة الصيد. وقد أقلقني ذلك. خشيت أن أصاب بنزلة صدرية وأموت، وأخذت أتصور ملايين الحمقى الذين سيسيرون في جنازتي. جدي سوف يأتي من ديترويت، ذلك الذي يردد أسماء الشوارع بصوت مرتفع عندما تركب الباص معه، وعماتي وخالاتي، يوجد حوالي خمسين منهن وأولاد عمي التافهين، وأي تجمع! كلهم جاؤوا عندما مات آلي، كل واحد من هؤلاء السخفاء جاء. كانت واحدة من العمات السخيفات، ذات الفم الكريه الرائحة، في تلك الجنازة، وكانت تردد في كل دقيقة: كم يبدو آلي مطمئنا وهو ممدد في تابوته، وقد روى د. ب. لي ذلك، إذ لم أكن في الجنازة ساعتها، بل في المستشفى، أعالج يدي التي أحدثت فيها إصابات شديدة. على أية حال، أخذ القلق يستولي عليّ خشية أن أصاب بالنزلة الصدرية بسبب كل تلك القطع من الجليد في شعري، وأموت. شعرت بالشفقة نحو أمي وأبي، خاصة أمي التي لا تزال تعاني بسبب

موت آلي. تصورتها وهي لا تعرف ماذا تفعل بملابسي، وأدوات الرياضة وغير ذلك. الشيء الطيب الوحيد هو أنها لن تسمح لفيب أن تشترك في جنازتي اللعينة لأنها لا تزال طفلة. هذا هو الجزء المريح في المسألة. ثم فكرت فيهم وهم يلقون بي في تلك المقبرة اللعينة، مع كتابة اسمي على شاهد القبر، وأنا محاط بالموتى. حين تموت فإنهم يتخلون عنك بالفعل. حين أموت أرجو أن يكون هنالك إنسان له من التفكير السليم ما يجعله يلقي بي في النهر أو أي مكان آخر، عدا تلك المقبرة اللعينة، حيث يأتي الناس ويضعون على بطنك بعض الأزهار في أيام الآحاد، وغير ذلك من السخافات. من يريد الزهور عندما يكون ميتا؟ لا أحد.

عندما يكون الطقس لطيفا يذهب والداي إلى قبر آلي يضعان الزهور عليه رافقتهما مرتين ثم توقفت فأنا أولاً لا أحب أن أراه في تلك المقبرة السخيفة، محاطا بالموتى وبشواهد القبور. لم يكن ذلك رديئا عندما تكون السماء صافية. ولكنني في المرتين اللتين ذهبت فيهما كانت السماء تمطر، وكان ذلك بشعا، إذ كان المطر يهطل على شاهدة القبر، وعلى العشب الذي فوق بطنه، وتمطر في كل جزء من أجزاء المقبرة. كل زوار الجبانة ركضوا كالمجانين إلى سياراتهم وهذا بالذات ما دفع بي إلى حافة الجنون. فكل أولئك الزوار كان باستطاعتهم أن يلجؤوا إلى سياراتهم وأن يستمعوا للراديو وأن يذهبوا إلى مكان لطيف لتناول الطعام، كلهم ما عدا آلي. لم أستطع احتمال ذلك. وأنا أعلم أن ما في القبر هو جسده فقط، وأن روحه في السماء، أعرف هذه الأشياء ولكنني لم أستطع احتمال ذلك. وددت لو أنه لم يكن في القبر. أنت لا تعرف آلي، لو كنت تعرفه لفهمت ما أقصد. عندما تكون الشمس طالعة لا تكون الأمور بهذا السوء، ولكن الشمس لا تطلع إلا عندما يعن لها ذلك فقط.

بعد فترة من الوقت، وحتى أبعد تفكيري عن الإصابة بالنزلة أخرجت نقودي وأخذت أعدها في الضوء الشحيح المتسرب من مصباح الشارع. كل ما كان معي هو ثلاثة دولارات، وخمسة أرباع الدولار وسنت واحد. لقد أنفقت ثروة منذ أن غادرت بنسي. نهضت وألقيت الأرباع والسنتات في البحيرة، في الجزء الذي لم يكن متجمدا. لا أدري لماذا فعلت ذلك ولكنني فعلته. أعتقد أنني قدرت أن ذلك سوف يصرف تفكيري عن الإصابة بالنزلة وعن الموت. ولكنني لم أنجح في ذلك.

أخذت أفكر فيما سوف تشعر به فيب عندما أصاب بالنزلة وأموت. سوف تشعر بحزن شديد لو كان ذلك حدث، فهي تحبني كثيرا. أعني أنها مغرمة بي، وتلك حقيقة. على كل حال. لم أستطع أن ابعد ذلك عن تفكيري ولهذا قررت شيئا، قررت أن أتسلل إلى البيت وأراها قبل أن أموت أو يحدث شيء كهذا.

كان مفتاح البيت معي، فقررت أن أتسلل إلى حجرتها بهدوء ثم أتحدث معها قليلا. الشيء الوحيد الذي يزعجني هو الباب الخارجي الذي يصدر صريرا مزعجا. كانت عمارة قديمة، والبواب ابن زانية كسول، وكل شيء في العمارة يصر ويزيق. كنت أخشى أن يشعر والداي بدخولي، ورغم ذلك قررت أن أحاول.

ولهذا غادرت الحديقة وتوجهت إلى البيت. مشيت المسافة كلها. لم تكن العمارة بعيدة جدا، ولم أكن متعبا ولا حتى سكران. كل ما هنالك أن الجو كان شديد البرودة والشوارع خالية.

الفصل الحادي والعشرون

أحسن فرصة أتيحت لي منذ سنين أني دخلت العمارة ولم أجد (بيت) صبي المصعد في داخله. في داخل المصعد كان ولد آخر لم أره من قبل. ولهذا قدرت أنني إذا لم ألتق مصادفة بأحد أبوي فإنني أستطيع أن أرى فيب ثم أنصرف دون أن يعلم أحد أنني قد دخلت العمارة. كانت تلك فرصة رائعة، وزاد روعتها أن صبي المصعد يبدو غبيا إلى حد ما. قلت له بصوت طبيعي أن يصعد بي إلى شقة آل ديكشتاين، وهم يقطنون في الشقة المجاورة لنا في نفس الدور الذي نسكن فيه. خلعت قبعتي حتى لا أبدو مريبا ودخلت المصعد وكأنني في عجلة من أمري.

كان قد أغلق باب المصعد واستعد للصعود ثم إذا به يلتفت إليّ ويقول:

"لا أحد هناك. إنهم في حفلة في الدور الرابع عشر".

قلت: "إن ذلك لا يهم. سوف أنتظرهم، إنني ابن أخيهم".

ألقى عليّ نظرة بليدة متشككة وقال:

"الأفضل أن تنتظرهم في الردهة".

قبلت: "أحب أن أفعل ذلك ـ حقا أحب. ولكن ساقي مصابة وعليّ أن أبقيها في وضع معين، وأفضل لي أن أجلس على الكرسي الذي أمام باب الشقة".

لم يفهم ما قلت، فقال: "أوه" ثم صعد بي. لم يكن ذلك أمرا سيئا، بل مضحك. كل ما عليك أن تفعله هو أن تقول شيئا غير مفهوم فتراهم يفعلون كل ما تريده منهم.

هبطت في دورنا، أعـرج كـابن زانيـة، وتوجـهت إلى شـقـة آل ديكشتـاين. وعندما سمعت أبواب المصعد تغلق استدرت وسرت نحو شقتنا. لقد أحسنت التصرف. ولم أعد أشعر بأنني سكران. أخرجت المفتـاح وفتـحت البـاب بأقصى قدر من الهدوء، وبحذر شديد دخلت وأغلقت الباب خلفي. أعتقد أنني أصلح أن أكون لصا.

كان طبيعيا أن يكون الظلام كثيفا، ومن الطبيعي ألا أشعل أية أضواء. وكان عليّ أن أكون حذرا حتى لا أصطدم بشيء وأحدث ضجة. لكنني كنت متأكدا أنني في البيت بسبب تلك الرائحة الغريبة التي لا أشمها في أي مكان آخر. وحق الجحيم أنا عاجز عن معرفة مصدرها. فهي ليست رائحة قرنبيط ولا عطور، لا أعرف، بحق الجحيم، رائحة أي شيء هي، ولكنها تجعلك تتيقن أنك في البيت. أخذت أخلع معطفي لأعلقه في الدولاب، ولكن ذلك الدولاب كان مليئا بالمشاجب التي تصدر ضجة جنونية حين تفتحه، ولهذا تركته على جسدي. ثم أخذت أسير ببطء شديد في اتجاه حجرة فيب. كنت أعرف أن الخادمة لا تسمعني لأن إحدى طبلتي أذنيها مثقوبة، لأن أخاها أدخل قشة في أذنها عندما كانت صغيرة، كما أخبرتني هي ذات مرة. كانت صماء، ولكن والدي كان لهما آذان كآذان كلاب الصيد اللعينة. ولهذا مشيت بحذر شديد عندما مررت أمام حجرتهما. لقد امتنعت حتى عن التنفس، وحق الله. إنك تستطيع أن تضرب والدي بكرسي دون أن يستيقظ، أما

أمي، فما عليك إلا أن تكح في أحد أنحاء سيبيريا حتى تسمعك. إنها عصبية جدا، وهي تستيقظ معظم الوقت في ليال بطولها وتدخن السجاير.

وفي النهاية، وبعد مضي ساعة، وصلت حجرة فيب العجوز. لم تكن هناك. نسيت ذلك. نسيت أنها تنام في حجرة د. ب. عندما يكون في هوليود أو أي مكان آخر. وهي تحبها لأنها أكبر حجرة في البيت، ولأن فيها ذلك المكتب الذي يستعمله الكبار في السن والذي اشتراه د. ب. من سيدة مدمنة للخمر في فيلادلفيا، وفيها كذلك السرير الذي يبلغ طوله عشرة أميال وعرضه عشرة أميال ولا أعرف من أين اشتراه. على أية حال، فإن فيب العجوز تحب أن تنام في حجرة د. ب. وهو غائب، وهو يسمح لها بذلك. عليك أن تراها وهي تنكب على دراستها فوق ذلك المكتب الجنوني الذي لا يقل حجما عن السرير. إنك لا تكاد أن تراها خلف ذلك المكتب وهي تؤدي واجباتها المدرسية. ولكنها تحب أمثال هذه الأشياء. إنها لا تحب حجرتها لأنها صغيرة جدا. كما تقول. وتقول إنها تحب أن تفرد جسدها، وذلك يقتلني، فأي جسد تملكه فيب حتى تفرده؟ لا شيء.

ثم دخلت حجرة د. ب. بهدوء شديد واضأت المصباح فلم تستيقظ فيب. عندما أضأت النور أخذت أنظر إلى وجهها بعض الوقت. كانت تنام ووجهها على طرف الوسادة، وفمها مفتوح. كان ذلك مضحكا. الكبار يثيرون الاشمئزاز حين ينامون وأفواههم مفتوحة، ولكن الأطفال عكس ذلك، يبدون محببين حتى ولو سال لعابهم على الوسادة كلها.

تجولت في الحجرة لبعض الوقت أطالع على ما فيها من أشياء. شعرت بفرح شديد، ولم أعد أشعر أنني قد أصاب بالنزلة أو بشيء

كهذا. شعرت أنني في حالة جيدة. كانت ملابس فيب على هذا الكرسي، قرب سريرها. كانت شديدة الأناقة إذا ما قورنت بغيرها من الأطفال. أعني أنها لا تلقي ملابسها دون نظام، كما يفعل الأطفال، لم تكن بليدة. كانت وضعت جاكتتها التي اشترتها أمي من كندا على مسند الكرسي، وكانت البلوزة والأشياء الأخرى على مقعد الكرسي، وأما حذاؤها وجواربها فقد كانت على الأرض، تحت الكرسي مباشرة، موضوعتين قرب بعضهما. لم أر جذاءها هذا قبل الآن. كان جديدا، أسمر غامقا، من النوع الذي ألبسه أنا، وكان الحذاء متناسقا مع التايير الذي اشترته أمي لها من كندا. وأمي تعتني بمظهر فيب بالفعل، ولأمي ذوق ممتاز في بعض الأشياء. لم تكن تجيد شراء أحذية الانزلاق وما شاكلها، ولكن ذوقها في الملابس كان رائعا. أعني أن فيب كانت ترتدي ملابس تفتنك. كثير من الأطفال حتى عندما يكون أهلهم أغنياء يرتدون ثيابا قبيحة. لكم أحب أن ترى فيب وهي مرتدية تلك الجونيلة التي اشترتها أمي لها من كندا. أقول هذا جادا.

جلست على مكتب د. ب. أطالع الأشياء التي عليه. كان معظمها كتب وأدوات فيب المدرسية. فوقها كراس مكتوب عليه: الحساب ممتع. فتحت الصفحة الأولى. كتب فيها فيب التالي: فيب ويذر فيلد كولفيلد ـ ٤ ب ـ أ. قتلني ذلك. كان اسمها الأوسط جوزفين، بحق الله، وليس ويذرفيلد. ولكنها لم تكن تحب هذا الاسم. وفي كل مرة أراها قد اخترعت اسما جديدا.

تحت كراس الحساب كان كراس الجغرافيا، وتحت الجغرافيا كان كتاب تهجئة الكلمات، وهي تجيد تهجئة الكلمات. وتحت هذا الأخير

كان هنالك عدد من الكراريس. خمسة آلاف كراسة لم أشاهد طفلاً عنده هذا العدد الكبير من الكراريس. فتحت الكراس الأول فقرأت في صفحته الأولى: "بيرينيس قابليني في الفسحة. عندي شيء مهم جدا أقوله لك". كان هذا كل ما هو مكتوب على تلك الصفحة. في الصفة التالية كان ما يلي: "لماذا يوجد في جنوب شرق ألاسكا عدد كبير من مصانع العلب المحفوظة؟".

لأن هناك الكثير من سمك السالمون.

لماذا يوجد فيها غابات مفيدة؟ لأن فيها طقس ملائم.

ماذا فعلت حكومتنا لتجعل الحياة أيسر بالنسبة للأسكيمو؟

ابحثي عن الإجابة لغد!!

فيب ويذر فيلد كولفيلد - فيب ويذر فيلد كولفيلد - فيب ويذرفيلد كولفيلد - فيب و. كولفيلد - فيب ويذرفيلد كولفيلد المحترمة - الرجاء توصيله إلى شيرلي!!

لقد قلت إنك في برج القوس.

ولكنك في برج الثور. هاتي حذاء الانزلاق عندما تأتين إلى بيتي".

جلست على مكتب د. ب. وقرأت الكراسة كلها، ولم تستغرق مني وقتا طويلا. أستطيع قراءة مثل هذه الأشياء - كراريس الأطفال، فيب وغيرها طول الليل والنهار. أشعلت سيجارة أخرى، كانت آخر سيجارة في العلبة. يبدو أنني دخنت ثلاثين علبة في ذلك اليوم. وفي النهاية أيقظتها. أعني أنه لم يكن باستطاعتي أن أظل جالسا على ذلك المكتب إلى آخر يوم في حياتي، وبالإضافة خفت أن يدخل والداي عليَّ فجأة. كنت أريد أن اسلم عليها قبل أن يفعلا ذلك. وهكذا أيقظتها

وهي تستيقظ بسهولة، أعني أنك لست بحاجة لأن تصرخ. كل ما عليك أن تفعله هو أن تجلس على السرير وتقول: "استيقظي يا فيب" وفي لحظة تكون قد استيقظت.

قالت على الفور: "هولدن" وأحاطت عنقي بذراعيها. إنها ودودة جدا، أعني ودودة بالنسبة لطفلة في مثل سنها، وأحيانا تكون ودودة أكثر مما ينبغي. قبلتها. قالت: "متى وصلت البيت؟". كانت فرحة برؤيتي. كان ذلك واضحا.

"اخفضي صوتك. الآن فقط. كيف حالك؟".

"طيبة. هل استلمت رسالتي؟ كتبت لك خمس صفحات".

"أجل. اخفضي صوتك. شكرا".

لقد كتبت لي هذه الرسالة. غير أنني لم أتمكن من الرد عليها. كانت كلها عن هذه المسرحية التي سيمثلونها في المدرسة والتي ستشارك فيها. طلبت إليّ ألا أرتبط يوم الجمعة بأي موعد حتى أستطيع مشاهدة المسرحية. سألتها:

"ما هي أخبار المسرحية؟ ماذا قلت كان عنوانها؟".

قالت: "عنوانها عرض مسرحي عن عيد الميلاد لأمريكيين".

مسرحية تافهة، ولكنني أمثل دور بنيد كت ارنولد، أي أنني ألعب الدور الرئيسي فيها".

كانت قد استيقظت تماما. إنها تنفعل بشدة عندما تتكلم عن مثل هذه الأمور. قالت:

"تبدأ المسرحية وأنا على فراش الموت ثم يأتي هذا الشبح في ليلة عيد الميلاد ويسألني إن كنت أشعر بالخجل وغير ذلك من الأشياء. أنت تعرف، لأنني خنت بلادي وغير ذلك. هل تأتي لتشاهدها؟".

"بالتأكيد سوف آتي. لا شك أنني سوف أحضر".

قالت: "بابا لن يأتي، لأنه سوف يطير إلى كاليفورنيا".

كانت قد استيقظت تماما، وذلك لا يستغرق منها أكثر من ثانيتين. كانت جالسة، راكعة تقريبا، على رأس السرير، وكانت تمسك بيدي اللعينة. قالت:

"اصغ إلي. أمي قالت إنك ستأتي يوم الأربعاء. قالت الأربعاء".

"غادرت المدرسة قبل الموعد - اخفضي صوتك. سوف تصحي الجميع من نومهم".

"كم الساعة الآن؟ قالا إنهم لن يعودا إلا في ساعة متأخرة جدا. لقد ذهبا إلى حفلة في نورووك، كونيكتيك. خمن ماذا رأيت بعد ظهر اليوم، أي فيلم رأيت. خمن!".

"لا أعرف، استمعي إليّ، لم يقولا في أية ساعة سوف..".

قالت فيب: "فيلم الدكتور، عرض خاص في مؤسسة ليستر. عرض ليوم واحد فقط، هذا اليوم هو اليوم الوحيد. والفيلم عن هذا الطبيب في كنتوكي الذي يضع بطانية على وجه هذه الطفلة التي كانت عاجزة ولا تستطيع المشي. ثم يرسلونه إلى السجن وكل شيء. كان ممتازا".

"اصغي إلي لمدة ثانية، هل قالا في أية ساعة سوف..".

"كان يشفق عليها، أعني الطبيب، وهذا ما جعله يضع البطانية على وجهها وكل شيء ويخنقها. فيسوقونه إلى السجن ليقضي فيه بقية حياته. ولكن هذه الطفلة التي وضع البطانية على وجهها تزوره كل يوم وتشكره على ما فعل. كان قاتلا بسبب الرأفة، ولكنه يعرف أنه يستحق لسجن، لأن الطبيب لا يحق له أن يفعل أشياء هي من حق الله. أم فتاة

في فصلي أخذتنا لنرى الفيلم. اسم الفتاة أليس هولمبورج وهي أعز صديقاتي. إنها الفتاة الوحيدة في كل.. ".

قلت: "تريثي لحظة أرجوك. سألتك سؤالا. هل قالا في أية ساعة يعودان أم لا؟".

"لا، ولكن متأخرا جدا. بابا أخذ السيارة حتى لا يرتبطان بمواعيد القطارات، يوجد راديو في السيارة. ولكن أمي تقول إن لا أحد يستطيع تشغيله عندما تكون السيارة منطلقة".

هدأت أعصابي إلى حد ما. أعني لم أعد قلقا أن يفاجئاني. لم يعد يهمني ذلك. إذا حدث فليفاجئاني. كان عليك أن ترى فيب وهي ترتدي بيجامة زرقاء وهذه الفيلة الحمراء على ياقة البيجاما. كانت مغرمة بالأفيال.

قلت: "لقد كان فيلما جيدا، أليس كذلك؟".

"رائع، غير أن أليس كانت مزكومة وكانت أمها تسألها إذا كانت تشعر ببرد. وذلك خلال العرض، ودائما في وسط شيء مهم تنحني أمها وتسأل أليس إن كانت تشعر ببرد. وقد أثار ذلك أعصابي".

ثم حكيت عن الأسطوانة. قلت لها:

اشتريت لك أسطوانة ولكنها تحطمت وأنا في طريقي إلى البيت.

أخرجت الأجزاء المحطمة وأريتها لها. قلت لها: "كنت سكران".

قالت: "أعطني القطع. أحب أن أحتفظ بها".

أخذتها من يدي ووضعتها في درجها. إنها تقتلني. سألتها: "هل يأتي د. ب. في عيد الميلاد؟".

"قد يأتي وقد لا يأتي. هكذا قالت أمي. ذلك يعتمد، فقد يضطر للبقاء في هوليود ليكتب فيلما عن أنا بوليس".

"أنا بوليس، بحق الله!".

"إنها قصة حب وكل شيء. خمن من يكون فيها؟ أي نجم سينمائي؟ خمن!".

قلت: "لست مهتما بالموضوع. آنا بوليس بحق الله. ماذا يعرف د. ب. عن أنا بوليس بحق الله؟ وما علاقة ذلك بنوع القصص التي يكتبها؟".

مثل هذه الأشياء! تلك اللعينة هوليود تثير جنوني. سألتها: "ماذا حدث لذراعك؟".

لاحظت قطعة من الشريط اللاصق على كوعها، لاحظته لأن بيجامتها دون أكمام.

قالت: "هذا الولد كيرتس واينتروب، الذي معي في الفصل، دفعني عندما كنت أهبط سلم الحديقة. أتحب أن ترى الجرح؟".

وأخذت تنزع الشريط اللاصق. قلت: "دعيه في موضعه. لماذا دفعك من على السلم؟".

قالت فيب: "لا أدري. أعتقد أنه يكرهني. هذه الفتاة سلمي اتربري وأنا وضعنا حبرا وأشياء كهذه على حاجز الريح الخاص به".

"ليس هذا حسنا. ما أنت؟ هل أنت طفلة بحق الله؟".

"لا. ولكن كلما أكون في الحديقة يتبعني أينما ذهبت. دائما يتبعني. إنه يثير أعصابي".

"الأرجح أنه يميل إليك. وليس هذا سببا أن تلقي الحبر على..".

قالت: "لا أريد أن يميل إليّ".

ثم أخذت تنظر إليّ باستغراب. قالت:

"كيف حدث يا هولدن أنك جئت إلى البيت قبل يوم الأربعاء؟".

"ماذا؟".

عليك دوما أن تكون يقظا أمامها. إذا ظننت أنها ليست ذكية فأنت مجنون. سألتني:

"كيف حدث أن جئت قبل يوم الأربعاء، هل طردوك أو شيئا كهذا؟ هل فعلوا ذلك؟"

"لقد قلت لك إننا أخذنا إجازة قبل الوقت. لقد سمحوا لكل..".

قالت: "لقد طردت. لقد حدث ذلك!".

ثم ضربتني على ساقي بقبضتها. إنها تستعمل قبضتها كثيرا عندما تشعر برغبة في ذلك.

"لقد طردوك يا هولدن!".

كانت تغطي فمها بيدها. إنها تنفعل بسرعة، أقسم بالله.

"من قال إنني طردت؟ لم يقل أحد أنني...".

قالت: "لقد طردت. طردت".

ثم ضربتني بقبضتها. إذا كنت تعتقد أنها لا تؤلم فأنت مجنون.

قالت: "بابا سوف يقتلك".

ارتمت على وجهها في السرير ووضعت الوسادة فوق وجهها. وهي تفعل ذلك كثيرا. إنها تتحول إلى مجنونة حقيقية في بعض الأحيان.

قلت: "توقفي عن هذا، الآن. لن يقتلني أحد. لا أحد سوف حتى... هيا يا فيب، ابعدي هذا الشيء السخيف عن وجهك. لن يقتلني أحد".

ولكنها رفضت أن تبعد الوسادة. إنك لا تستطيع إرغامها على فعل شيء لا ترغب فيه. ومضت تردد: "بابا سوف يقتلك". وكان من الصعب سماعها بوضوح وتلك الوسادة على وجهها.

"لن يقتلني أحد. استعملي عقلك. ففي المحل الأول سوف أغادركم. وما قد أفعله أن أجد عملا في مزرعة أو أي شيء لبعض الوقت. فأنا أعرف شخصاً يملك جده مزرعة في كولورادو. وقد أجد عملا هناك".

ثم قلت: "سوف أكون على اتصال بك عندما أذهب إلى هناك، هذا إذا ذهبت. هيا يا فيب. أرجوك. أرجوك، هل أبعدت هذه الوسادة".

غير أنها رفضت أن تبعدها. حاولت أن أجذب الوسادة ولكنها كانت قوية جدا. ذلك لتجهد نفسك وأنت تعاركها. إذا أرادت فيب أن تبقي الوسادة على وجهها، فسوف تبقى. أخذت أكرر:

"فيب، أرجوك تخلي عن هذا. هيا، هيا، يا وذرفيلد تخلي عن هذا".

ولكنها أصرت. أحيانا لا فائدة من محاولة التفاهم معها. وفي النهاية خرجت إلى حجرة الجلوس وأخرجت بعض السجائر من العلبة ووضعتها في جيبي. كنت مستعدا لأي شيء.

الفصل الثاني والعشرون

حين عدت كانت قد أبعدت الوسادة عن رأسها. كنت أعلم أنها ستفعل ذلك غير أنها ترفض أن تنظر إليّ، رغم أنها كانت مستلقية على ظهرها. عندما عدت وجلست على السرير أدارت وجهها إلى الناحية الأخرى. كانت تنبذني، تماما مثل فريق الشيش عندما تركت الأدوات كلها في قطار الأنفاق.

قلت: "كيف أحوال هيزل وذرفيلد؟ هل كتبت قصصا جديدة عنها؟ إن القصة التي أرسلتها لي موجودة في حقيبتي، والحقيبة في المحطة. إنها قصة جيدة جداً".

"بابا سوف يقتلك".

عندما تسيطر عليها فكرة ما، فإنها تسيطر عليها بالفعل.

"لا، لن يفعل ذلك. إن أسوأ شيء يمكن أن يفعله هو أن يصب غضبه علي وأن يبعث بي إلى مدرسة عسكرية لعينة. هذا كل ما سوف يفعله بي. ولكنني لن أكون هنا. سوف أكون بعيدا عن هذا المكان. سوف أكون ـ الأرجح أنني سأكون في كولورادو، في تلك المزرعة".

"لا تضحكني. فأنت حتى لا تستطيع أن تركب حصانا".

قلت: "من الذي لا يستطيع. أستطيع بالتأكيد. أنا متأكد، إنني

قادر على ذلك. باستطاعتهم تعليمك ركوب الحصان في دقيقتين. توقفي عن العبث بهذا".

كانت تجذب الشريط اللاصق الذي على ساعدها. سألتها: "من الذي قص شعرك؟".

لم ألاحظ إلا تلك اللحظة تسريحة الشعر السخيفة. جعلت شعرها قصيرا جدا.

قالت: "ليس شأنك".

تستطيع أن تكون قاسية جدا أحيانا. تستطيع حقيقة أن تكون كذلك.

قالت بعدوانية: "أغلب الظن أنك سقطت في جميع المواد".

وكان ذلك مضحكا، أيضا، بشكل من الأشكال. فهي تستطيع أن تبدو كمدرسة لعينة أحيانا. رغم أنها لا تزال طفلة صغيرة.

قلت: "ليس صحيحا. لقد نجحت في الإنكليزي".

زغدت مؤخرتها التي كانت مندفعة إلى الوراء بسبب الطريقة التي تتمدد فيها. لم يكد يكون لها عجيزة، ولم أزغدها بقوة، لكنها حاولت أن تضرب يدي، ولكنها أخطأتها.

ثم قالت فجأة: "لماذا فعلت ذلك؟".

كانت تعني: لماذا طردت من المدرسة. جعلتني الطريقة التي قالت بها ذلك حزينا. قلت:

"أوه، يا إلهي يا فيب، لا تسأليني عن ذلك. لقد سئمت جميع الذين يسألونني عن ذلك. هنالك مليون سبب. كانت واحدة من أسوأ المدارس تلك التي ذهبت إليها. كانت مليئة بالمزيفين والأدنياء. لن تري

في حياتك كلها مثل هذا العدد الكبير من الآدنياء. مثلا إذا حدث تجمع في إحدى الحجرات لتبادل الحديث وأراد شخص أبله له وجه مليء بحب الشباب أن يدخل فلن يسمحوا له. الجميع كانوا يغلقون أبوابهم حين يريد شخص الدخول. وكانت هناك جمعية الأخوة التي لم أنخرط فيها لأنني جبنت. وكان هنالك ذلك الفتى الذي في وجهه الكثير من حب الشباب، الفتى المضجر روبرت أكلي الذي كان يريد أن ينضم إلى هذه الجمعية غير أنهم لم يسمحوا له لمجرد أن في وجهه حب الشباب ولكونه مضجراً".

لم تقل فيب شيئا، ولكنها كانت تصغي إلي. عرفت ذلك من النظرة إلى مؤخرة عنقها. كانت دائما تصغي عندما تقول لها شيئا. والعجيب أنها تفهم نصف الوقت عن أي شيء تتحدث به إليها. حقا هي كذلك.

أخذت أتحدث عن مدرسة بنسي لأنني شعرت برغبة في ذلك. قلت: "والمدرسان اللذان لا بأس بهما في تلك المدرسة هما أيضا مزيفان. فهنالك هذا العجوز المستر سبنسر. وزوجته دائما تقدم لك كاكاو ساخنة، والزوجان طيبان جدا. ولكن كان عليك أن تريه عندما جاء مدير المدرسة

ثرمر وجلس في آخر الفصل في درس التاريخ. كان دائما يجيء ويجلس في آخر صف في الفصل لمدة نصف ساعة. والمفروض أنه متخف أو شيء كهذا، بعد فترة من جلوسه يأخذ في مقاطعة سبنسر العجوز وإلقاء العديد من النكات السخيفة. وسبنسر العجوز يضحك ويبتسم وكأن ثرمر أمير لعين أو شيء كهذا".

"لا تكثر من السباب".

قلت: "يجعلك ترغبين في التقيؤ، أقسم على هذا. وفي يوم المحاربين القدماء - هناك يوم يسمونه يوم المحاربين القدماء، وكل البلهاء

الذين تخرجوا من بنسي منذ عام ١٧٧٦ تقريبا يأتون ويتجولون في المدرسة مع زوجاتهم وأطفالهم. كان عليك أن تشاهدي هذا العجوز وعمره يقارب خمسين سنة. طرق بابنا واستأذن في استعمال دورة المياه التي كانت في نهاية الممر. ولا أدري لماذا استأذن منا نحن. أتعرفين ماذا قال؟ قال إنه يريد أن يرى الأحرف الأولى من اسمه إن كانت لا تزال مكتوبة على أحد أبواب دورات المياه. ما كان قد فعله أنه قد نحت الأحرف الأولى اللعينة، البليدة، البائسة من اسمه على أحد أبواب دورات المياه قبل حوالي تسعين سنة، وقد كان يريد أن يتأكد إن كانت لاتزال موجودة. ولهذا أخذته أنا وزميلي ورافقناه إلى دورات المياه. وحدثنا قائلا إن أيام دراسته في بنسي كانت أسعد أيام حياته. ثم أخذ يلقي إلينا بالنصائح عن المستقبل. لكم ضقت به! لم يكن رديئا، لا أعني ذلك. ولكن ليس الإنسان السيئ وحده هو الذي يبعث الضيق في الآخرين. من الممكن أن تكوني إنسانة جيدة وتثيري الضيق. كل ما عليك أن تفعليه حتى تثيري ضيق الآخرين هو أن تلقي عليهم بنصائح مزيفة خلال بحثك عن الحروف الأولى من اسمك على أحد أبواب دورات المياه. هذا هو كل المطلوب. الأرجح أن الأمر ما كان سيصبح بهذا السوء لو لم يكن مبهور الأنفاس لمجرد صعوده السلم، وطيلة الوقت وهو يبحث عن الحروف الأولى من اسمه كان يتنفس بصعوبة، وكانت طاقتا أنفه تبدوان مضحكتين وباعثتين على الأسى، وهو خلال ذلك يحدثني أنا وستراد ليتر أن نستفيد بأقصى ما نستطيع من بنسي. يا الله، يا فيب! لا أستطيع أن أشرح لك ذلك. لم أكن أحب أي شيء يحدث في بنسي. لا أستطيع أن اشرح لك ذلك.

قالت فيب شيئا آنذاك لم أستطع سماعه. كان جانب فمها منضغطا على الوسادة فلم أسمعها، قلت:

"ماذا؟ ابعدي فمك عن الوسادة. فأنا لا أستطيع سماعك وفمك مضغوط على هذا النحو".

"أنت لا تحب أي شيء يحدث".

أصبحت أكثر كآبة عندما قالت ذلك.

"أجل، أحب، أجل، أحب، بالتأكيد أحب. لا تقولي هذا. لماذا تقولين هذا بحق الجحيم؟".

"لأنك لا تحب. أنت لا تحب أية مدرسة، أنت لا تحب مليون شيء لا تحب".

قلت: "على العكس! أنت في هذا مخطئة، في هذا بالضبط يكمن خطؤك! لماذا تقولين هذا بحق الجحيم؟".

جعلني قولها كئيبا ومنقبضا.

قالت: "لأنك لا تحب. اذكر لي اسم شيء واحد تحبه".

قلت: "شيء واحد؟ شيء أحبه؟ حسنا".

كانت المشكلة أنني عجزت عن التفكير بقوة. أحيانا يصعب عليك أن تركز تفكيرك.

سألتها: "تعنين أن أذكر شيئا واحدا أحبه كثيرا؟".

غير أنها لم ترد. كانت مستلقية على ظهرها رافعة ركبتيها قليلا على رأس السرير. كانت بعيدة عني آلاف الأميال. قلت:

"هيا جاوبيني، هل أذكر شيئا أحبه كثيرا أم شيء أميل إليه فقط؟".

"تحبه كثيرا".

قلت: "حسنا".

ولكنني لم أستطع أن أركز. كل ما استطعت أن أفكر به هو هاتان الراهبتان اللتان تجمعان التبرعات في سلال القش البائسة. خاصة تلك التي تلبس نظارة طبية ذات إطار معدني. وهذا الفتى الذي عرفته في مدرسة الكتون هلز. كان اسمه جيمس كاسل الذي رفض أن يعتذر أو يغير رأيه في ذلك الفتى المغرور جدا (فل ستا بايل)، لقد وصفه جيمس كاسل بأنه مغرور جدا، ونقل كلام كاسل أحد أصدقاء ستا بايل التافهين. هكذا ذهب ستابايل وستة من أولاد الزواني القذرين إلى حجرة جيمس كاسل، وأغلقوا الباب اللعين بالمفتاح وحاولوا أن يرغموه على سحب كلامه ولكنه رفض، ولهذا هجموا عليه. لن أروي ما فعلوه به لأنه شيء منفر، ولكنه رغم ذلك رفض أن يسحب كلامه. كان جيمس كاسل فتى نحيلا، ضئيل الجسم، ذا معصمين دقيقين كقلمي رصاص. وفي النهاية، وبدلا من أن يسحب ما قاله قفز من الشباك. كنت في الحمام، ورغم هذا سمعت صوت ارتطامه بالأرض. ظننت أن الذي سقط هو شيء ما، راديو أو مكتب أو شيء كهذا، ولم يخطر ببالي أن الذي سقط هو إنسان. ثم سمعت الجميع يهرولون خلال الممر، ويهبطون السلالم. ولهذا ارتديت روب الاستحمام وأسرعت أهبط السلم. هناك رأيت جيمس كاسل ملقى على الدرجات الحجرية. لقد كان ميتا، وكانت أسنانه ودماؤه متناثرة في كل مكان، ولم يستطع أحد أن يقترب منه. كان يرتدي بلوفري ذا العنق الذي أعرته إياه. كل ما فعلوه بالذين كانوا معه في الحجرة أن طردوهم من المدرسة، لم يدخل أحد منهم السجن.

هذا هو كل ما استطعت تذكره: الراهبتان اللتان رأيتهما وأنا أتناول إفطاري وجيمس كاسل الذي كنت أعرفه في مدرسة الكتون هلز. الشيء المضحك هو أنني لا أكاد أعرف جيمس كاسل للحق. كان فتى هادئا جدا، وكان معي في فصل الرياضيات ولكنه كان يجلس في الطرف الآخر من الحجرة، ويندر أن يقف ويسمع الدرس أو ليكتب على اللوح الأسود. هنالك بعض الطلبة الذين يندر أن يقفوا ليسمعوا الدرس أو يغادروا أماكنهم ليكتبوا على اللوح الأسود. أعتقد أن المدة الوحيدة التي تكلمنا فيها كانت عندما استعار مني بلوفري. كاد أن يغمى عليّ عندما طلب مني ذلك، أعني كنت شديد الاندهاش. أذكر أنني كنت أنظف أسناني في الحمام عندما طلب مني ذلك. قال لي إن ابن عمه سوف يأتي ليأخذه في جولة في سيارته. ولم أكن حتى أعرف أنه يعلم أن عندي بلوفرا كهذا. كل ما كنت أعرفه عنه أن اسمه كان يتلى قبل اسمي عند تلاوة أسماء الطلبة في الفصل: كابل ر. كابل، و. كاسل، كولفيلد. ما زلت أستطيع تذكر تلاوة الأسماء بهذا الترتيب. وإذا كنت تريد الصراحة فإنني كدت ألا أعيره البلوفر لأنني لم أكن أعرف الفتى معرفة جيدة.

قلت لفيب: "ماذا ؟".

وقد قالت شيئا لم أتبينه.

"لا تستطيع أن تذكر شيئا واحدا".

قلت: "أحب آلي، وأحب ما نحن فيه الآن. الجلوس معك والتحدث والتفكير في الأشياء، وأحب..".

"آلي ميت. وأنت دائما تقول هذا! حين يكون الإنسان ميتا وفي السماء، فليس هذا في حقيقة الأمر..".

"أنا أعلم أنه ميت، هل تظنينني لا أعرف ذلك؟ ورغم هذا أستطيع أن أحبه، أليس من حقي؟ لمجرد كون إنسان ما ميتا فهل، بحق الله، يمنعك هذا من حبه، خاصة إذا كان هذا الميت أحسن ألف مرة من الناس الذين لا يزالون أحياء؟".

لم تقل شيئا. عندما لا يكون هناك ما تقوله فهي لا تنطق بكلمة واحدة. قلت: "وأحب ما نحن فيه، أعني ما نحن فيه الآن، الجلوس معك والتحدث والمزاح..".

"ليس هذا بشيء في حقيقة الأمر".

"بل هو شيء له أهميته في الحقيقة! بالتأكيد هو كذلك! لماذا بحق الجحيم هو ليس كذلك؟ الناس لا يعتقدون أنه يوجد أهمية لأي شيء. لقد أصبح ذلك، بحق اللعنة، يثير الغثيان في نفسي".

"توقف عن السباب. حسنا، اذكر شيئا آخر. قل لي: ماذا تريد أن تصبح في المستقبل، عالما، محاميا، أم شيئا آخر".

"لا أستطيع أن أكون عالما لأنني ضعيف في مادة العلوم".

"إذن تكون محاميا، مثل بابا".

قلت: "المحامون لا بأس بهم، كما أعتقد، ولكن ذلك لا يروق لي. أعني أنه لا غبار عليهم طالما يجاهدون لإنقاذ الأبرياء طيلة الوقت وأشياء كهذه، ولكنك لا تفعل هذه الأشياء إذا كنت محاميا. ما تفعله هو أن تحصل على قدر كبير من النقود وتلعب الجولف والبريدج وتشتري السيارات وتشرب المارتيني وتبدو كشخصية هامة. بالإضافة إلى هذا، لنفرض أن المحامي انصرف إلى إنقاذ حياة الأبرياء، فكيف نتأكد أنه فعل ذلك لأجل هؤلاء الأبرياء. لا لأن يصبح محاميا مرموقا، خاصة

والجميع يخبطونك على ظهرك ويهنئونك في قاعة المحكمة عندما تنتهي المحاكمة اللعينة، ثم هؤلاء المخبرون الصحفيون وجميع هذه الأشياء التي تراها في الأفلام القذرة؟ كيف يستطيع المحامي في مثل هذه الظروف أن يتأكد أنه ليس مزيفا؟ المشكلة أن معرفة ذلك غير ممكنة".

لست متأكدا أن فيب فهمت كل ما قلته، أعني أنها لا تزال طفلة. ولكنها، على الأقل، كانت تصغي وإذا كان أحدهم على الأقل يصغي، فليس الأمر شديد السوء.

قالت: "بابا سوف يقتلك، سوف يقتلك".

لم أكن مصغيا. كنت أفكر في شيء آخر، جنوني. قلت:

"أتعرفين ما أريد أن أكون؟ أعني إن كان لدي فرصة لعينة للاختيار؟".

"ماذا؟ توقف عن إطلاق الشتائم".

"هل تعرفين الأغنية التي تقول (إذا أمسك إنسان بآخر يعبر حقل الشوفان)؟ أحب أن...".

قالت فيب:

"إنها هكذا (إذا قابل إنسانا آخر قادما عبر حقل الشوفان). إنها قصيدة من تأليف روبرت بينز".

"أعرف أنها قصيدة من تأليف روبرت بينز".

كانت على حق. فالقصيدة تقول: "إذا قابل إنسان إنسانا آخر قادما عبر حقل الشوفان". لم أكن أعرف ذلك ساعتها.

قلت: "ظننت أنها (إذا أمسك إنسان بآخر). على أية حال، فأنا أصور لنفسي هؤلاء الأطفال يلعبون لعبة ما في حقل الشوفان هذا

الكبير. آلاف من الأطفال الصغار ولا أحد غيرهم هناك، لا أحد من الكبار، أعني، عداي أنا. وأنا واقف على حافة هضبة جنونية. ومهمتي الإمساك بكل من يحاول الصعود إلى الهضبة، أعني أن الأطفال ينطلقون راكضين ولا يحاولون أن يتبينوا اتجاههم، فمهمتي أن أتقدم وأمسك بهم. يكون هذا هو عملي طيلة اليوم. وبهذا أصبح الحارس في حقل الشوفان. أعلم أن هذا شيء جنوني، ولكن هذا هو الشيء الوحيد الذي أحب أن أكونه. وأنا أعلم أن ذلك جنون".

لم تقل فيب شيئا لمدة طويلة. وعندما تكلمت كان كل ما قالته:

"بابا سوف يقتلك".

قلت: "لا يهمني إذا فعل ذلك".

نهضت من فوق السرير لأنني عزمت على مكالمة ذلك الفتى الذي كان يدرسني مادة اللغة الإنكليزية في مدرسة الكتون هلز بالتليفون واسمه مستر أنتو ليني، إنه يعيش في نيويورك حاليا بعد أن استقال من مدرسة الكتون هلز، وهو الآن يدرس مادة الإنكليزي في جامعة نيويورك.

قلت لفيب: سوف أتحدث بالتليفون وأعود في الحال فلا تنامي".

لم أكن أريدها أن تنام وأنا في حجرة الجلوس، وأنا أعرف أنها لن تنام ولكنني قلت ذلك لمجرد التأكد.

وبينما كنت أتجه نحو الباب قالت فيب: "هولدن!".

التفت إليها، كانت تجلس على السرير، قرب الوسادة، وكانت تبدو حلوة.

"إنني آخذ دروس في التجشؤ من هذه الفتاة فيليس مار جوليز..".

وأضافت: "استمع إلى هذا".

أصغيت، وسمعت شيئا، ولكنه لم يكن عاليا أو واضحا.

قلت:

"لا بأس".

وخرجت إلى حجرة الاستقبال وطلبت هذا المدرس، مستر أنتوليني بالتليفون.

الفصل الثالث والعشرون

أنهيت المكالمة بسرعة خشية أن يدخل والداي وأنا في منتصف المكالمة. كان مستر أنتوليني ودودا للغاية. قال إنه بإمكاني أن أجيء مباشرة إذا كنت أرغب في ذلك. الأغلب أنني أيقظته هو وزوجته من نومهما لأن جرس التليفون رنَّ كثيرا قبل أن يرد عليه، أول سؤال ألقاه عليَّ إن كان قد حدث شيء ما، قلت له لا، ولكنني طردت من بنسي، إذ قلت لنفسي أن لا مانع من إبلاغه الخبر. عندما سمع ذلك قال: "يا إلهي". لقد كان يتمتع بحس فكاهة جيد. طلب إليّ أن أجيء إن كنت أرغب في ذلك.

كان مستر أنتوليني أحسن أستاذ درست عنده. كان صغير السن جدا، لا يزيد عمره عن أخي د. ب. وتستطيع أن تمزح معه دون أن تفقد احترامك له. وكان هو الذي حمل ذلك الفتى الذي حدثتك عنه، الذي قفز من الشباك، جيمس كاسل. جس مستر أنتوليني نبضه، ثم خلع معطفه وألقاه على جيمس كاسل. وحمله إلى العيادة الطبية، لم يكترث لكون معطفه سوف يتلوث بالدماء.

عندما عدت إلى حجرة د. ب. كانت فيب قد فتحت الراديو، وكانت تصدر عنه موسيقى راقصة. وكانت فيب قد خفضت الصوت حتى لا تسمعه الخادمة. كان عليك أن تراها وهي جالسة في وسط السرير

خارج الأغطية، وساقاها مطويتان كأنها تمارس طقس يوغا وتصغي إلى الموسيقى. كانت تقتلني.

قلت: "هيا، هل تشعرين برغبة في الرقص؟".

علمتها الرقص وهي لا تزال صغيرة جدا. وهي راقصة ممتازة على أنني علمتها حركات قليلة وتعلمت الباقي بنفسها. لا تستطيع أن تعلم أحدا كيف يرقص رقصا حقيقيا.

قالت: "إنك تلبس حذاءك".

"سوف أخلعه. هيا بنا".

قفزت فيب من فوق السرير وانتظرتني حتى أخلع حذائي، ثم رقصت معها بعض الوقت. إنها ترقص بشكل جيد بالفعل. أنا لا أحب الذين يرقصون مع الأطفال. لأن ذلك يبدو معظم الوقت كريها. أعني مثل عندما تكون في مطعم وترى رجلا عجوزا يقود ابنته إلى الخلف عن طريق الخطأ، والطفلة لا تجيد الرقص على أية حال. يبدو ذلك مزعجا، ولهذا فأنا لا أرقص مع فيب في مكان عام. أرقص معها في البيت فقط. والأمر مختلف أيضا بالنسبة لفيب فهي تجيد الرقص. إنها تستطيع أن تستجيب لكل حركة من حركاتك. أعني أنك إذا ضممتها إليك فلا يكون هنالك أهمية كبيرة إن ساقيك أطول كثيرا من ساقيها. تظل ملتصقة بك، تدور وتقوم بأية حركة وتظل هي ملتصقة بك. إنك تستطيع أن تؤدي خطوات التانغو معها وحق الله.

رقصنا أربع فترات، وبين الفترات كانت تبدو مضحكة جدا. لأنها تظل في وضع الرقص فلا تتكلم أو تفعل شيئاً ونظل لهذا واقفين في وضع الرقص حتى تعاود الأوركسترا العزف. كان هذا يقتلني. والمفروض أن عليك ألا تضحك أو تفعل شيئا كهذا.

رقصنا أربع فترات ثم أغلقت الراديو. قفزت فيب إلى السرير والتفت بالأغطية.

سألتني: "إنني قد تحسنت. أليس كذلك؟".

قلت: "وأي تحسن!".

جلست بجوارها على السرير مرة أخرى. كنت مبهور الأنفاس، إذ كنت أدخن كثيرا ولم يبق فيَّ نفس. أما فيب فقد كان تنفسها طبيعيا.

قالت: "ضع يدك على جبيني".

"لماذا؟".

"المسه، المسه مرة واحدة".

لمسته ولكنني لم أحس بشيء.

قالت: "هل تشعر بارتفاع حرارته؟".

"لا. هل المفروض أن يكون كذلك؟".

"أجل، إنني في سبيلي لأن أرفع حرارته. تحسسه مرة أخرى".

تحسسته مرة أخرى فلم أشعر بأي شيء، ولكنني قلت:

"أعتقد أنه ابتدأ الآن". لم أكن أحب أن تصاب بمركب نقص لعين.

فهزت رأسها: "أستطيع أن أجعلها ترتفع أكثر من درجات ميزان الحرارة".

"ميزان الحرارة؟ من قال ذلك؟".

"أليس علمتني ذلك، أن أضع ساقا فوق ساق وأوقف تنفسي وأفكر في شيء حار جدا، جدا، مثل راديتر السيارة أو ما يشبهه. وعندما يصبح جبينك ساخنا إلى حد أنه قد يحرق يد الذي يلمسه".

قتلني ذلك. جذبت يدي بعيدا عن جبينها كأنني مهدد بخطر حقيقي. قلت:

"شكرا لأنك أخبرتيني".

"لم أكن أنوي أن أحرق يدك. كنت عازمة أن أوقف ارتفاع الحرارة قبل أن تصبح شديدة هست..".

ثم قفزت جالسة على رأس السرير.

أخافتني جدا حين فعلت ذلك. قلت:

"ما الحكاية؟".

قالت هامسة، تلك الهمسة المرتفعة:

"باب الشقة. هما".

قفزت بسرعة وأطفأت مصباح المكتب، ثم أطفأت سيجارتي على أسفل حذائي ووضعتها في جيبي. أخذت أهوي لأطرد الدخان إلى الخارج. كان يجب عليّ - بحق الله - ألا أدخن. حملت حذائي ودخلت الدولاب وأغلقت بابه. كان قلبي يدق بجنون.

سمعت أمي وهي تدخل الحجرة.

قالت: "فيب؟ توقفي عن هذا. لقد رأيت الضوء أيتها السيدة الصغيرة".

سمعت فيب تقول: "هالو! لم أستطع النوم. هل قضيت وقتا طيبا؟".

قالت أمي: "رائع".

غير أنه كان واضحا أنها لم تكن تعني ما تقول. إنها لا تستمتع كثيرا عندما تخرج. قالت:

"إذاً أنت سهرانة إذا كان لي أن اسأل؟ هل كنت دافئة؟".

"كنت دافئة ولكنني لم أستطع النوم".

"فيب، هل كنت تدخنين سيجارة هنا؟ قولي لي الحقيقة من فضلك أيتها السيدة الصغيرة".

قالت فيب: "ماذا؟".

"سمعتني".

" أشعلت واحدة لمدة ثانية. أخذت نفسا منها ثم ألقيتها من النافذة".

"لماذا، إذا كان لي أن اسأل؟".

"لم أستطع النوم".

قالت أمي: "أنا لا أحب ذلك يا فيب. لا أحب ذلك أبدا. هل تريدين بطانية أخرى؟".

قالت فيب: "لا، شكرا. تصبحين على خير".

كانت تحاول التخلص منها. كان ذلك واضحا.

قالت أمي: "كيف كان الفيلم؟".

"ممتاز. ما عدا أم أليس. كانت تنحني من حين لآخر لتسأل أليس إن كانت تشعر بالبرد، وكان ذلك طيلة مدة العرض. وقد ركبنا سيارة أجرة إلى البيت".

"دعيني أتحسس جبينك".

"لم أصب بشيء، ولم تكن هي مصابة بشيء. كانت أمها تتوهم".

"حسنا. نامي الآن. كيف كان عشاؤك؟".

قالت قيب: "عشاء كريها".

"لقد سمعت ما قاله أبوك عن استعمال تلك الكلمة. ما الكريه فيه؟ كان لحم ضأن. لقد سرت كل شارع لكسنجتون لمجرد أن..".

"لحم ضأن كان لا بأس به. ولكن شارلين دائما تتنفس في وجهي عندما تضع أي شيء على المائدة. إنها تتنفس في الطعام وفي كل شيء".

حسنا، نامي الآن. قبلة لماما، هل تلوت صلواتك؟".

"تلوتها في الحمام. تصبحين على خير!".

قالت أمي: "تصبحين على خير. نامي الآن. عندي صداع يحطم رأسي".

كانت أمي تصاب كثيرا بالصداع، حقيقة كانت تصاب.

قالت فيب: "خذي بعض حبوب الأسبيرين. هولدن سوف يعود إلى البيت يوم الأربعاء، أليس كذلك؟".

"على حد علمي. انزلي تحت الآن. تحت في السرير أكثر".

سمعت أمي تخرج وتغلق الباب خلفها. انتظرت دقيقتين ثم خرجت من الدولاب. عند خروجي اصطدمت بفيب لأن الظلام كان شديدا. وكانت هي قد غادرت السرير واتجهت نحوي، حيث أختبئ لتحكي لي.

قلت: "هل آلمتك؟".

كان علينا ألا نتحدث لأن الاثنين كانا في البيت. قلت:

"يجب أن أنصرف".

وجدت حافة السرير فجلست عليها وأخذت ألبس حذائي. كنت عصبيا جدا. أعترف بهذا. همست فيب:

"لا تذهب الآن. انتظر حتى يناما".

قلت: "لا، بل الآن، الآن أنسب وقت. سوف تكون أمي في الحمام، وأبي يستمع الآن إلى نشرة الأخبار أو أي شيء آخر. الآن أنسب وقت".

كنت متوترا إلى حد أنني ربطت حذائي بصعوبة. ليس بسبب خوفي من أن يقتلاني أو يفعلا شيئا كهذا، ولكن اكتشاف وجودي سوف يكون أمرا مكدرا.

قلت لفيب: "أين أنت بحق الجحيم؟".

كان الظلام شديدا، فلم أستطع أن أراها.

"هنا".

أنت تقف بجواري مباشرة. لم أستطع حتى أن أراها. قلت:

"إنني قد تركت حقائبي اللعينة في المحطة. اسمعي، هل معك أية نقود؟ إنني تقريبا مفلس".

"نقود عيد الميلاد فقط، للهدايا وغير ذلك. لم أشتر شيئا حتى الآن".

"أوه".

لم أحب أن آخذ نقودها المخصصة لعيد الميلاد. قالت:

"هل تريد بعضها؟".

قالت: "أستطيع أن أقرضك بعضها".

ثم سمعتها تتحرك قرب مكتب د. ب. وتفتح مليون درج وتتحسس بيدها في داخلها، كان الظلام حالكا، خاصة داخل الحجرة. قالت:

"إذا سافرت فلن تراني وأنا أمثل في المسرحية".

كان صوتها غريبا وهي تقول ذلك. قلت:

"بل سوف أراها. هل تظنين أنني سأسافر قبل ذلك؟ هل تظنين أنني لا أرغب في مشاهدتها؟ إنني في الغالب سأبقى في بيت مستر

أنتوليني حتى مساء ليلة الثلاثاء، ثم سوف أعود إلى البيت. إذا كانت هناك فرصة فسوف أخابركِ بالتليفون".

قالت فيب: "هنا". كانت تحاول أن تعطيني النقود ولكنها لم تستطع الاهتداء إلى يدي.

"أين؟".

وضعت النقود في يدي. قلت:

"استمعي إليّ، لا أحتاج إلى كل هذا. اعطني دولارين، هذا كل ما أحتاج إليه. إنني لا أمزح - هذه هي".

حاولت أن أعيدها إليها ولكنها رفضت أن تأخذها.

"خذها كلها. تستطيع أن تعيدها إليّ عندما تشاهد المسرحية؟".

"كم عددها بحق الله؟".

"ثمانون دولارا وخمسة وثمانون سنتا. لقد صرفت بعضها".

ثم فجأة أخذت أبكي. لم أستطع منع نفسي. بكيت وأنا أحاذر ألا يسمعني أحد. ولكنني بكيت. أخاف بكائي فيب كثيرا. فاقتربت مني وحاولت أن تمنعني من الاستمرار في البكاء. ولكنني متى بدأت فلن أستطيع التوقف بسهولة. كنت ما أزال جالسا على حافة السرير حين أخذت في البكاء. أحاطت عنقي بذراعيها، ولكنني لم أستطع التوقف لمدة طويلة. ظننت أنني سوف أختنق من البكاء وكانت فيب خائفة جدا. كانت النافذة مفتوحة وكنت أحس بها ترتعش من البرد لأنها لم تكن ترتدي سوى بيجامتها. حاولت أن أجعلها تدخل السرير ولكنها رفضت. وفي النهاية توقفت عن البكاء ولكن ذلك أخذ وقتا طويلا، طويلا جدا. وبعد ذلك انتهيت من إحكام أزرار معطفي. قلت لها إنني سوف أظل

على اتصال بها. قالت إنه بإمكاني أن أنام في سريرها إن شئت. ولكنني رفضت وقلت إنه يحسن بي أن أنصرف لأن مستر أنتوليني ينتظرني. ثم أخرجت قبعة الصيد من جيبي وأعطيتها لها. إنها تحب هذه القبعات الجنونية. لم تكن تريد أن تأخذها ولكنني أرغمتها على ذلك. وأستطيع أن أراهن أنها نامت وهي تضعها على رأسها. ثم قلت لها إنني سوف أكلمها بالتليفون إذا أتيحت لي الفرصة، وانصرفت.

كان الخروج من الشقة أسهل بكثير من دخولها وذلك لأسباب كثيرة. أولها أنني لم أعد أكترث إذا اكتشف أهلي وجودي. حقيقة لم أعد أكترث لذلك. قلت لنفسي: "إذا اكتشفوا وجودي فليكن". بل كنت أتمنى ذلك على نحو ما.

هبطت على السلالم بدلا من استعمال المصعد. هبطت السلالم الخلفية. كدت أدق عنقي وأنا أتعثر بحوالي عشرة ملايين صفيحة زبالة. ولكنني استطعت الخروج دون أن يراني صبي المصعد. الأغلب أنه يعتقد أنني ما زلت في شقة آل ديكشتاين.

الفصل الرابع والعشرون

كان مستر أنتوليني وزوجته يقطنان في الشقة الأنيقة جدا في منطقة (ستن). تهبط درجتين فتصبح في حجرة الاستقبال حيث البار وغيره. وقد زرت الشقة قبل ذلك عدة مرات، فبعد أن غادرت مدرسة الكتون هلز كان مستر أنتوليني يجيء إلى بيتنا كثيرا ويتناول العشاء، وكان دائما يسأل ماذا كنت أفعل بعد أن غادرت المدرسة. وعندما تزوج كنت كثيرا ما ألعب التنس معه ومع زوجته في نادي تنس الحي الغربي في فورست هلز، لونج ايلاند. وكانت السيدة أنتوليني تنتسب إلى جو هذا النادي. كان عندها نقود كثيرة، وكانت أكبر من مستر أنتوليني بستين عاما، ولكنهما كانا يبدوان منسجمين. أحد أسباب ذلك الانسجام أنهما مثقفان. خاصة مستر أنتوليني غير أن سخريته تزيد عن ثقافته حين تكون جالسا معه، وهو في هذا يشبه د. ب. إلى حد بعيد. بينما كانت السيدة أنتوليني جادة. كانت مصابة بربو شديد. وقد قرأ الاثنان كل قصص د. ب. وعندما ذهب د. ب. إلى هوليود اتصل به مستر أنتوليني ونصحه بعدم الذهاب. ولكن د. ب. ذهب إلى هوليود رغم أن مستر أنتوليني قد قال إن من يجيد الكتابة مثل د. ب. ليس له أن يذهب إلى هوليود. وهذا بالضبط ما كنت قد قلته أنا.

كنت عـازما على السيـر إلى بيت أنتوليني على أقدامي لأنني لم أرغب أن أصرف نقود فيب المخصصة لعيد الميلاد إلا إذا كنت مضطرا لذلك. ولكن شعوراً غريباً استولى عليٍّ وأنا في الخارج، شعرت ببعض الدوار. ولهـذا ركـبت سـيـارة أجرة. لم أكن أرغب في ركـوبهـا ولكنني فعلت. ولقد بحثت طويلا عن سيارة أجرة.

فـتح المسـتـر أنتـوليـني البـاب لي، بعـد أن وافق ابن الزانيـة صـبي المصـعد على صعـودي. كـان مسـتـر أنتـوليـني يلبس روب الاسـتـحـمـام وشـبـشـبـا ويمسك بإحدى يديه كـأسـا مـن الويسكي. كـان مـرهفا. وكـان يشرب كثيرا. قال:

"هولدن يا بني! يا الله. لقد زاد طوله عـشرين بوصة أخرى. جـمـيل أن أراك".

"كيف حالك يا مستر أنتوليني؟ وكيف حال السيدة أنتوليني؟".

"في أحسن حال. دعني آخذ معطفك". أخذ معطفي وعلقه. "كنت أتصـور أنك سـوف تأتي حـامـلا طفـلا رضـيـعـا بين ذراعـيـك، ولـيس لك مأوى. يوجد بعض ندف الثلج على رموشك".

يصبح أحيانا شديد السخرية. التفت وصاح في اتجاه المطبخ:

"ليليان! ما أخبار القهوة؟".

ليليان كان الاسم الأول للسيدة أنتوليني. ردت صائحة:

"جاهزة. هل هذا هولدن؟ هالو يا هولدن!".

"هالو يا مسز أنتوليني!".

على الإنسـان أن يصـيـح عندمـا يكون هنالك. وهذا لأنـهـمـا دائمـا لا يتواجدان في حجرة واحدة في نفس الوقت. وكان ذلك مضحكا إلى حد ما.

قال مستر انتوليني: "اجلس يا هولدن".

كان واضحا أنه منتش قليلا. بدت في الحجرة آثار حفلة انتهت منذ وقت قصير. كانت الكؤوس في كل مكان وكذلك كانت أطباق بها فول سوداني. قال:

"اعذرنا للفوضى البادية. كنا نحتفل ببعض الجواميس من أصدقاء وصديقات مسز أنتوليني.. وأية عجول، في حقيقة الأمر".

ضحكت أنا، وصاحت السيدة أنتوليني من المطبخ بشيء لم أتبينه. سألت مستر أنتوليني: "ماذا تقول؟".

"تقول إن عليك ألا تنظر إليها عندما تدخل، لأنها صحت لتوها من النوم. خذ سيجارة. هل تدخن الآن؟".

قلت: "شكرا".

وتناولت سيجارة من العلبة التي قدمها لي. قلت:

"أنا أدخن بين آن وآخر. إنني مدخن معتدل".

قال: "أراهن على ذلك".

أشعل سيجارتي بولاعة كبيرة كانت موضوعة على المائدة. قال:

"وهكذا، فإنك لم تعد أنت وبنسي شيئا واحدا".

كان دائما يقول الأشياء بهذه الطريقة. في أحيان كثيرة كان ذلك يمتعني، وفي أحيان أخرى لم يكن. كان يبالغ في هذا إلى حد ما. لا أعني أنه لم يكن ساخرا، لقد كان كذلك، ولكن ذلك يثير أعصابك عندما يظل إنسان يردد مثل هذه الأقوال: "لم تعد أنت وبنسي شيئا واحدا". ود. ب. يبالغ في ذلك، أيضا، أحيانا. سألني مستر أنتوليني:

"ما السبب؟ كيف كنت في مادة الإنكليزي؟ إنني سوف أطردك إن كنت قد سقطت في مادة اللغة الإنكليزية، أيها الماهر في كتابة موضوعات الإنشاء".

قلت: "لقد نجحت في مادة الإنكليزي. ولكن معظمها كان أدبا إنجليزيا. وكتبت موضوعي إنشاء طول الجزء الأول من السنة. سقطت في الإملاء والارتجال. فلقد كان هنالك هذا الدرس الذي يتوجب عليك أن تمتحن فيه: الإملاء الشفوي في هذه المادة".

"لماذا؟".

"لا أدري".

لم أشعر برغبة في شرح الأسباب، إذ ما زلت أحس ببعض الدوار، كما أن صداعا شديدا أصابني فجأة. أصابني فعلا، ولكن من الواضح أن هذا الموضوع يثير اهتمامه فحكيت له طرفا منه:

"في هذا الدرس كان على كل طالب أن يقف أمام طلبة الفصل ويلقي خطبة ارتجالية، كما تعرف، وإذا ابتعد الطالب عن الموضوع فعليك أن تصرخ بأسرع ما تستطيع: ابتعاد عن الموضوع وكان هذا يثير جنوني ولهذا كانت نمرتي فيه ضعيفة جدا".

"لماذا؟".

"لست أدري. ولكن حكاية الابتعاد عن الموضوع كانت تثير أعصابي. مشكلتي أنني أحب الابتعاد عن الموضوع. فذلك أمتع، وأكثر إثارة لاهتمامي".

"لا يهمك كثيرا أن يلتزم أحدهم بالموضوع عندما يحكي لك شيئا؟".

"بالتأكيد أحب أن يلتزم المتحدث بالموضوع. ولكنني لا أحب أن يلتزموا به أكثر مما يجب. لا أدري، ولكنني أعتقد أنني لا أحب الشخص الذي يلتزم بالموضوع طيلة الوقت. الطلبة الذين ينالون أعلى النمر في الارتجال هم أولئك الذين يركزون على الموضوع. أعترف بهذا. ولكن هنالك هذا الفتى ريتشارد كنسلا. لم يكن يركز على الموضوع بشكل كبير، وكان الطلبة يصيحون عليه طول الوقت:

ابتعاد عن الموضوع. وكان ذلك فظيعا للغاية، لأن هذا الفتى كان شديد العصبية، أعني كان عصبيا جدا، وكانت شفتاه ترتعشان دائما حين يأتي دوره في إلقاء الكلام فكنت تسمعه بصعوبة إذا كنت تجلس في آخر الحجرة. وعندما تكف شفتاه قليلاً عن الارتعاش كنت أحب الخطب التي يلقيها أكثر مما أحب خطب أي طالب آخر. وهو قد سقط في المادة تقريبا، فهو قد نال نمرة منخفضة لأن الأولاد كانوا يصيحون في وجهه باستمرار: ابتعاد عن الموضوع. ألقى مثلا، هذه الخطبة عن المزرعة التي اشتراها أبوه في فيرمونت. وكانوا يصيحون وهو يخطب: ابتعاد عن الموضوع. وقد وضع له المدرس مستر فنسون درجة ضعيف جدا لأنه لم يذكر أسماء الحيوانات والخضار التي تعيش وتنمو فيها. وكان ريتشارد كنسلا قد تحدث عن هذه الأشياء، ثم انتقل فجأة إلى الحديث عن هذه الرسالة التي استلمتها أمه من عمه الذي قد أصيب بمرض العظام عندما كان في الثانية والأربعين من عمره وكيف أنه كان يمنع أي إنسان من زيارته في المستشفى لأنه لم يكن يحب أن يراه أحد وهو يضع جبيرة. لم يكن لذلك ارتباط وثيق بالمزرعة، أعترف بهذا، ولكن ذلك

كان ممتعا. إنه أمر ممتع أن يحدثك أحدهم عن عمه. خاصة عندما يبدأ بالحديث عن مزرعة أبيه ثم فجأة يتزايد اهتمامه بعمه. أعني أنه شيء قذر أن يمضي الأولاد في الصياح: ابتعاد عن الموضوع! في الوقت الذي يكون فيه المتحدث طيباً ومنفعلاً.. لا أدري. يصعب شرح ذلك".

لم أشعر برغبة في أن ابذل مزيدا من الجهد في الشرح، لأنني أصبت بهذا الصداع العنيف فجأة طلبت من الله أن تسرع السيدة أنتوليني بالقهوة. وبالمناسبة، فهذا شيء يزعجني أشد الإزعاج، أعني أن يقول أحدهم إن القهوة جاهزة وهي ليست كذلك.

"هولدن.. سؤال قصير وضيق الأفق وتعليمي. ألا تعتقد أن هناك زمانا ومكانا لكل شيء؟ ألا تعتقد أنه إذا أخذ شخص يتحدث عن مزرعة أبيه إليك أنه يجب أن يركز على الموضوع، وبعد ذلك يمكنه أن ينتقل للحديث عن جبيرة عمه؟ أو، إذا كانت جبيرة عمه تشكل موضوعا مثيرا إلى هذا الحد، ألم يكن الأجدر به أن يختارها هي كموضوع للارتجال بدلا من مزرعة أبيه؟".

لم أشعر برغبة في التفكير أو الإجابة على هذا السؤال. كنت مصابا بصداع وكنت أشعر أنني في حالة سيئة، وكنت أشعر أيضا ببعض تعب المعدة، للحق.

"أجل، لست أدري. أعتقد أنه كان عليه أن يفعل ذلك. أعني أنني أعتقد أنه كان عليه أن يختار عمه موضوعا للإنشاء بدلا من المزرعة إذا كان عمه أكثر إثارة لاهتمامه. ولكن الذي أعنيه هو أنه في أحيان كثيرة لا تستطيع معرفة ما يثير اهتمامك بشدة حتى تأخذ في الحديث عن

أشياء لا تثير اهتمامك بشدة أعني أنه في بعض الأحيان تكتشف أن لا حيلة لك في ذلك. أعتقد أنه يجب ألا نتدخل في حديث أحدهم إذا كان ذلك الحديث، على الأقل، ممتعا، وقد أخذ ذلك الشخص ينفعل بشدة بالموضوع. أحب الأشخاص الذين ينفعلون حول شيء ما. ذلك شيء محبب لي. وأنت لا تعرف ذلك المدرس مستر فنسون. إنه قادر في بعض الأحيان أن يدفعك إلى الجنون. هو وفصله اللعين. أعني أنه يطلب إليك طيلة الوقت أن تجعل خطبتك أكثر تماسكا وسهولة. بعض الأشياء لا تستطيع أن تجعلها كذلك. أعني أنك لا تستطيع أن تجعل شيئا ما أكثر تماسكا وسهولة لمجرد أن شخصا ما يريد منك ذلك. أنت لا تعرف هنا الشخص المسمى مستر فنسون. أعني أنه ذكي وغير ذلك ولكنك تستطيع أن تستنتج أنه لا يملك المقدرة على التفكير الجيد".

قالت السيدة أنتوليني: "القهوة، أيها السادة، وصلت في نهاية الأمر".

جاءت تحمل هذه الصينية وعليها القهوة والكيك وأشياء أخرى. قالت:

"هولدن، لا تلق عليّ نظرة واحدة، إنني في حالة لا تليق".

قلت: "هالو مسز أنتوليني".

وحاولت أن اقف ولكن مستر أنتوليني أمسك بجاكيتتي وأرغمني على الجلوس مرة أخرى. كان شعر السيدة أنتوليني مليئا بتلك المشابك الحديدية، ولم تكن تضع أحمر شفاه أو أي شيء آخر. لم تكن رائعة الجمال، بل تبدو عجوزا جدا.

قالت: "سوف أضع الصينية هنا، فاهجما عليها أنتما الاثنان".

وضعت الصينية على مائدة دافعة بالكؤوس بعيداً لنجد موضعا للصينية.

"كيف حال أمك يا هولدن؟".

"في حالة طيبة. شكرا. لم أرها منذ بعض الوقت، ولكن آخر مرة رأيتها فيها..".

"يا حبيبي، إذا احتاج هولدن لشيء، فكل شيء موجود في دولاب الملابس، في الرف العلوي. سوف أعود إلى السرير. إنني مرهقة".

قالت السيدة أنتوليني ذلك وقد بدا عليها الإرهاق بالفعل. أضافت:

"يا أولاد، هل تستطيعان أن تعدا السرير وحدكما؟".

قال مستر أنتوليني: "سوف ندبر كل شيء. اسرعي إلى السرير".

ثم قبل مسز أنتوليني، ثم ودعتني هي وانصرفت إلى حجرة النوم. كانا يقبلان بعضهما كثيرا أمام الناس.

شربت جزءا من فنجان القهوة ونصف قطعة كيك. كانت صلبة كأنها قطعة من الصخر. أما مستر أنتوليني فاكتفى بكأس آخر من الويسكي، وكان، كما هو واضح، يضع في كأسه قدرا كبيرا من الويسكي. قد يصبح مدمنا إذا لم ينتبه لنفسه.

قال فجأة: "تناولت الغداء مع أبيك منذ أسبوعين. هل عرفت هذا؟".

"لا، ليس عندي علم بهذا".

"أنت تعلم أنه مهموم كثيرا بسببك".

قلت: "أعلم ذلك. أعلم أنه كذلك".

"كان من الواضح أنه قبل أن يكلمني بالتليفون كان قد تسلّم خطابا طويلا ومكدرا من مدير آخر مدرسة كنت فيها، يقول في الخطاب إنك لا تبذل أي مجهود، وتغيب عن الدروس، وتأتي للفصل دون أن تحضر الدروس، وبشكل عام.."؟

"لم أتغيب عن أي درس. لم يكن ذلك مسموحا به. هنالك درسان كنت أتغيب عنهما بين آن وآخر مثل درس الارتجال الذي حدثتك عنه، ولكنني لم أتغيب عن أية دروس".

لم أكن أشعر برغبة في مناقشة هذا الموضوع. تحسنت معدتي قليلا بسبب القهوة، ولكنني ما زلت أعاني هذا الصداع العنيف.

أشعل مستر أنتوليني سيجارة أخرى. كان يدخن بشراهة. ثم قال بعد ذلك:

"بصراحة، لا أعرف ماذا أقول لك، بحق الجحيم يا هولدن".

"أعلم أن في التحدث إليه صعوبة كبيرة. أنا أعرف ذلك".

"عندي إحساس بأنك تندفع إلى سقوط مريع، مريع، ولكنني بصدق لا أعرف أي نوع من.. هل تصغي إليّ؟".

"أجل".

كان من الواضح أنه يحاول تركيز أفكاره.

"قد يكون ذلك النوع من المصير، الذي يجعلك وأنت في الثلاثين من عمرك، حين تكون جالسا في أحد البارات تشعر بكراهية شديدة لكل

من يدخل البار إن كان يبدو عليه أنه كان لاعب كرة قدم عندما كان طالبا. وقد تكون قد حصلت جزءا قليلا من الثقافة الذي سيجعلك تكره الذين يقولون: (إنه سر بين الله وبيني) أو قد تنتهي موظفا في أحد المكاتب، تلقي بالأدوات على أقرب طابعة على الآلة الكاتبة. لا أدري. ولكن هل تعرف ما أريد أن أقوله؟".

قلت: "أجل. بالتأكيد".

وقد فهمت بالفعل ما يعنيه. وأضفت:

"ولكنك مخطئ فيما يتعلق بمسألة الكراهية. أعني لاعبي كرة القدم وغيرهم. لا أكره الكثير جدا من الناس. قد أكرههم لبعض الوقت مثل هذا الفتى ستراد ليتر الذي عرفته في بنسي وهذا الفتى الآخر روبرت أكلي. أكرههم بعض الأحيان، أعترف بهذا، ولكن ما أعنيه، أن ذلك لا يستمر طويلا. بعد مرور بعض الوقت، أي إذا لم ألتق بهما ولم يدخلا حجرتي، أو إذا لم أرهما خلال وجبتين في حجرة الطعام فإنني أفتقدهما. أعني أنني أفتقدهما إلى حد ما".

لم يقل مستر أنتوليني شيئا لبعض الوقت. وقف ووضع قطعة أخرى من الثلج في كأسه، ثم جلس مرة أخرى. كان واضحا أنه يفكر. وكنت أتمنى لو أنه واصل الحديث في الصباح بدلا من هذه الساعة. ولكنه كان متحمسا. والناس يتحمسون دائما للنقاش عندما لا تكون أنت متحمسا له.

"حسنا اصغ إلي الآن لمدة دقيقة.. قد لا تكون صياغة كلامي بالجودة والكيفية اللتين أريدهما، ولكنني سوف أكتب لك ما أقوله الآن في رسالة خلال يوم أو يومين، وتستطيع أن تتلقاه بشكله الصحيح. ولكن اصغ إلي الآن على أية حال".

وأخذ يركز تفكيره مرة أخرى، ثم قال:

"إن هذا السقوط الذي أعتقد أنك تسرع نحوه نوع خاص من السقوط، نوع مرعب. إن الإنسان الذي يسقط لا يسمح له أن يحس أو يسمع نفسه وهو يرتطم بالقاع. إنه يواصل السقوط وحسب. إن هذا المصير قد أعد لأولئك الرجال الذين كانوا في إحدى فترات حياتهم يتطلعون إلى شيء لا تستطيع بيئتهم أن تمدهم به. أو هم قد ظنوا أن بيئتهم عاجزة عن إعطائهم هذا الشيء. وهم لهذا توقفوا عن البحث. حتى قبل أن يبدؤوا فيه توقفوا. هل تتابع ما أقول؟".

"أجل يا سيدي".

"متأكد؟".

"أجل"؟

نهض وسكب في كأسه مزيدا من الويسكي. ثم عاود الجلوس لم يقل شيئا لوقت طويل.

ثم أضاف: "لا أود أن أخيفك. ولكنني أستطيع أن أرى بوضوح أنك سوف تموت بنبل، بشكل أو بآخر، بسبب قضية بالغة التفاهة..".

ألقى عليٍّ نظرة غريبة وقال:

"إذا كتبت لك شيئا فهل تقرؤه بعناية؟ وهل تحتفظ به؟".

قلت: "أجل. بالتأكيد".

مازلت حتى الآن أحتفظ بالورقة التي أعطاها لي.

سار إلى مكتبه في الطرف الآخر من الحجرة، ودون أن يجلس كتب شيئا على ورقة. ثم عاد وجلس والورقة في يده.

"من الغريب أن هذه العبارة لم يكتبها شاعر، بل كتبها محلل نفسي يدعى فيلهلم شتايكل.. هذا ما.. هل أنت مصغ؟".

"أجل، بالتأكيد إنني مصغ إليك".

"هذا ما قاله: (إن علامة الرجل الذي ينقصه النضوج أنه يود أن يموت بنبل من أجل قضية ما، بينما علامة الرجل الناضج أنه يود أن يعيش بتواضع من أجل قضية ما".

انحنى وأعطاني الورقة. قرأتها وهو يعطيها لي. شكرته ووضعتها في جيبي. كان لطيفاً منه أن يقوم بكل ذلك المجهود. ذلك ما أحسست به حقيقة. ولكنني فقدت القدرة على التركيز. لقد أحسست بالإجهاد فجأة.

كان واضحا أنه غير متعب على الإطلاق، وكان قد سكر تقريبا.

قال:

"أعتقد أنك في يوم ما ستجد طريقك. وعند ذاك عليك أن تبدأ السير فيها. وعليك أن تبدأ في الحال، فلن تجد دقيقة واحدة تضيعها. أنت بالذات سوف تبدأ في الحال".

هززت رأسي لأنه كان ينظر إليّ مباشرة، ولكنني لم أكن متأكدا جدا أنني كنت أفهم عن أي شيء كان يتحدث. كنت متأكدا أنني، إلى حد ما، أفهم ما كان يقول، ولكنني ساعتها لم أكن متأكدا من ذلك تماما. كنت مجهدا جدا. قال: "أكره أن أقول هذا، ولكنني أعتقد أنك حين تكوّن فكرة عما تريد عمله في المستقبل، فأول ما تبدأ به هو أن تهتم بدراستك. سوف يكون ذلك ضروريا، فأنت طالب، سواء أردت ذلك أم لم ترد. أنت محب للمعرفة، وأعتقد أنك سوف تكتشف بعد أن تنتهي من هذا المستر فنزيبون ودرس الارتجال..".

قلت مصححا: "مستر فنسيون" لأنه هو الذي كان يريد أن يذكره، غير أنه لم يكن يحب أن أقاطعه.

"حسنا، المستر فنسيون، عندما تنتهي منه فسوف تبتدئ تقترب أكثر وأكثر ـ هذا إذا أردت ذلك. وسعيت إليه، وانتظرته ـ من ذلك النوع من المعلومات التي سوف تصبح حبيبة جدا، جدا إلى قلبك. ومن بين الأشياء التي سوف تكتشفها أنك لست الإنسان الوحيد في التاريخ الذي اختلط عليه الأمر وارتعب بل وتقزز من السلوك الإنساني. لست وحدك الذي تعاني من هذا الشعور، وسوف يزداد حماسك وتكبر دوافعك لأن تعرف. أن الكثيرين جدا قد عانوا أخلاقيا كما تعاني أنت الآن. ومن حسن الطالع أن بعضهم قد سجل ما عاناه. سوف تتعلم منهم إذا رغبت. كما أنه في يوم ما، إذا كان عندك ما تقوله سيستفيد إنسان آخر مما تقدمه. إنه ترتيب جميل متبادل. وهذا ليس دراسة أكاديمية ولكنه تاريخ وشعر".

توقف قليلا وشرب جرعة من كأسه. ثم واصل حديثه. كان متحمسا جدا. وأنا سعيد لأنني لم أحاول إيقافه عن الكلام. قال:

"إنني لا أحاول القول إن الدارسين والمثقفين هم وحدهم الذين بإمكانهم أن يقدموا إضافات ثمينة إلى العالم. إن ذلك غير صحيح. ولكنني أقول إن المثقفين والدارسين إذا كانوا لامعين وأخلاقيين، وهو شيء نادر لسوء الحظ، فإنهم يخلفون وراءهم وثائق أقيم جدا من أولئك الناس الذين كانوا لامعين وأخلاقيين فقط. إنهم يعبرون عن أنفسهم بشكل أوضح، وهم، عادة، يتميزون بحماس في متابعة أفكارهم حتى

النهاية. وهم، وهذا أمر بالغ الأهمية، في تسعين في المئة من الأحوال أكثر تواضعا من غير الدارسين. هل تتابعني؟".

"أجل، يا سيدي".

لم يقل شيئا لفترة طويلة. لا أدري إذا كنت قد مررت بنفس التجربة، ولكنه شيء مرهق أن تجلس منتظرا إنسانا ما أن يقول شيئا وهو مستغرق في التفكير. حقا إن الأمر لكذلك. أخذت أحاول ألا أتثاءب، وليس ذلك بسبب كوني ضجرا، فأنا لم أكن كذلك، ولكن النعاس استولى عليّ فجأة.

"شيء آخر سوف تمنحك إياه الثقافة الأكاديمية. إنك إذا انصرفت إليها مدة معقولة، فإنها سوف تعطيك فكرة عن قدراتك الذهنية. أي ماذا ينسجم معها، وماذا يتناقض معها. وبعد فترة سوف تكوّن تصوراً عن نوع الأفكار التي تصلح لقدراتك الذهنية وهذا سوف يوفر لك قدرا كبيرا جدا من الوقت كنت سوف تستغرقه في البحث عن الأفكار التي تتفق معك، وتلك التي لا تتفق. سوف تبدأ في التعرف على قدراتك الحقيقية وتنتقي منها ما يتفق مع عقلك".

وفجأة تثاءبت. لقد كنت في فعلي هذا ابن زانية وقحاً ولكنني لم أستطع منع نفسي.

ولكن مستر أنتوليني اكتفى بالضحك.

قال: "هيا!".

ثم نهض وأضاف: "سوف نعد لك الأريكة".

تبعته. سار إلى هذا الدولاب وحاول أن يخرج منه بعض الملاءات

والبطانيات وغير ذلك ولكنه لم يستطع تدبير ذلك لأنه كان يمسك كأس الويسكي بإحدى يديه. ولهذا شرب ما تبقى منه ووضعه على الأرض ثم تناول الملاءات والبطانيات فساعدته في حملها إلى الأريكة، وتعاونا سويا في إعداد الفراش. لم يكن شديد الحماس لهذا العمل، ولهذا لم يحكم وضع الملاءات والبطانيات، ولكنني لم أهتم بذلك كثيرا. كنت أستطيع النوم وأنا واقف لأنني كنت مجهدا جدا.

"كيف حال علاقتك النسائية؟".

"على ما يرام".

كنت محدثاً رديئا، إذ لم يكن عندي رغبة في الحديث.

"كيف حال سالي؟".

كان يعرف سالي هيز. فقد عرفته عليها مرة.

" في حال طيبة. قابلتها بعد ظهر اليوم".

بدا لي أن ذلك حدث منذ عشرين عاما.

أضفت: "لم يعد بيننا انسجام".

"إنها فتاة جميلة جدا. ماذا عن الفتاة الأخرى؟ تلك التي حدثتني عنها في مين؟".

"أوه جين جالاجر. إنها على ما يرام. ربما اتصلت بها غدا".

انتهينا من إعداد الفراش. قال مستر انتوليني:

"إن الأريكة لك كلية الآن. لست أدري بحق الجحيم ما الذي سوف تفعله بساقيك".

قلت: "لا تخشى شيئا. إنني متعود على الأسرة القصيرة. أشكرك كثيرا يا سيدي. أنت ومسز أنتوليني أنقذتما حياتي هذه الليلة بالفعل".

"أنت تعرف الطريق إلى الحمام. إذا كنت تريد شيئا فنادي عليّ، سوف أكون في المطبخ لبعض الوقت - هل سوف يضايقك الضوء؟".

"لا، بحق الجحيم.. لا أشكرك كثيرا".

"حسنا، تصبح على خير يا حلو".

"تصبح على خير يا سيدي. أشكرك كثيرا".

انصرف إلى المطبخ واتجهت إلى الحمام وخلعت ملابسي. لم أستطع أن أنظف أسناني لأن فرشاة أسناني لم تكن معي. ولم يكن هنالك بيجاما ألبسها لأن مستر أنتوليني قد نسي أن يعيرني واحدة. لهذا عدت إلى حجرة الجلوس وأطفأت المصباح الصغير الذي بجوار فراشي ودخلت السرير بملابسي الداخلية فقط. كانت الأريكة قصيرة جدا، ولكنني في واقع الأمر كنت أستطيع النوم وأنا واقف دون أن يطرف لي جفن. بقيت مستيقظا لمدة ثوان قليلة أفكر فيما قاله لي مستر أنتوليني حول اكتشاف مدى قدراتي الذهنية وغير ذلك. كان بالفعل ذكيا إلى حد كبير. ولكنني لم أستطع الاحتفاظ بعيني اللعينتين مفتوحتين لمدة طويلة فنمت.

ثم حدث شيء لا أحب حتى أن أتحدث عنه.

صحوت فجأة. لم أعرف في أية ساعة كان ذلك ولكنني صحوت. شعرت بشيء على رأسي، يد إنسان ما. وقد أخافني ذلك كثيرا. وكانت تلك اليد هي يد مستر أنتوليني. فقد كان يجلس على الأرض بجوار الأريكة، وكان يتحسس أو يداعب رأسي اللعين. إنني أراهنك أن المسافة التي قفزتها بلغت حوالي ألف قدم.

قلت: "ماذا تفعل بحق الجحيم؟".

"لا شيء! إنني بكل بساطة أجلس هنا، وأبدي إعجابي..".

كررت قولي مرة أخرى: "ماذا تفعل على أية حال؟".

لم أكن بحق الجحيم أعرف ماذا أقول. كنت شديد الارتباك.

"ماذا لو خفضت صوتك قليلا؟ إنني بكل بساطة أجلس هنا..".

قلت: "على أية حال يجب أن أذهب".

كم كنت عصبيا. أخذت أرتدي بنطلوني بسرعة في الظلام. وجدت صعوبة في لبسه لأنني كنت متوترا جدا. إنني أعرف عددا من الشواذ في المدرسة وغيرها أكثر مما يعرفه أي إنسان آخر، وكانوا دائما يكشفون عن شذوذهم أمامي.

قال مستر أنتوليني: "يجب أن تذهب إلى أين؟".

كان يحاول أن يبدو عاديا وهادئ الأعصاب، ولكنه لم يكن كذلك، وأرجو أن تصدقني عندما أقول ذلك.

"تركت كل حقائبي في المحطة. أعتقد أنه من الأفضل أن أذهب وأجيء بها. إن كل أمتعتي في داخلها".

"تستطيع حقائبك أن تنتظر حتى الصباح. نم الآن. وسأذهب أنا أيضا لأنام. ماذا بك؟".

قلت: لا شيء.ولكن كل أمتعتي ونقودي في الحقائب. سوف أعود في الحال. سوف أركب سيارة أجرة ثم أعود في الحال".

كنت لا أكاد أتماسك في الظلام. أضفت:

"المشكلة أن النقود ليست نقودي الخاصة، ولكنها نقود أمي، وأنا..".

"لا تكن مضحكا يا هولدن، عد إلى فراشك. وأنا أيضا سوف آوي إلى فراشي. سوف تكون النقود في صحة جيدة في أمان حتى الصباح..".

"إنني لا أمزح. يجب أن اذهب. حقا، يجب أن اذهب".

كنت تقريبا قد انتهيت من ارتداء ملابسي، عدا رباط عنقي الذي لم أستطع الاهتداء إليه، فارتديت جاكتتي دون رباط عنقي. كان مستر أنتوليني قد انتقل إلى الكرسي الكبير وجلس عليه وأخذ يراقبني. وكان أيضا لا يزال يشرب الويسكي، إذ كنت أستطيع أن أميز كأس الويسكي في يده.

"أنت فتى غريب جدا، جدا".

قلت: "أعرف ذلك".

لم أحاول أن أبحث كثيرا عن رباط عنقي، ولذا غادرت الشقة بدونه.

قلت: "وداعا يا سيدي. أشكرك كثيرا، وأنا لا أمزح".

كان يسير خلفي مباشرة وأنا أتجه إلى باب الشقة. وعندما ضغطت على أزرار المصعد ظل واقفا في الباب اللعين. وكل ما قاله هو تلك العبارة: "حول كوني فتى غريب جدا، جدا". إذ كررها مرة أخرى. غريب أنا، بحق عجيزتي. وظل واقفا ينتظر في إطار الباب حتى وصل المصعد. لم أشعر قط بعبء انتظار وصول مصعد مثلما شعرت وأنا أنتظر ذلك المصعد. أقسم على هذا.

لم أكن أعرف ماذا يمكن أن أقول وأنا واقف هناك أنتظر المصعد. ثم قلت:

"سوف أبدأ بقراءة بعض الكتب الجيدة. سوف أفعل ذلك حقا".

أعني أنه كان عليك أن تقول شيئا، وكان ذلك وضعا مربكا.

"اخرج حقائبك وعد إلى هنا مباشرة. سوف أترك الباب مفتوحا".

قلت: "أشكرك كثيرا، وداعا!".

وأخيرا وصل المصعد، فدخلت فيه وهبطت. كنت أرتعش بجنون. وكنت أنز عرقا أيضا. عندما يحدث معي شيء شاذ كهذا فإنني أشعر كأنني ابن زانية. حدث لي هذا الشيء حوالي عشرين مرة منذ أن كنت طفلا. لا أستطيع تحمل مثل هذا الموقف.

الفصل الخامس والعشرون

في الخارج كان ضوء النهار قد أخذ ينتشر. وكان الجو شديد البرودة، ولكنني شعرت براحة لأنني كنت عرقان جدا.

لم أكن أعرف إلى أين سوف أذهب. لم أرغب في الذهاب إلى فندق آخر وأنفق كل نقود فيب. وفي النهاية اتجهت إلى لكسنجتون وركبت قطار الأنفاق المتجه إلى المحطة المركزية. كانت حقائبي هناك وعزمت على أن أنام في غرفة الانتظار حيث يوجد الكثير من الدكك. وهذا ما فعلته. لم يكن ذلك شيئا سيئا، إذ لم يكن هناك إلا عدد قليل من الناس ولهذا استطعت أن أرفع ساقي على إحدى الدكك. وهكذا جلست. ولكنني لا أحب كثيرا أن أتحدث عن ذلك. لم يكن ذلك مريحا، وعليك ألا تحاول أن تنام هكذا، وأنا أعني ما أقول. إن حديثي عن ذلك سوف يثير فيك التعاسة.

نمت حتى التاسعة تقريبا ثم صحوت لأن حوالي مليون إنسان أخذوا يزدحمون في صالة الانتظار، فكان عليّ أن أنزل ساقي. وأنا لا أستطيع النوم إذا كنت أضع قدمي على الأرض. ولهذا استيقظت وأعتقد أن حالة الاكتئاب التي استولت عليّ آنذاك لم أعرف لها مثيلا في حياتي.

ودون رغبة مني، أخذت أفكر في مستر أنتوليني وتساءلت عما

سوف يقوله لزوجته عندما تكتشف أني لم أنم هناك. ولكن هذا لم يقلقني كثيرا، ولكن الذي أقلقني هو عندما صحوت واكتشفت أنه يداعب رأسي. أعني أنني سألت نفسي: ربما كنت مخطئا عندما ظننت أنه يقوم بمحاولة شاذة معي. وقلت لنفسي: ألا يمكن أن يكون مجرد هاو فقط مداعبة رؤوس النائمين. أعني، كيف بإمكانك أن تتأكد من مثل هذه الأشياء؟ إنك لا تستطيع التأكد. وقلت لنفسي: أليس الأفضل أن استخرج حقائبي وأعود إلى بيته كما وعدت. أعني أنني أخذت أقول لنفسي إنه حتى لو كان مصابا بالشذوذ فهو سوف يكون بالتأكيد طيبا معي. وتذكرت كيف أنه لم ينزعج عندما كلمته بالتليفون في ساعة متأخرة من الليل وكيف أنه طلب مني المجيء مباشرة إذا رغبت. وكيف أنه أجهد نفسه لينصحني حول القدرات الذهنية وغير ذلك. وكيف أنه كان الإنسان الوحيد الذي اقترب من ذلك الفتى جيمس كاسل الذي حدثتك عنه، وذلك حين مات. فكرت في كل هذه الأمور وكلما ازددت تفكيرا ازددت اكتئابا. أعني أنني أخذت أفكر أنه ربما كان من الأفضل أن أعود إلى بيته. وأنه ربما كان يداعب رأسي وحسب. وكلما زاد تفكيري في ذلك زاد اكتئابي وضيقي. وزاد الأمور سوءا أن عيني كانتا تؤلماني بحدة. كنت أشعر بهما تؤلماني وأنهما ملتهبتان بسبب قلة النوم. وبالإضافة إلى هذا أخذت أشعر بأعراض الزكام، ولم يكن معي منديل. كان هنالك بعض المناديل في الحقائب. ولكنني لم أرغب في إخراجها من صناديقها وعرضها أمام الناس.

وكانت هناك مجلة تركها أحدهم على الدكة بجواري فأخذت أقرأ فيها، معتقدا أنها سوف توقف تفكيري في مستر أنتوليني ومليون

شخص آخر لبعض الوقت. ولكن هذا المقال اللعين الذي أخذت أقرأه جعلني في حالة أسوأ. كان عن الهرمونات، يصف كيف يكون مظهر الإنسان عندما تكون هرموناته في حالة طبيعية. ولم يكن مظهري كما يصف المقال، بل كنت شبيها بالفتى الذي يقول المقال إن هرموناته ليست في حالة جيدة. ولهذا أخذت أشعر بالقلق على هرموناتي. ثم أخذت أقرأ هذا المقال الآخر حول كيف يمكنك أن تعرف إذا كنت مصابا بالسرطان. وكنت أعاني من هذا الالتهاب الذي في داخل شفتي منذ أسبوعين. ولهذا قدرت أنني مصاب بالسرطان. كانت مجلة مبهجة للغاية. توقفت عن قراءتها في نهاية الأمر ونهضت وأخذت أتمشى. قدرت أنني سوف أموت بعد شهرين لأنني مصاب بالسرطان، حقيقة ظننت ذلك تيقنت أن ذلك لا بد أن يحدث. ولم يجعلني هذا أشعر بسعادة غامرة.

بدا أن هناك احتمالا لنزول المطر ولكنني واصلت سيري رغم ذلك. وأحد أسباب ذلك أنه كان يجب عليّ أن أتناول إفطاري. لم أكن أشعر بجوع ولكنني فكرت أن عليّ أن آكل شيئا، أعني شيئا فيه بعض الفيتامينات. ولهذا أخذت أسير في اتجاه الشرق حيث توجد المطاعم الأنيقة الرخيصة لأنني لم أرد أن أنفق نقودا كثيرة.

وبينما كنت أسير مررت بهذين الرجلين اللذين كانا ينزلان شجرة عيد الميلاد من سيارة شحن. كان أحدهما يقول للآخر: "امسك بابنة الزانية! امسكها بحق المسيح!". كانت طريقة رائعة للتحدث عن شجرة عيد الميلاد. وكان ذلك مضحكا أيضا، فأخذت أضحك. وكان هذا أسوأ شيء يمكن أن أفعله إذ ما كدت أبدأ بالضحك حتى شعرت برغبة في التقيؤ. وحين حاولت أن أتقيأ تلاشت الرغبة في التقيؤ.

ولم أعرف لذلك سببا. أعني أنني لم أتناول طعاما فاسدا ومعدتي، في العادة، قوية. تمالكت نفسي على أية حال، وقدرت أنني سوف أشعر بتحسن عندما أتناول بعض الطعام. دخلت مطعما يبدو من مظهره أنه رخيص وطلبت قطعة كيك وقهوة. ولكنني لم أتناول قطعة الكيك لأنني لم استطع ابتلاعها بسهولة. فهنالك مشكلة مضنية أنك عندما تكون مكتئبا لسبب ما فإنك تجد صعوبة في ابتلاع الطعام. ولكن النادل كان لطيفا معي، إذا أعادها دون أن يطلب ثمنا لها شربت القهوة فقط، ثم غادرت المطعم وأخذت أسير في اتجاه الشارع الخامس.

كان يوم اثنين وقد اقترب موعد عيد الميلاد وكل المحلات كانت مفتوحة. ولهذا لم يكن السير في الشارع الخامس أمرا سيئا. كان هنالك جو عيد ميلاد. كان هنالك عدد كبير من السانتا كلوزات يقفون على نواصي الشوارع يقرعون هذه الأجراس. وكانت هنالك فتيات جيش الخلاص اللواتي لم يكن يضعن أي أحمر شفاه وما شابه ذلك وكن يقرعن الأجراس أيضا. وأخذت أبحث عن هاتين الراهبتين اللتين قابلتهما عندما كنت أتناول إفطاري في اليوم السابق، ولكنني لم أعثر لهما على أثر. وكنت أعلم أنني لم أجدهما لأنهما قالتا لي أنهما قدمتا إلى نيويورك للعمل كمدرستين، ولكنني مضيت أبحث عنهما. وعلى أية حال، فإن كل شيء قد اكتسب جو عيد الميلاد فجأة. فملايين الأطفال مع أمهاتهم كانوا في الشارع، يهبطون من الباصات ويخرجون ويدخلون من وإلى محلات البيع. وددت لو أن فيب كانت موجودة. إنها لم تعد صغيرة جدا إلى حد أن تفقد صوابها حين تدخل مخزن ألعاب الأطفال ولكنها من النوع الذي يستمتع باللعب والتفرج على الناس. في عيد الميلاد قبل

الأخير اصطحبتها إلى السوق لشراء بعض الأشياء. وقد أمضينا وقتا رائعا. أعتقد أن المحل الذي دخلناه كان بلو منجديل. اتجهنا إلى قسم الأحذية وتظاهرت فيب أنها تود شراء أحد تلك الأحذية العالية جدا والتي فيها حوالي مليون ثقب يجب أن تربط. لقد جعلنا البائع المسكين يفقد عقله، وقد جربت فيب حوالي عشرين حذاء وفي كل مرة كان البائع المسكين يربطها كلها. كانت خدعة قذرة ولكنها أمتعت فيب. وفي النهاية اشترينا حذاء من جلد الجمل ودفعنا ثمنه. كان البائع لطيفا، وأعتقد أنه كان يعرف أننا نعبث لأن فيب كانت تنطلق ضاحكة في كل مرة.

ظللت أسير وأسير في الشارع الخامس دون رباط عنق. ثم أخذ شيء مخيف يحدث. في كل مرة أصل إلى نهاية أية عمارة وأتخطى رصيفها يأتيني إحساس أنني لن أستطيع الوصول إلى الطرف الآخر من الشارع. كان يخيل إليّ أنني سوف أهوي وأهوي ولن يراني أحد بعد مرة أخرى. وقد جعلني ذلك في حالة خوف شديد. لن يكون بإمكانك أن تتخيل ذلك. وأخذ العرق ينساب مني بغزارة فابتل قميصي وملابسي الداخلية. ثم أخذت أفعل شيئا آخر. في كل مرة أصل فيها إلى نهاية أية عمارة أروح أتخيل نفسي أنني أكلم أخي آلي. أقول له: "آلي، لا تجعلني أختفي. آلي. لا تجعلني أختفي، آلي، لا تجعلني أختفي. أرجوك يا آلي". وعندما أصل إلى الطرف الآخر من الشارع دون أن أختفي أوجه شكري إلى آلي. ثم يبدأ ذلك كله مرة أخرى عندما أصل الناصية التالية. ولكنني واصلت السير. أعتقد أنني كنت خائفا أن أتوقف، وأقول لك الحق إنني لا أتذكر ذلك جيدا. أعلم أنني لم أتوقف حتى

وصلت إلى الشارع رقم ٦٠. بعد ذلك تجاوزت حديقة الحيوانات، ثم جلست على تلك الدكة، وكنت أتنفس بصعوبة، وينساب مني العرق غزيرا. جلست هناك حوالي ساعة تقريبا. وفي النهاية اتخذت قراري بالنسبة إلى ما سوف أفعله. لقد استقر عزمي أن أذهب بعيدا. قررت ألا أعود إلى البيت مرة أخرى، وألا أذهب إلى مدرسة أخرى. قررت أن أقابل فيب فقط لأودعها وأعيد إليها نقود عيد الميلاد، ثم أسافر إلى الغرب بواسطة استيقاف السيارات الخاصة (الهيتش هايكنغ). وبعد ذلك قررت أن أذهب إلى (هولاند هافل) وأن أدبر مسألة سفري، ثم أدبر ذلك مرة بعد مرة وبعد أيام سوف أكون في الغرب حيث كل شيء جميل جدا والشمس مشرقة وحيث لا يعرفني أحد. وهناك أستطيع أن أجد عملا. قررت أن أعمل في محطة بنزين في مكان ما، أي أضع البنزين في السيارات المسافرة. لم يكن يهمني نوع العمل الذي أعمله، المهم ألا أعرف أحدا من الناس وألا يعرفني أحد. وقررت أن أتظاهر بأنني أخرس أصم وبهذا لن أضطر لإجراء أحاديث سمجة ولا معنى لها مع أي إنسان. إذا أراد أحدهم أن يقول لي شيئا فليكتبه على ورقة ويدفعها إليّ. وسوف يسأمون هذا بعد مضي بعض الوقت، وسوف أنجو من خوض الأحاديث حتى نهاية حياتي. سوف يظن الجميع أنني أصم وأخرس مسكين وسوف يدعوني لشأني. سوف يدعوني أضع البنزين والهواء في سياراتهم السخيفة، وسوف يدفعون لي أجرا عن ذلك، وسوف أبني لنفسي كوخا صغيرا في مكان ما بالنقود التي أحصل عليها، وأعيش فيه حتى نهاية حياتي. سوف أبنيه قرب الغابة، ولكن ليس في وسطها، لأنني أريده مشمسا طيلة الوقت. سوف أعد طعامي بنفسي، وبعد ذلك،

إذا رغبت في الزواج أو شيء كهذا، فسوف أقابل تلك الفتاة الجميلة التي سوف تكون صماء وخرساء، وسوف نتزوج. سوف تأتي لتعيش معي في كوخي، وإذا أرادت أن تقول لي شيئا فإن عليها أن تكتب ذلك على ورقة لعينة، مثلما يفعل الجميع. وإذا أتانا أطفال فسوف نخفيهم في مكان ما، ونشتري لهم الكثير من الكتب ونعلمهم بأنفسنا القراءة والكتابة.

انفعلت كثيرا وأنا أفكر في هذا، انفعلت حقيقة. كنت أعلم أن مسألة تظاهري بالصمم والخرس مسألة جنونية ولكنني أحببت التفكير فيها. لقد عزمت جديا أن أسافر للغرب. ولكنني وددت قبل ذلك أن أودع فيب. ولهذا نهضت فجأة ورحت أركض كأنني أصبت بالجنون، ركضت عبر الشارع. وكدت أن أموت وأنا أفعل ذلك، إذا أردت الحقيقة، ودخلت تلك المكتبة واشتريت قلما وورقا. قررت أن أكتب لها رسالة أخبرها فيها عن المكان الذي يجب أن تقابلني فيه حتى أودعها وأعيد إليها نقود عيد الميلاد. وقد عزمت أن أذهب إلى مدرستها وأجد أحدا يوصل الرسالة إلى إدارة المدرسة حتى تسلمها إلى فيب. غير أنني وضعت القلم والورق في جيبي وأسرعت إلى مدرستها. كنت منفعلا إلى حد أنني لم أكتب الرسالة في المكتبة. كنت أسرع لأنني كنت أريد أن أسلمها الرسالة قبل أن تغادر المدرسة لتناول الغداء. لم يكن أمامي وقت كبير.

كنت أعرف مكان مدرستها بالطبع لأنني كنت أدرس فيها وأنا طفل. وعندما وصلت إلى المدرسة استولى عليّ شعور غريب مضحك. لقد فقدت ثقتي بأنني قادر على أن أتذكر كيف تبدو المدرسة من الداخل، ولكنه تبين لي أنني أعرف. لقد كانت كعهدي بها عندما كنت

تلميذا. فهنالك تلك الساحة الكبيرة التي تبدو مظلمة إلى حد ما، وهنالك نفس الأقفاص التي تحيط بالمصابيح لحمايتها من التحطم حين تصيبها الكرة، وكذلك نفس الدوائر البيضاء المرسومة على أرض الملعب، للألعاب وغير ذلك، ونفس دوائر كرة السلة، المدورة التي تسجل فيها الأهداف دون شبكات ـ كان هنالك اللوح الخشبي والدائرة الحديدية فقط.

لم يكن هنالك أحد في الخارج، الأغلب لأن الطلبة كانوا في الفصول وفترة الفسحة قد فاتت، بينما وقت الغداء لم يحن بعد. الوحيد الذي رأيته كان طفلا ملونا في طريقه إلى الحمام. كان يحمل إحدى تلك التصريحات الخشبية، التي كانت بارزة من جيبه، بمغادرة الفصل، نفس القطعة الخشبية التي تعودنا أن نستعملها لنبرزها كتصريح لنا بمغادرة الفصل والذهاب إلى الحمام.

ما زال العرق ينساب من جسدي ولكن ليس بنفس الغزارة التي كان ينساب فيها قبل ذلك: اتجهت نحو السلم وجلست عليه وأخرجت الورق والقلم. كان للسلالم نفس الرائحة التي كانت لها عندما كنت تلميذا، أي كأن أحدا قد تبول عليها لتوه. سلالم المدارس لها دائما مثل هذه الرائحة. على أية حال، جلست على السلالم وكتبت هذه الرسالة:

عزيزتي فيب:

لم يعد باستطاعتي الانتظار حتى يوم الأربعاء. الأغلب أنني سأذهب إلى الغرب بواسطة استيقاف السيارات الخاصة. قابليني في متحف الفن في الساعة الثانية عشرة والربع لأعيد إليك نقود عيد الميلاد. لم أنفق منها كثيرا.

مع حبي،
هولدن.

كانت مدرستها قريبة من المتحف، الذي سوف تمر به، على أية حال، في طريقها إلى البيت لتتناول غداءها. ولهذا كنت متأكدا أنها ستقابلني في الموعد.

ثم أخذت أصعد السلم إلى حجرة الإدارة حتى أعطي الرسالة إلى شخص يوصلها إليها في فصلها. طويتها حوالي عشر مرات حتى لا يفتحها أحد. لا تستطيع أن تثق بأحد في مدرسة لعينة. ولكنني كنت واثقا أنهم سوف يسلمونها الرسالة ما دمت أخاها.

خلال صعودي السلم شعرت فجأة أنني على وشك التقيؤ، ولكنني لم أتقيأ. جلست لمدة ثانية ونهضت وأنا أشعر بتحسن. إلا أنني رأيت شيئا وأنا جالس أثار جنوني. كتب أحدهم على الحائط: (...أنت). جعلني ذلك في حالة شبه جنون. فكرت كيف أن فيب والأطفال الآخرين سوف يرونها، وكيف أنهم سوف يتساءلون عما تعنيه، وكيف أن طفلا دنيئا سوف يشرح لهم معناها، بأسلوب قذر طبعا، وكيف أنهم كلهم سوف يفكرون في ذلك ويقلقون بسببه لمدة يومين. راودتني رغبة في قتل الشخص الذي كتبها. وقدرت أن أحد الأشخاص المصابين بالشذوذ قد تسلل إلى المدرسة في وقت متأخر من الليل ليتبول أو ما شابه ذلك ثم كتب تلك العبارة على الجدار. وتصورت نفسي وأنا أمسك به وهو يفعل ذلك. وكيف أنني سوف أهشم رأسه على درجات السلم الحجرية حتى يموت، وتصورته ميتا والدم يغطيه. ولكنني كنت أعرف أيضا أنني لا أملك العزيمة الكافية لأن أفعل ذلك. كنت أعرف هذا فأصبحت أكثر اكتئابا. ولم أكد أملك العزيمة الكافية لأن أمحو تلك العبارة عن الجدار بيدي، إذا أردت الحق. كنت خائفا أن يراني أحد المدرسين وأنا أمحوها

فيظن أنني أنا الذي كتبتها. غير أنني في نهاية الأمر مسحتها. ثم ذهبت إلى حجرة الإدارة.

لم أجد المسؤولة، ولكنني وجدت سيدة تبلغ من العمر حوالي مئة سنة، تجلس أمام الآلة الكاتبة. قلت لها إنني أخو فيب كولفيلد التي في سنة ٤ب - ١، ورجوتها أن تعطي الرسالة إلى فيب. قلت لها إن ذلك مهم جدا لأن أمي مريضة ولن تستطيع أن تعد الغداء لفيب وأن على فيب أن تقابلني لنتناول الغداء في أحد مخازن الأدوية. كانت السيدة العجوز لطيفة معي. أخذت مني الرسالة ونادت سيدة أخرى من الحجرة المجاورة وذهبت السيدة الأخرى لتسلم رسالتي إلى فيب. ثم تبادلت الحديث مع السيدة التي تبلغ من العمر مئة عام لبعض الوقت. كانت لطيفة جدا، وأخبرتها كيف أنني أنا وأخوتي قد درسنا في هذه المدرسة. سألتني عن اسم المدرسة التي أدرس فيها حاليا فقلت لها إن اسمها بنسي. فقالت إن بنسي مدرسة ممتازة. حتى لو رغبت فإنني لم أكن أملك الجهد الكافي لتصحيح معلوماتها. وبالإضافة إلى هذا، فإنها إذا كانت تعتقد أن بنسي مدرسة ممتازة، فلتعتقد ذلك. فأنا لا أحب أن أقول أشياء جديدة لشخص يبلغ من السن حوالي مئة عام. إنهم لا يحبون سماع الجديد.

غادرت المدرسة بعد قليل، ثم حدث شيء مضحك حين صاحت خلفي "حظا طيبا!" بنفس الطريقة التي صاح بها خلفي سبنسر العجوز عندما غادرت بنسي. يا الله كم أكره أن يصيح أحدهم خلفي قائلا: "حظا طيبا!". عندما أغادر مكانا ما. إن ذلك يثير ضيقي.

هبطت عن طريق سلم آخر فرأيت "...أنت" أخرى على الجدار.

حاولت أن أزيلها بيدي مرة أخرى ولكن هذه العبارة كانت محفورة بسكين أو بآلة مماثلة. ولم أستطع إزالتها. وعلى أية حال فالمسألة ميئوس منها، حتى لو أمضيت مليون سنة وأنت تزيل هذه العبارة فلن تنجح في إزالة حتى نصف عبارات "... أنت" التي في العالم. إن إزالتها مستحيلة.

نظرت إلى الساعة التي في الساحة فوجدتها ١١.٤٨ فقط، ولذا فقد كان لدي الكثير من الوقت قبل أن أقابل فيب. ولكنني سرت نحو المتحف، إذ لم يكن هناك مكان آخر أذهب إليه. فكرت أن أتوقف أمام أحد أكشاك التليفونات وأكلم جين جالاجر قبل أن أسافر إلى الغرب، ولكنني لم أكن في حالة نفسية مناسبة. وعلى كل حال فأنا لست متأكدا أنها سوف تكون قد عادت إلى البيت لتبدأ إجازتها. ولهذا اتجهت إلى المتحف مباشرة وتسكعت قليلا.

وبينما كنت أنتظر فيب في مدخل المتحف جاء هذان الطفلان إليّ وسألاني إن كنت أعرف أين توجد المومياوات. كان أصغرهما هو الذي سألني، وكان بنطلونه غير مزرر. وعندما ذكرت له ذلك زرره وهو واقف مكانه، لم يحاول أن يفعل ذلك خلف عامود مثلا. أحببت ذلك جدا. كنت سأضحك ولكنني خفت أن تأتيني الرغبة في التقيؤ فلم أضحك.

سألني الطفل مرة أخرى: "أين المومياوات يا صاحب. هل تعرف؟".

أخذت أتسلى مع الاثنين لبعض الوقت. سألته:

"المومياوات؟ ما هي المومياوات؟".

"كما تعلم، المومياوات، الأولاد الميتون. الذين يدفنونهم فيها، الدبور وكل شيء".

الدبور، قتلني ذلك. كان يريد أن يقول القبور. قلت:

"لماذا لستما في المدرسة يا أولاد؟".

قال الطفل الذي كان يقوم بكل الحديث:

"لا يوجد دراسة اليوم".

وأنا واثق ثقتي بأني أحيا، أن ابن الزنا الصغير هذا كان يكذب. لم يكن لدي ما أفعله إلى أن تجيء فيب ولهذا ساعدتهما في الوصول إلى مكان الموميات. لقد كنت أعرف مكانها بالضبط، لكنني لم أدخل المتحف منذ عدة سنين.

قلت: "هل أنتما مهتمان بالموميات".

"أيوه".

قلت: "لا يستطيع صديقك أن يتكلم؟".

"ليس صديقي. إنه أخي".

"ألا يستطيع أن يتكلم؟".

ونظرت إلى الفتى الذي لم يقل شيئا وسألته:

"ألا تستطيع أن تتكلم؟".

قال: "أستطيع، ولكنني لا اشعر برغبة في ذلك".

في نهاية الأمر وجدت المكان الذي توضع فيه الموميات فدخلناها.

سألت الطفل الأول: "هل تعرف كيف كان المصريون يدفنون موتاهم؟".

"لا".

"يجب أن تعرف ذلك. إنه مثير جدا. كانوا يغطون وجوههم بتلك الأقمشة التي كانت تدهن ببعض المواد الكيماوية السرية. وبهذه الطريقة

كـان يمكن دفنهم في قـبـورهم لآلاف السنين دون أن تذوي وجـوههم أو يحدث لها أي شيء. لا أحد يعرف كيف يفعل ذلك عدا المصريين. حتى العلم الحديث لا يعرف ذلك".

حتى تصل إلى حيث توجد المومـيـات عليك أن تعبر هذه القاعـة الضيقة جدا حيث رصت على الجانبين أحجار انتزعت من قبور الفراعنة. كان المنظر مخيفا، وكان من الواضح أن البطلين اللذين معي لم يكونا في غاية الاستمتاع. التصقا بي جدا، وكان الطفل الذي لا يرغب في الكلام يمسك بكمي. ثم قال لأخيه:

"دعنا نذهب. ها أنت قد رأيتهم. هيا بنا".

واستدار وهرب.

قال الآخر: "إنه جبان جدا. إلى اللقاء!".

وهرب هو أيضا.

بقيت وحدي في القبر. وأحببت ذلك إلى حد ما. كان المكان لطيفا ووديعا. ثم فجأة رأيت ما لن يخطر لك على بال. رأيت "... أنت" أخرى. كانت مكتوبة بقلم أحمر تحت الجزء الزجاجي من الجدار مباشرة، فوق الأحجار.

تلك هي المشكلة. لن تجد مكانا لطيفا وأمينا لأنه لا يوجد مثل هذا المكان. قد يخيل إليك أن مثل هذا المكان موجود، وحين تصل إليه فإن أحدا سوف يغافلك ويكتب: "... أنت". أمام عينيك مباشرة. جرب ذلك مرة. وأنا أعتقد أنني حتى لو مت ووضعوني في قبر ما، وعلى القبر شاهد عليه اسمي وتاريخ ميلادي وتاريخ وفاتي فسوف تجد تحت ذلك مباشرة عبارة "... أنت". إنني متأكد من ذلك حقيقة الأمر.

وبعد أن غادرت المكان الذي توجد فيه الموميات كان عليّ أن أذهب إلى الحمام. كنت مصابا بإسهال، إذا أردت الحقيقة. لم أهتم بالإسهال كثيرا، ولكن شيئا آخر حدث. عندما خرجت من دورة المياه أغمي عليّ قبل أن أصل إلى الباب. غير أنني كنت محظوظا. أعني أنه كان من الممكن أن أصاب إصابة قاتلة حين سقطت على الأرض. ولكن كل ما حدث أنني ملت على جنبي وقد كان ذلك شيئاً مضحكاً. شعرت بتحسن بعد الإغماءة. حقا شعرت بذلك. كان ذراعي يؤلمني من أثر السقوط ولكنني لم أعد أشعر بدوار.

كانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة وعشر دقائق، أو حوالي ذلك، فعدت ووقفت في المدخل وانتظرت فيب. وفكرت أنها ستكون آخر مرة أراها فيها. وكذلك أقاربي. قدرت أنني قد أرى أقاربي، ولكن ذلك سوف يكون بعد مضي عدة سنين. وقلت لنفسي إنني سوف أعود للبيت حين أكون قد بلغت من العمر حوالي خمسة وثلاثين عاما، وذلك في حالة مرض أحدهم وقد أبدى رغبته أن يراني قبل أن يموت. سوف يكون ذلك هو السبب الوحيد الذي يجعلني أغادر كوخي. وأخذت أتصور عودتي كيف ستكون. أنا أعلم أن أمي سوف تصبح عصبية جدا وسوف تبكي وترجوني أن أبقى في البيت وألا أعود إلى كوخي. ولكنني سوف أعود في كل حال. سوف أتصرف بشكل رسمي تماما. سوف أهدئ أمي، ثم أذهب إلى الطرف الآخر من حجرة الاستقبال وأمسك بعلبة السجاير وأشعل سيجارة بأعصاب باردة تماما. وسوف أدعوهم لزيارتي إن شاؤوا، ولكنني لن أصر. ولكنني سوف أجعل فيب تزورني في إجازة الصيف وفي إجازتي عيد الميلاد وعيد الفصح. وسوف أسمح لأخي د. ب. أن

يزورني لفترة من الوقت إذا كان يريد مكانا هادئا ولطيفا للكتابة، ولكنني لن اسمح له بكتابة أية أفلام في كوخي. سوف أسمح له فقط بكتابة القصص والكتب. وسوف أضع قانونا لكل من يزورني: أن عليه خلال زيارتي أن يمتنع عن القيام بأي فعل زائف. وإذا حاول أحدهم أن يفعل شيئا زائفا فلن أسمح له بالبقاء.

نظرت فجأة إلى الساعة التي في مدخل المتحف فوجدتها قد بلغت ١٢.٤٥ استولى عليّ القلق. وتصورت أن السيدة العجوز التي قابلتها في المدرسة طلبت من السيدة الأخرى ألا توصل رسالتي إلى فيب. وخيل إليّ أنها أمرت السيدة الأخرى أن تحرق الرسالة أو تفعل شيئا كهذا. وقد أقلقني ذلك إلى أبعد حدٍ لأنني بالفعل كنت أود أن أرى فيب قبل أن أسافر. أعني أن نقودها كانت معي.

وفي نهاية الأمر رأيتها من خلال زجاج الباب. والسبب الذي جعلني أراها هو أنها كانت ترتدي قبعة الصيد الجنونية. تستطيع أن تميز تلك القبعة على بعد عشرة أميال.

خرجت من الباب وهبطت السلم لألاقيها والشيء الذي لم أتمكن من فهم مغزاه أنها كانت تحمل حقيبة كبيرة، تجرها جرا لنقلها. كانت قد دخلت الشارع الخامس وهي تجر خلفها هذه الحقيبة الكبيرة اللعينة. وعندما اقتربت منها اكتشفت أنها تحمل حقيبتي التي كنت أستعملها عندما كنت طالبا في مدرسة هوتون.

عجزت عن إدراك ما تريده من هذه الحقيبة. قالت: "هاي" عندما اقتربت مني كثيرا. كانت مبهورة الأنفاس بسبب تلك الحقيبة الجنونية.

قلت: "ظننت أنك قد لا تأتين. ماذا بداخل تلك الحقيبة بحق

الجحيم؟ أنا لا أحتاج إلى شيء، فأنا سأسافر دون أن آخذ معي شيئا. لن آخذ معي حتى الحقائب التي تركتها في المحطة. ماذا في داخل هذه الحقيبة بحق الجحيم؟".

وضعت الحقيبة على الأرض وقالت:

"ملابسي. سوف أسافر معك. ممكن؟ موافق؟".

قلت: "ماذا؟".

كدت أسقط على الأرض عندما سمعت ذلك. أقسم بالله على ذلك. فقد شعرت بدوار وخفت أن يغمى عليّ مرة أخرى.

"لقد استعملت المصعد الخلفي خوفا أن تراني شارلين. الحقيبة ليست ثقيلة. لقد وضعت فيها ثوبين وحذائي المصنوع من جلد الجمل، وملابسي الداخلية وجواربي وبعض الأشياء الأخرى. ارفعها، سترى أنها ليست ثقيلة، ارفعها مرة واحدة.. ألا يمكنني الذهاب معك؟ هولدن؟ ألا يمكن؟ أرجوك..".

"لا. اخرسي".

خيل لي أنني سوف أسقط ميتا. أعني أنني لم أقصد أن أقول لها أن تخرس. ولكنه خيل إليّ أنه سوف يغمى عليّ.

"لماذا لا أستطيع؟ أرجوك يا هولدن! لن أفعل شيئا. سوف أذهب معك وحسب، وهذا كل شيء! لن آخذ ثيابي معي إذا كنت لا ترغب في ذلك، سوف آخذ فقط..".

"لن تأخذي شيئا لأنك لن تذهبي معي. سأسافر وحدي. إذن".

"أرجوك يا هولدن. أرجوك أن تسمح لي بمرافقتك. سوف أكون هادئة جدا. جدا. جدا.. ولن تحتاج حتى..".

قلت: "لن ترافقيني. اخرسي الآن! أعطني هذه الحقيبة".

أخذت الحقيبة منها. كنت على وشك أن أصفعها. خيل إليّ لمدة ثانية أو ثانيتين أنني سوف أصفعها. حقيقة خيل إليّ ذلك.

أخذت تبكي.

قلت: "كنت أظن أنه من المفروض أن تشتركي في تمثيلية تعرض في المدرسة، وأنك سوف تلعبين فيها دور بينيد كت ارنولد". ثم رحت أتكلم بطريقة فظة:

"ماذا تريدين أن تفعلي؟ أن تتخلي عن المسرحية بحق الله؟". جعلها هذا تزيد من حدة بكائها. كنت سعيدا. أحسست فجأة أنني أرغب في أن أراها تبكي وتنطفئ عيناها. وكنت على وشك أن أكرهها. وأعتقد أن أشد ما أثار الكراهية في نفسي نحوها هو أنها لن تمثل تلك المسرحية إذا ذهبت معي.

قلت: "هيا بنا".

وأخذت أصعد درجات المتحف مرة أخرى. كنت قد اتخذت قرارا بما يجب أن أفعله. أنني سوف أضع الحقيبة في أمانات المتحف وتستطيع هي أن تأتي في الساعة الثالثة وتأخذها بعد أن تنتهي من المدرسة. فأنا أعلم أنها لن تستطيع أن تأخذ الحقيبة معها إلى المدرسة.

قلت: "هيا بنا الآن".

ولكنها لم تصعد سلم المتحف معي، ورفضت أن ترافقني. صعدت وحدي، ووضعت الحقيبة في مكتب الأمانات، وأخذت الوصل، وهبطت ثانية إليها. كانت لا تزال واقفة على الرصيف، ولكنها أدارت ظهرها عندما اتجهت نحوها. وهي تفعل مثل هذه الأشياء. إنها قادرة على إدارة ظهرها لك عندما تشعر برغبة في ذلك.

قلت: "لن أذهب إلى أي مكان. لقد غيرت رأيي. فتوقفي عن البكاء واصمتي".

المضحك أنها لم تكن تبكي حين قلت ذلك لها، ولكنني قلته رغم هذا.

"هيا بنا الآن. سوف أسير معك إلى المدرسة. هيا، أسرعي. سوف تتأخرين".

لم ترد أو تقول لي أي شيء. حاولت أن أمسك يدها ولكنها رفضت أن تسمح لي بذلك. واستمرت تدير ظهرها لي.

سألتها: "هل تناولت غداءك؟ هل تغديت أم لا؟".

رفضت أن تجيب على سؤالي. كل ما فعلته أن خلعت قبعة الصيد الحمراء من على رأسها، القبعة التي أعطيتها إياها، وألقتها في وجهي. كاد ذلك أن يقتلني، ولكنني لم أقل شيئا. تناولتها ووضعتها في جيب معطفي.

قلت: "هيا بنا، سوف أرافقك في طريقك إلى المدرسة".

"لا أريد أن أعود إلى المدرسة".

عندما قالت ذلك لم أدر ماذا أقول لها. ظللت واقفا لمدة دقيقتين.

"يجب أن تعودي إلى المدرسة. إنك تريدين أن تشاركي في تلك المسرحية، أليس كذلك؟ إنك ترغبين أن تمثلي دور بينيدكت ارنولد، أليس كذلك؟".

"لا".

"بل تريدين، من المؤكد أنك تريدين ذلك. هيا بنا لنذهب". ثم أضفت: "أولا، لست ذاهبا إلى أي مكان، كما قلت لك. سوف أعود إلى

البيت. سأرجع للبيت بعد أن تدخلي المدرسة. أول شيء سوف أفعله أنني سأذهب إلى المحطة لأستعيد حقائبي، ثم سوف أذهب مباشرة..".

قالت: "لقد قلت إنني لن أذهب إلى المدرسة. بإمكانك أن تفعل ما تريد ولكنني لن أعود إلى المدرسة. ولهذا فاغلق فمك".

كانت تلك أول مرة تقول لي فيها: اغلق فمك. يا إلهي لقد بدا ذلك مؤلما جدا، بل أشد سوءا من توجيه الشتائم. كانت لا تزال مصرة على ألا تنظر إليّ وفي كل مرة أضع يدي على كتفها كانت تبعدها.

سألتها: "اصغي إلي، هل تريدين أن نتمشى قليلا؟ هل تحبين أن نذهب في نزهة إلى حديقة الحيوانات؟ إذا سمحت لك ألا تعودي إلى المدرسة بعد ظهر هذا اليوم وذهبنا نتنزه، هل تتوقفين عن هذا السلوك المزعج؟".

ولكنها رفضت أن ترد عليّ، ولهذا أعدت قولي مرة أخرى:

"إذا سمحت لك أن تتغيبي بعد ظهر هذا اليوم وأخذتك في نزهة صغيرة فهل تمتنعين عن هذا السلوك الجنوني؟ هل تعودين غدا إلى المدرسة كفتاة عاقلة؟".

قالت: "قد أمتنع وقد لا أمتنع".

ثم أخذت تركض عابرة الشارع دون أن تنظر إذا كانت هناك سيارات أم لا. إنها تصبح في بعض الأحيان مجنونة تماما.

لم ألحق بها لأنني أعرف أنها سوف تتبعني. ولهذا سرت في اتجاه حديقة الحيوانات، على الرصيف المحاذي للحديقة العامة، وأخذت تسير في اتجاه المدينة على الرصيف الآخر من الشارع. كانت ترفض أن تنظر إليّ، ولكنني أعرف أنها تراقبني من طرف عينها لترى أين أتجه. الشيء

الوحيد الذي أزعجني هو مرور باص من دورين جعلني غير قادر على معرفة مكانها في الطرف الآخر من الشارع. ولكنني عندما وصلت حديقة الحيوانات ناديتها صائحا.

"فيب! سوف أدخل حديقة الحيوانات! هيا بنا الآن!".

غير أنها كانت ترفض أن تنظر إليّ، ولكنني أعلم أنها سمعتني، وعندما أخذت أهبط سلم الحديقة التفت خلفي فرأيتها وهي تعبر الشارع وتتبعني.

لم يكن هنالك كثير من الرواد في الحديقة لأن الجو كان سيئا، ولكن كان يوجد بعض الرواد قرب بركة مياه أسود البحر. حاولت أن أتجاوزها ولكن فيب تظاهرت أنها تراقب أسود البحر وهي تتناول طعامها، إذ كان هنالك رجل يلقي بالسمك إليها ولهذا عدت أدراجي. قدرت أن ذلك وقت مناسب للوقوف معها. سرت ووقفت خلفها ووضعت يدي على كتفها، ولكنها أحنت كتفيها وانزلقت مني. إنني قد قلت لك قبل الآن إنها تستطيع أن تكون سيئة السلوك إذا أرادت ذلك. وظلت واقفة وأسود البحر تتناول طعامها بينما أنا وقفت خلف فيب تماما. لم أضع يدي على كتفيها مرة أخرى لأنني لو فعلت ذلك لابتعدت عني، الأطفال مضحكون. عليك أن تكون حذرا على الدوام وأنت تتعامل معهم.

لم تسر بجانبي بعد أن غادرنا أسود البحر ولكنها لم تبتعد عني كثيرا. إذ كنت أسير على جانب من الطريق وكانت هي تسير على الجانب الآخر. لم يكن ذلك شيئا طيبا ولكنه على أية حال خير من أن تسير بعيدا عني ميلا كاملا، كما كانت تفعل منذ قليل. بعد أن سرنا

قليلا أخذنا نراقب الدببة لبعض الوقت على تلك التلة الصغيرة. غير أنه لم يكن هناك الكثير مما يستدعي المراقبة. كان هناك دب واحد فقط في الخارج، وكان ذلك الدب القطبي. أما الدب الآخر البني اللون فقد كان في كهفه اللعين وقد رفض أن يخرج منه. كل ما كان بإمكاننا رؤيته من ذلك الدب هو عجيزته. كان هنالك طفل صغير يقف إلى جواري، يلبس قبعة رعاة البقر التي كانت تنحدر حتى تغطي أذنيه. وكان يقول بين آن وآخر لأبيه:

"دعه يخرج يا بابا، دعه يخرج".

نظرت إليّ فيب ولكنها رفضت أن تضحك. وأنت تعرف الأطفال عندما يكونون غاضبين منك. إنهم يرفضون أن يضحكوا أو يفعلوا أي شيء آخر.

وبعد أن غادرنا مكان الدببة خرجنا من حديقة الحيوانات وعبرنا هذا الشارع من شوارع الحديقة العامة ودخلنا أحد تلك الأنفاق التي تنبعث منها دائما رائحة البول، كنا في طريقنا إلى مدينة الملاهي. كانت مصرة ألا تكلمني، ولكنها كانت تسير بجواري. أمسكت بالحزام الذي خلف معطفها ولكنها رفضت أن تسمح لي بذلك. قالت:

"احتفظ بيديك لنفسك، إذا كنت تسمح".

كانت لا تزال غاضبة مني. أخذنا نقترب من المراجيح وأخذنا نسمع تلك الموسيقى التي يعزفونها دائما. كانوا يعزفون "يا ماري!" وهم يعزفون هذه المقطوعة ذاتها منذ خمسين عاما، عندما كنت طفلا. وهذا أحد الأشياء اللطيفة في مدن الملاهي، وهي أنهم يعزفون دائما الأغاني القديمة ذاتها.

قالت فيب: "كنت أظن أن المراجيح تتوقف في فصل الشتاء".

كانت تلك أول مرة توجه فيها كلاما لي. من ناحية فعلية. أغلب الظن أنها نسيت أنه كان من المفروض أن تكون غاضبة مني.

قلت: "يجوز أن ذلك بسبب أن عيد الميلاد قد اقترب".

لم تقل شيئا عندما قلت ذلك. من المحتمل أنها تذكرت أنه من المفروض أن تكون غاضبة مني.

قلت: "هل تحبين ركوب المراجيح؟".

ربما كانت تحب ذلك. عندما كانت طفلة كانت تذهب مع آلي ومعي ومع د. ب. إلى الحديقة العامة، وقد كانت مغرمة بها. لم يكن باستطاعتك أن تنزلها عنها بسهولة.

قالت: "إنني كبيرة على ذلك".

قلت: "لا، لست كبيرة. هيا. سوف أنتظرك. هيا".

كنا قد وصلناها وكان بعض الأطفال يركبونها. معظمهم كانوا صغارا جدا، وكان هنالك بعض الآباء والأمهات يجلسون منتظرين على الدكك. ذهبت إلى شباك التذاكر واشتريت تذكرة لفيب وأعطيتها إياها. كانت تقف بجواري مباشرة.

قلت: "هيا.. انتظري ثانية واحدة.. خذي باقي نقودك أيضا".

وأخذت أعد إليها النقود التي اقترضتها منها.

قالت: "احتفظ بها. احتفظ لي بها".

ثم أضافت إلى ذلك قولها: "من فضلك".

كان ذلك شيئا مثيرا للضيق، حين يقول أحدهم لك "من فضلك". أعني عندما يكون ذلك الشخص فيب. أثار ذلك ضيقي ولكنني أعدت النقود إلى جيبي.

سألتني: "ألا تريد أن تركب أيضا؟".

كانت تنظر إليّ نظرة مضحكة. كان واضحا أنها لم تعد غاضبة جدا مني.

قلت: "ربما فعلت ذلك بعد قليل. هل أخذت تذكرتك؟". أجل

"إذن اذهبي. سوف أنتظرك على الدكة وأتفرج عليك".

ثم سرت وجلست على هذه الدكة، واتجهت فيب إلى المراجيح. سارت حولها، أعني سارت مرة واحدة حولها، ثم جلست فوق هذا الحصان البني اللون، والرث المنظر والعجوز. وبدأت المرجيحة تدور، وأخذت أراقب فيب وهي تدور وتدور. كان معها خمسة أو ستة من الأطفال وكانت الموسيقى التي تعزفها المرجيحة هي "تسرب الدخان إلى عيونك". كانت تعزف بإيقاع الجاز وبشكل مضحك جدا. وكان الأطفال يحاولون أن يمسكوا بالحلقة الذهبية وكذلك فيب، وكنت خائفا أن تسقط من فوق ظهر ذلك الحصان اللعين، ولكنني لم أقل شيئا ولم أفعل شيئا. حين يحاول الأطفال أن يمسكوا بالحلقة الذهبية فيجب أن تدعهم يفعلون ذلك ولا تقول شيئاً إذا سقطوا. فلا حيلة لك في ذلك ولكن من الخطأ أن تحاول أن تقول لهم شيئا خلال ذلك.

وعندما انتهت الدورة نزلت من فوق ظهر حصانها واتجهت نحوي وقالت:

"اركب، أنت أيضا، هذه المرة".

قلت: "لا. سوف أكتفي بالتفرج عليك فقط. أعتقد أنني سوف أكتفي بالتفرج عليك فقط".

أعطيتها بعضا من نقودها، قلت:

"خذي اشتري تذاكر اخرى".

أخذت النقود مني ثم قالت:

"لست غاضبة منك بعد".

"أعلم. أسرعي.. إنها سوف تبدأ في الدوران مرة أخرى".

ثم فجأة قبلتني. مدت يدها وقالت:

"إنها تمطر. لقد بدأت تمطر".

"أعرف ذلك".

وما فعلته بعد ذلك كاد يقتلني. مدت يدها في جيب معطفي وأخرجت قبعة الصيد الحمراء ووضعتها على رأسي.

قلت: "ألا تريدينها؟".

"بإمكانك أن تلبسها لبعض الوقت".

"حسنا، أسرعي الآن، سوف تبدأ في الدوران ولن تستطيعي أن تركبي حصانك".

ولكنها ظلت واقفة.

ثم سألتني: "هل تعني ما قلته؟ هل حقيقة لن تسافر إلى أي مكان؟ هل ستذهب إلى البيت بالفعل؟".

قلت: "أجل".

وكنت صادقا. لم أكن أكذب عليها لأنني ذهبت إلى البيت في ما بعد.

قلت: "أسرعي الآن. سوف تبدأ".

أسرعت واشترت تذكرة وركبت حصانها في الوقت الذي أخذت المرجيحة تدور تقريبا. دارت حولها حتى وصلت إلى حصانها فركبته. لوحت لي بيدها ولوحت لها بيدي كذلك.

أخذت السماء تمطر بشدة. صفائح من الماء كانت تندلق، أقسم بالله على هذا. اتجه الآباء والأمهات جميعا ووقفوا تحت سقف المرجيحة حتى لا تبتل ملابسهم بالماء، ولكنني بقيت في مكاني لبعض الوقت. كانت قبعة الصيد تمنحني بعض الحماية من المطر، ولكن ملابسي ابتلت حتى العظام غير أنني لم أكترث بذلك. شعرت بسعادة غامرة وأنا أشاهد فيب تدور وتدور. كدت أصرخ وأنا أشعر بسعادة لا حد لها، في حقيقة الأمر. لا أدري سبب ذلك. كل ما هنالك أن فيب كانت تبدو لطيفة جدا وهي تدور وتدور مرتدية معطفها الأزرق. يا إلهي. كم أحب لو كان باستطاعتك أن تكون هناك.

الفصل السادس والعشرون

هذا هو كل ما سأرويه لك. بإمكاني أن أحكي لك ماذا فعلت عندما عدت إلى البيت وكيف مرضت وغير ذلك مما حدث لي. وأستطيع أن أقول لك أية مدرسة سوف أدخل في الخريف القادم، بعد أن أخرج من هنا. ولكنني لا اشعر برغبة في أن أروي لك ذلك. إن هذه الأشياء لا تثير اهتمامي في هذه الساعة.

إن كثيرا من الناس، وخاصة هذا المحلل النفسي الذي يعمل في هذا المكان، يسألونني إن كنت سوف أهتم بدراستي إذا عدت للمدرسة في سبتمبر القادم. إنه سؤال سخيف جدا، في رأيي أعني كيف تستطيع أن تعرف أنك سوف تفعل شيئا ما قبل أن تفعل ذلك الشيء؟ الإجابة أنك لا تعرف. أعتقد أنني سوف أنصرف إلى الدراسة، ولكن كيف بإمكاني أن أعرف أن ذلك سوف يحدث؟ أقسم بالله إنه سؤال سخيف.

أما د. ب. فهو ليس بسوء هؤلاء، ولكنه يوجه إليّ كثيرا من الأسئلة أيضا. لقد زارني يوم السبت الماضي مع هذه الفتاة الإنكليزية التي سوف تمثل في الفيلم الجديد الذي يكتبه. كانت شديدة الافتعال ولكنها جميلة جداً على أية حال، فإنه بعد أن انصرفت هذه الفتاة إلى الحمام الذي يقع في الجناح الآخر، سألني د. ب. عن رأيي فيما حدث

ورويته لك منذ حين. لم أكن أدري ماذا أقول له. وإذا أردت الحقيقة فأنا نفسي لا أعرف رأيي فيما حدث. وأنا آسف لأنني حكيت لعدد كبير من الناس ما حدث لي. كل ما أعرفه أنني أفتقد كل إنسان تحدثت عنه بما في ذلك آكلي وستراد ليتر. لا تروي ما حدث لك، مثلما فعلت أنا، لأي إنسان، لأنك، حين تفعل ذلك، فلسوف تفتقد كل الناس.

يقف ج. د. سالنجر وحيداً منفرداً بين الكتاب الأمريكيين المعاصرين، فهو من مواليد ١٩١٩، وبدأت شهرته مع أول أعماله التي كتبها في نحو عشرين عاماً، ثم توقف واختفى عن الأضواء في الريف البعيد.

"الحارس في حقل الشوفان" رواية من أهم أعماله، ترجمها الروائي الراحل غالب هلسا بلغته المشرقة، وترجم له الشاعر بسام حجار خمس قصص قصيرة، بينما ظلت أعماله الأخرى بعيدة عن القارئ العربي.

